بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

وبعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ،

---

1 آل عمران الآية (102).

2 النساء الآية (1).

3 الأحزاب الآيتان (70و71).

وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

وبعد، فدعوة دور القرآن قامت على أسباب شرعية مأخوذة من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، مقتدية بعمل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأصحابهم، وبقية علماء الإسلام رضي الله عن الجميع، وأن المصادر والأهداف التي تعتمد على تحقيقها هذه الدعوة هي مصادر أهل الإسلام كلهم؛ منذ بداية الإسلام وزمن التأليف وإلى يومنا هذا، وهي أهداف النبوة والرسالة، وأهداف الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وسيتضح للقارئ إن شاء الله عند بيان الأهداف والمصادر؛ أن ما ترمى به هذه الدعوة من تبعية لشخص أو طائفة بعينها؛ هو أمر مفترى لا حقيقة له في الواقع العلمي والعملي ، وأن هذه الدعوة تعتمد في مسيرتها الدعوية على كل ما اعتمد عليه أهل الإسلام في تاريخهم، إلا أنها تتميز بعدم التعصب لفئة أو مذهب أو شخص، وأن الكل ينبغي أن يخضع لميزان الدليل الثابت عن الله وعن الرسول ﷺ، كما علمنا ذلك القرآن وصحيح السنة وكبار الأئمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[1] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾[2] وقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى

1 الحشر الآية (7).

2 الأحزاب الآية (36).

ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾[1] وقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾[2] وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ»[3] وقال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[4] وقال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[5] وصحّ عن الإمام مالك رحمه الله عنه أنه قال: "ما منّا إلا رادٌّ ومردودٌ عليه، إلا صاحب هذا القبر".

وقال: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سننا، فالأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه

---

1 النساء الآية (59).

2 الأحزاب الآية (21).

3 أخرجه: أحمد (240/6و270) والبخاري (2697/377/5) ومسلم (1718/1343/3[17]) وأبو داود (4606/12/5) وابن ماجة (14/7/1).

4 أخرجه: أحمد (146/6و180و256) ومسلم (1718/1344-1343/3[18]) والبخاري تعليقا في كتاب الاعتصام (391/13).

5 أخرجه: أحمد (126/4-127) وأبو داود (4607/15-13/5) والترمذي (2676/43/5) وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه (43/17-16/1-44) والحاكم 95/1-97) وقال: "هذا حديث صحيح ليس له علة" ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان (178/1-179).

الله ما تولى".[1]

وقال رحمه الله: "قبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الأمر واستكمل، فينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ وأصحابه، ولا يتبع الرأي، فإنه متى ما اتبع الرأي جاء رجل آخر أقوى في الرأي منك فاتبعته، فكلما غلبه رجل اتبعه، أرى أن هذا بعد لم يتم".[2]

وعن ابن الماجشون أنه سمع مالكاً يقول: التثويب ضلال، قال مالك: ومن أحدث في هذه الأمة شيئاً لم يكن عليه سلفها؛ فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الدين، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[3]، فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً".[4]

وقال الشافعي: "إذا صحّ الحديث فهو مذهبي" وقال لمن قال له: يا أبا عبدالله! هل تأخذ بهذا الحديث؟ فأجابه بقوله: "هل رأيتني في كنيسة وعليّ زنار؟!" وقال أبو حنيفة: "إذا جاء الحديث عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين.." وهكذا جاء عن الإمام أحمد التبرّي من رأيه والرجوع إلى الدليل. ومن هنا أدرج المحدثون رحمهم الله في كتبهم كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ومن أشهرهم الإمام البخاري إمام المحدثين رحمه الله، وهذا المنحى

---

1 شرف أصحاب الحديث (ص.6-7) وانظر السير (98/8). وهو من كلام أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز؛ وكان الإمام مالك يردده كثيرا.

2 الاعتصام (140/1)و(660/2) وجامع بيان العلم (1069/2) وانظر إعلام الموقعين (78/1) ودرء تعارض العقل والنقل (191/1) بنحوه.

3 المائدة الآية (3).

4 الاعتصام (535/2).

إن دل على شيء؛ فإنما يدل على التعلق بالدليل والسنة، وأن التقليد ليس هو منهاج أهل الإسلام؛ كما قال أبو عمر بن عبدالبر المالكي: "أجمع العلماء على أن المقلد ليس من أهل العلم" وذكر في كتابه النفيس 'جامع بيان العلم وفضله' الذي ألفه لهذا الغرض: أقوالاً وأشعاراً يذمّ فيها التقليد وأهله. ونجد كل إمام من الأئمة في تاريخ الإسلام يذمّ التقليد وأهله، ويبين أن الرجوع إلى الدليل والتمسّك به هو الرجولة والعقل النيّر. وقد جمعنا في ذلك عدداً من أقوال الأئمة ومواقفهم وسميناه 'موسوعة مواقف السلف الصالح في العقيدة والمنهج والتربية' وما رُدّت دعوات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم إلا بهذا الأصل، وما رُدّت السنة رغم صحة أسانيدها ومتونها إلا بهذا الأصل، ولو رجع الباحث إلى متأخري كتب المذاهب لرأى العجب العجاب في هذا الباب، وأن الشافعي لا يجوز له أن يتزوج بالحنفية، وما العهد ببعيد بالمقامات الأربع[1] التي كانت في الحرمين لكل مذهب مقامه، وهذه ظاهرة شنيعة، فإن الله أنزل على هذه الأمة كتاباً واحداً، وبعث نبياً واحداً.

ونرجع إلى سياق الآيات والأحاديث النبوية، وأعمال السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وإلى الواقع المعيش الذي إذا تصوره الداعية إلى الله بصدق، وتمعن فيه وتجرد من كل النزوات والأهواء؛ كان ذلك دافعا له إلى الحرص على الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، ومن قعد وتقاعس فيدخل في النصوص التي جاءت بالوعيد فيمن

1 المقصود بالمقامات: محاريب الإمامة في الصلاة.

يتخلف عن نشر الحق ويكتمه، أو يبيع ذمته وعلمه بثمن بخس، كما ذكر الله عن علماء أهل الكتاب الذين ذمهم وبين أحوالهم، وأنهم اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، فالدعوة إلى الله فرض وواجب على كل من تأهل لذلك، وتوفرت فيه الشروط والصفات التي سنذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وهاك سياق نموذج من الآيات والأحاديث في الأمر بالدعوة إلى الله، وهي كثيرة نكتفي ببعضها؛ لأن المقام لا يتّسع لسياقها كلها، ولعلّ الله تعالى يفسح لنا في العمر فنجمعها كاملة، حتى يعلم القرّاء أن الدعوة إلى الله أمر إلهي لعباده الذين اصطفاهم واختارهم لهذه المهمة، وفي مقدمتهم الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- ومن جاء بعدهم من الصحابة، ومن كان على أثرهم من التابعين، ومن كان على أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.

فالقرآن كتاب الله أنزله على نبيه محمد ﷺ، وأمر العباد بحفظه وتعلمه وفهمه، فمن وصل إلى المستوى الذي يؤهله لتبليغه؛ وجب عليه ذلك، ولا ينتظر إذْن فلان أو علان، فإن أمر الله وأمر رسوله ﷺ لا يحتاج فيهما إلى إذن أحد من الناس، فإن الأوامر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مطلقة، تعني كل مسلم تأهل لذلك ذكراً كان أو أنثى، شريطة العلم والفهم الذي يؤهل لذلك.

وقبل سياق النصوص القرآنية والأحاديث النبوية نبين أن هذا الدين محفوظ بحفظ الله له، وأن العباد يتشرفون بالسبق لهذه الغنيمة؛ غنيمة الدعوة إلى الله.

فصل
هذا الدين محفوظ بحفظ الله

خلق الله هذا الكون؛ سماءه وأرضه، وبرّه وبحره، وجباله وأشجاره ونباتاته؛ ليعبد الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]، وخص سماواته بملائكته، وجبلهم على عبادته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾[2]، وشاء الله تعالى أن يخلق الخلق من بني آدم، ويرسل فيهم الرسل من جنسهم يتكلمون بألسنتهم، ويُنزل الكتب بلغتهم حتى يزول العذر، ولا يعتذر معتذر بعدم الفهم للرسالة، ومباينة الجنس، وأن النبي من جنس آخر، بل كان من جنسهم، ويتحدث بلغتهم، ويبلغهم كتاب ربهم بلغتهم التي رضعوها من أثداء أمهاتهم، وجبريل مكلف بإنزال الرسالات، وتوضيح ما يحتاج إلى توضيح بالبلاغ عن رب العالمين، كما فعل بالنبي ﷺ إذ فرض الله عليه الصلوات الخمس، فصلى بالنبي ﷺ ليعلمه صفات الصلاة المأمور بها، ويكون السند في ذلك عاليا ويقينيا، وبقي الأمر هكذا منذ خلق آدم وإلى آخر نبي بعث، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ

---

1 الذاريات الآية (56).

2 الأعراف الآية (206).

وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾[2]، فبعثة الأنبياء والرسل إلى الأمم من تمام حكمة الله تعالى؛ لتتحقق عبوديتهم له على الوجه اللائق به، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾[3] والشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فعدد الرسل والأنبياء الذين أرسلوا إلى الأمم لا يحصى ولا يعد، فظاهر هذه الآية وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ

1 فاطر الآية (24).
2 الإسراء الآية (15).
3 إبراهيم الآية (9).
4 النساء الآية (164).

فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾[1] وظاهر آيات القرآن كلها يدل على أن الأنبياء والرسل كانوا عددا كبيرا؛ لكثرة الأمم الموزعة في الأرض، فقد وصلت الرسالات إلى جميعها، وكلما حصلت الغفلة في أمة، واندرست رسالة ذلك الرسول، ورجعوا إلى عبادة الأصنام وتركوا عبادة الواحد الأحد؛ أرسل الله إليهم نبيا يذكرهم كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾[2] وقد ذكر الله في القرآن أخبار بعض الأمم، وبين ما كانوا عليه من شرك، وكيف واجهوا أنبياءه ورسله برد رسالاتهم وإنكارها وحربها، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا مثالا في الصدق في الدعوة إلى الله، وفي إحياء التوحيد وإماتة الشرك بكل صوره، وعدد الرسل والأنبياء غير منحصر، وما ورد من حديث في تحديد الأنبياء والرسل فضعيف سندا ومنكر متناً؛ لمخالفته ظاهر القرآن، ولسعة ملك الله في أرضه، وآخر هؤلاء الرسل والأنبياء الدعاة محمد ﷺ، الذي عظمت مهمته، وعمت رسالته، وجعلها الله آخر الرسالات

1 المؤمنون الآية (44).

2 البقرة الآية (213).

وأشملها وأجملها، وجمع الله لهذا الداعية الكبير ما تفرق في الأنبياء، فلم يزاحم بنبي ولا رسول ولا بكتاب، وجعل الله دينه للثقلين من الجن والإنس كاملا مكتملا في لفظه ومعناه، ومن كفر به من أي جنس فمآله إلى النار وبيس القرار، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به؛ إلا كان من أصحاب النار»[1] ومن ابتغى دينا غير دينه ليس له إلا التعب والعذاب، ولا يقبل عمل ولو كان خالصا إلا على طريقه، فهو النبي الوحيد الذي نسخت نبوته كل النبوات، فلا يهودية ولا نصرانية ولا سيخية ولا هندوكية ولا بهائية، ولا أحمدية ولا درزية ولا صابئة ولا غيرها من البقايا التي هي بمنزلة نبتة السوء بعد حراثة الأرض وزراعتها، فأي نبتة سوء بعد حراثة الأرض وزراعتها يجب قلعها واستئصالها؛ إلا ما استثناه الإسلام من أهل الكتاب الذين يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون، فهؤلاء يقرون على ما هم عليه خوف الفتنة، ولعلهم يتأثرون بأهل الإسلام وبأعمالهم وعلومهم، فيدخلون في دين الله أفواجا، وكم حصل من هذا النوع في ديار الإسلام، دخلوا في الإسلام كله في حكمه وقوله وفعله. ولنرجع إلى حديث عظيم خرجه مسلم في صحيحه يبين مدى الحاجة إلى بعثة النبي ﷺ، وما وصلت إليه الأرض من وثنية وانحراف خلقي، إذ حاجة الأرض إلى محمد ﷺ أكثر من حاجتها إلى الأمطار والمياه، فإن ذلك يمكن الصبر عليه، وأما النبوة والرسالة فلا يمكن أن يستغنى

1 أخرجه: أحمد (317/2و350) ومسلم (153/134/1).

عنها طرفة عين. فعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»[1].

فهذا التعبير من النبي ﷺ يدل على أن الحاجة ماسة إلى بعثته، وأنه بغير بعثته يكثر المقت بكل أصنافه، والمقت هو نهاية البغض، وكان ذلك كذلك فيكفي أن البيت كان بجانبه ثلاثمائة وستون صنما، فعبدوا الحجارة وعبدوا النجوم وعبدوا البقر والحيوانات، وعبدوا النيران وعبدوا الصليب وعبدوا المسيح وأمه، وعبدوا الفئران والنمل، وعبدوا الفروج التي تحيض وتبول وعبدوا كل خسيس نجس وهذا نهاية الانحطاط وغايته، والله لا يرضى لعباده الكفر ولا الفحشاء ولا المنكر ولا الشرك ولا الانحراف، ولكن يرضى منهم التوحيد والسنة والأعمال الصالحة، وهذا لا يتحقق إلا ببعثة نبي، أو قيام مصلح داعية، فكانت بعثة النبي ﷺ رحمة للعالمين، فبعث الله أعظم نبي وأنزل عليه أعظم كتاب. ومن خصائصه بعثته إلى أهل الأرض كلهم عربهم وعجمهم، أسودهم وأبيضهم وأحمرهم إنسهم وجنهم.

ومن خصائص دينه بقاؤه محفوظا لا تضيع منه كلمة، ولا يسقط منه

---

1 أخرجه: أحمد (162/4) ومسلم (2865/2197/4) والنسائي في الكبرى (8070/26/5).

حكم ولا تنفلت منه عقيدة؛ بل يبقى محفوظا كما أنزل، وكأن النبي ﷺ قائم بين أظهر المسلمين، والصحابة قائمون حوله يبلغون عنه، فإن الله تعالى تكفل بحفظه ويسر كل الأسباب لذلك، ففي بداية نزوله حفظه من تلاعب الشياطين، واستراق السمع الذي كان قبل بعثة نبينا ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨﴾[1] وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث. فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر. فلما سمعوا القرآن تسمعوا له. فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا! إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به، ولن نشرك بربنا أحدا. وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ

1 الجن الآية (8).

﴿ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾، وإنما أوحي إليه قول الجن.[1]

فحفظ الله كتابه من تلاعب الشياطين، وحفظ نبيه ﷺ من سطوة المشركين، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، وقد صح عن عائشة رضي الله عنها قالت: سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة فقال: ليت رجلا صالحا يحرسني الليلة. قالت: فبينا نحن كذلك إذ سمعنا خشخشة السلاح، فقال: من هذا؟ فقال: سعد بن أبي وقاص. فقال له رسول الله ﷺ: ما جاء بك؟ فقال سعد: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت أحرسه. فدعا له رسول الله ﷺ، ثم نام[2]. وعنها قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: يا أيها الناس! انصرفوا فقد عصمني الله[3]. وكان ذلك كذلك، فكلما همّ أحد بقتله ﷺ أهلكه الله قبل الوصول إلى ذاته المباركة.

وهيأ الله الصحابة الكرام لهذا الكتاب الكريم؛ فحفظوه في صدورهم، وأجمعوا على كتابته وإحراق كل ما نسخ، حتى يبقى غضا طريا كأنه نزل

---

1 أخرجه: أحمد (252/1) والبخاري (4921/865/8) ومسلم (331/1-332-449) والترمذي (397/5-3323/398) والنسائي في الكبرى (11624/499/6).

2 أخرجه: أحمد (141/6) والبخاري (7231/271/13) ومسلم (2410/1875/4) والترمذي (608/5-3756/609) والنسائي في الكبرى (8217/61/5).

3 الترمذي (3046/235-234/5) وقال: "هذا حديث غريب"، والحاكم (313/2) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح (102/6): "وإسناده حسن واختلف في وصله وإرساله".

الساعة، فتوارثته الأجيال جيلا عن جيل، يحفظونه في صدورهم، ويتنافسون في قراءته، وجعل الله قراءته قربة يتقرب بها المسلم إلى ربه؛ بل هو من أعظم القرب، وجنّد المسلمون أنفسهم له في كل زمان ومكان؛ لحفظه وفهمه ورسمه، وترتيله وتجويده، وتفسير غريبه ورواياته ووجوهه، وعدّ كلماته والنظر في متشابهه، وقد ألفت مجلدات جمعت كل الخدمات القرآنية، فبلغت خدمة المسلمين للقرآن أسفارا، ولا يزال ولله الحمد معظما في النفوس، وخير الناس في الأمة أقرؤهم لكتاب الله، وهو إمامهم في المساجد والأعياد والجماعات، وهذا شيء يتوارثه المسلمون جيلا عن جيل، فكيف والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[1]، ومن حفظه الله لا يطاق ولا يستطاع مهما بلغت قوة الكائد والمستهدف؛ فإن قوة الله فوق كل القوات، وقدرته تبارك وتعالى فوق كل قدرة، وعزته تبارك وتعالى فوق كل عزة، لا يغلب ولا يقهر، فهو الغالب القهار، وكم من فئة في تاريخ الإسلام حاولت العبث بكتاب الله؛ بل وفي بداية عصر النبوة، فمسيلمة الكذاب هذى بعض الهذيان، وضحك منه أقرب أصحابه إليه، وصارحوه بأنه كذاب أشر، وأصبح مثلا للسوء في كل زمان ومكان، وكم مضى على المسلمين من أحداث؛ حاول عدوّهم الغدر بهم والعبث بكتابهم وتحريفه لفظا ومعنى، ولكنه يئس بعدما باءت محاولاتهم بالفشل الذريع. وهاهم الصليبيون المعاصرون يحاولون ذلك، فأصدروا قرآنا سمّوه (الفرقان الحق)!! عدد سوره

1 الحجر الآية (9).

سبع وسبعون سورة! فأضحكوا عليهم العالم. وهاهم يفرضون على الأمة الإسلامية حذف بعض آياته من برامجهم ومناهجهم، وبكل أسف استجاب لهم من هو مِن ذيولهم وعلى شاكلتهم، ولكن المسلمين قاطبة بريئون من هذا العمل، ومن هذا التصرف الذي أقدم عليه عملاء الصليبيين والصهاينة واليهود والنصارى، فإن هذا الأمر لا سوم فيه، ولا مؤتمر عليه، ولا يناقشه المسلمون في يوم من الأيام؛ فهذا كفر محض، وزندقة ظاهرة، وتبعية تدل على الذوبان والسقوط في أحضان الكفار، فهذه مضحكات من سمع بها تعجب منها! ومن فعلها وصف بالغدر والخيانة للأمة الإسلامية، والله سبحانه قادر على إسخاط من رغبوا هم في رضاهم، فيسوموهم سوء العذاب، ويشتتون شملهم، ويفرقون جمعهم، كما فعل الله بكل أعدائه الذين أرضوا الأمم الكافرة في طلباتهم السخيفة، وعلى إثر هذا الحدث الذي يروج له الصهاينة وأذنابهم في كل مكان؛ فإن النهضة القرآنية والحركة السنية السلفية ستقوم وتنتشر، وسيجند أبناء الإسلام كل طاقاتهم لحفظ كتاب الله، والإقبال عليه بكل وجوه الإقبال، وحفظ سنة رسول الله ﷺ، والإقبال عليها بكل وجوه الإقبال، والله تعالى قادر على أن يشفي الأمة الإسلامية بإنزال الكوارث والزلازل بالأمم الباغية الظالمة، التي طغت وتجبرت، وتريد إجبار أهل الإسلام على الدخول في الكفر والشرك، وارتكاب الموبقات باسم الإصلاح، كما قال الله تعالى في صفة المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ

وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾[1].

ومن حفظ الله لهذا الدين تجنيد أئمة الحديث في كل زمان للدفاع عن السنة وتصفيتها، وطرد جميع الدخلاء من الذين وضعوا الموضوعات، وكذبوا على رسول الله ﷺ، وأدخلوا في السنة ما ليس منها، ففضحهم الله وطردهم بالمحَدثين الجهابذة، فأبرزوا أسانيدهم ومتونهم وأسماءهم، وبقيت السنة نقية طاهرة كاملة متكاملة، يحفظها الصادقون وينشرها العالمون العارفون، ويتشرف بخدمتها والإنفاق في سبيل نشرها الأغنياء وأرباب الأموال الحلال، فأصبحت في متناول كل مسلم ليس بينه وبينها حجاب، فمن لم يمتلك مالا هيئت له المكتبات المجانية المرئية والمقروءة والمسموعة، وما عليه إلا أن يكون صادقا مخلصا محبّا للسنة والقرآن، فيجد بغيته أينما كان. وأما المعرضون عن كتاب الله المغرضون الحاقدون؛ فلهم موعد عند الله في الدنيا بالهلاك والثبور، وفي الآخرة بالعذاب والدحور. وأما الصليبيون وأعوانهم من الماسونيين والصهاينة والجمعيات التي تحارب الإسلام بالليل والنهار؛ فهم في يوم من الأيام سيصبحون غنائم لأهل الإسلام؛ لأن البشارات القرآنية والنبوية لا تتخلف، فدين الله محفوظ بحفظه له، وكلما نسي وغفل الناس عنه جاء من يجدده، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق: «إن الله يبعث لهذه الأمة على

1 البقرة الآيتان (11و12).

رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1] والتجديد هو الإحياء، وقد حصلت هذه البشارات على مر العصور، فما مرّ عهد من العهود وحصل في الناس فتور إلا بعث الله داعيا مجدّدا؛ يجدد الكتاب والسنة ويحييهما في نفوس الأمة؛ بداية من عصر الصحابة والتابعين، ومروراً بالأئمة المهتدين؛ كمالك وأحمد والشافعي وابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب، ومن المعاصرين كالشيخ الألباني والشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين، وغيرهم كثير والحمد لله. فماذا عن هؤلاء الناعقين وعن محاولاتهم الفاشلة الباردة، والهيشات التي نسمعها هنا وهناك؟!

وفي هذا الزمان رفع الملاحدة رؤوسهم، وكأن الفرصة لم تتح لهم من قبل، فجندوا أنفسهم لحرب الكتاب والسنة بجرائدهم وكتاباتهم وخطبهم، ولكنهم كمن يبحث عن حتفه بظلفه، فهذه الحركة المشؤومة المفتعلة قد ملئت بكثير من العناوين الخداعات، وهي أحق أن تنسب إلى أصحابها، فهم بحق أهل الإرهاب الذين هدموا المساجد، وقتلوا عشرات الآلاف من المسلمين، وصحراء سيبيريا أكبر شاهد عليهم، وما فعلوه في ألبانيا والبوسنة والهرسك وغيرها ما زال محفورا في ذاكرة الزمن، لقد كانوا يهجّرون إلى تلك الصحراء الملايين من المسلمين، ويرمونهم في البرد القارس، وهاهم يحرضون الحكام على المسلمين في كل مكان، وإن كانوا في مسؤوليات

---

1 أخرجه: أبو داود (4291/480/4) والحاكم (522/4) قال الشيخ الألباني في الصحيحة (150/2-599/151): "سكت عليه الحاكم والذهبي، وأما المناوي فنقل عنه أنه صححه، فلعله سقط من النسخة المطبوعة من المستدرك، والسند صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم".

أسندت إليهم أتوا على الأخضر واليابس، واتهموا المسلمين بلحاهم ولباسهم وترددهم على المساجد، وجعلوا هذا علامة على الإرهاب!! وكل من استقام والتزم بشرع الله لُقب بالإرهابي في نظرهم!! وسجونهم مملوءة بالمظلومين، وحملاتهم على المسلمين لا عدّ لها ولا حصر، ولكنها -ولله الحمد- مدحورة فاشلة. لقد جندوا كل أساليب المكر والخبث للمسلمين في كل مكان، وزعموا أنهم يحاربون الإرهاب، وهم كما قال المثل: رمتني بدائها وانسلت.

فإذا لم يكن الملاحدة والشيوعيون أهل الإرهاب؛ فلا يوجد على وجه الأرض إرهاب، ومن العجب أن تصبح المحامد مثالب! ويصبح المسلم المستقيم المتبع للسنة إرهابيا ولو في بلده الإسلامي، ومتابعا حتى في أهله وزوجه وأبنائه وبناته، فيلام على استقامتهم وإسلامهم! وإذا كثر عدد الشباب المستقيم في المساجد أصبح عندهم من أخطر أوكار الإرهاب! وكم أغلقت مساجد وأمكنة بسبب هذا الأمر، ومعاقل الفساد تغص بالملايين! ويفرحون بوجود ذلك ويوفرون له الحماية الكافية، وأما المساجد التي يقرأ ويدرس فيها القرآن فيجب القضاء عليها بالليل قبل النهار، وهذه الكلمة أصبحت منتشرة اختارها رئيس الصليبيين وعملاؤه وروّجوها وأصبحت ميزانا لكل ملتزم، وأصبح المتلبس بالموبقات والكبائر هو المسالم، والذي يهتك الأعراض، ويروّج المخدرات، ويشرب الخمور، ويقتل الأنفس، ويزني ويرتشي؛ هو المعتدل!! والله المستعان على قلب هذه الحقائق.

فديار الإسلام التي كان المفروض أن تكون أمانا لأهل الإسلام، وحماية لهم والدفاع عنهم؛ أصبحت محلّ خوف وقلق، إذ كل من قرأ القرآن

واستقام على أمر الله يحتمل أن يقتحم بيته من أعلى أو من أسفل، في أي وقت من الأوقات في أول الليل وآخره، دون سابقة إعلام وإخبار، بزعم أنه من أهل الإرهاب، وقد يزج به في السجون ولا جريمة له إلا التمسك بالكتاب والسنة وعقيدة السلف الصالح! فيالله العجب! ما أغرب هذه الأمور التي تحدث في ديار الإسلام، وفي وسط علماء الإسلام، وتحت حكام الإسلام، إن كان لهم علم بما يحدث -والمفروض أن يكون لهم علم- فإنهم مسؤولون عن كل صغيرة وكبيرة تحدث في ديار الإسلام، ولنمسك القلم عن هذا، فإن المسلمين كلهم يبكون على هذا الواقع الأليم ويحترزون من هذا الظلم بأهل الاستقامة والدين، وكم ذبح فرعون من أهل الإسلام، فكانت نهايته في بحره الذي كان يتنزه فيه مع جنوده وأعوانه، فلا بد أن تدور الدائرة على الظالم مهما كان شكله ومهما عظمت قوته، فليستمتع الظالم بظلمه، فإن الله خبير بصير، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

فمما ينبغي أن يعلم أن دين الإسلام هو آخر دين، وأنه دين أهل الأرض كلهم، وأن ظهوره وانتشاره كائن لا محالة، فعلى الحاقدين ودعاة الشرك أن يتوبوا ويدخلوا في السلم كافة، وإما أن يجمعوا أمتعتهم ويستعدوا للمغادرة، وجنود الله وجيوشه متى شاء هيأها ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فكم من أحداث مؤلمة مرّت في تاريخ الإسلام، فكان الناس يظنون أن لا بقاء للإسلام بعدها، وأصبحت كأمس الذاهب، فجاء الإسلام

بعدها وازدهر وانتشر، والعاقبة للإسلام وأهله، وأما الظالمون والكفرة والمشركون فليس لهم إلا الدمار، فقصة عاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون وغيرهم أكبر شاهد على ما نراه، وقد أخبر الله في كتابه بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1]، وصح عنه ﷺ في صحيح مسلم من حديث ثوبان: «إن الله زوى لي الأرض؛ فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»[2]، فلا بد أن يتحقق مصداق هذا الحديث، والإسلام -ولله الحمد- في كل بقاع الأرض محبوب مقبول، تحبه الفطر السليمة والعقول المستقيمة، والداخلون فيه يكثر عددهم يوما بعد يوم بدون إغراء ولا طمع، بخلاف ديانة التثليث فإن أصحابها ما تركوا وسيلة من وسائل الإغراء إلا بذلوها، وما بنوه بالليل يمحى بالنهار، وهم مجندون مع حكوماتهم وأرباب أموالهم لهذا الغرض من سنين وعددهم قد بلغ إلى سبعة ملايين، ومع تخلي معظم المسلمين عن نصرة الإسلام؛ فإنه وصل إلى كل مكان، ومعظم الذين اتبعوه ثبتوا عليه، وما ارتدوا وما رجعوا، وهذه خاصية لهذا الدين، يدخله الناس دون إغراء ولا طمع بأقل الأسباب وأضعفها، ويكفي أن يسمع به أو يقرأ عنه، فهو دين الفطرة السوية والعقل السليم،

---

1 التوبة الآية (33).

2 أخرجه: أحمد (278/5) ومسلم (2889/2215/4) وأبو داود (4252/452-450/4) والترمذي (2176/410/4) وابن ماجه (3952/1304/2).

والله تبارك وتعالى وضع له القبول في الأرض، فلا توجد لحظة من لحظات الزمان إلا وتجد لله فيها راكعا وساجدا في مشارق الأرض ومغاربها، فأول نقطة يبرز فيها الفجر تبدأ فيها صلاة الصبح، والشمس تمر على الأرض كلها، فبقدر مرورها والناس في صلاة الصبح، وهكذا الزوال والغروب، فضلا عن صلاة النوافل التي هي في أوقات واسعة.

والبشارة الثانية قوله ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل به الكفر»[1].

قال الشيخ الألباني رحمه الله: "ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم وماديالهم وسلاحهم، حتى يستطيعوا أن يتغلبوا على قوى الكفر والطغيان".

والبشارة الثالثة قوله ﷺ كما في المسند وغيره: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكا عاضا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم يكون ملكا جبريا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء

---

1 أخرجه: أحمد (103/4) والبيهقي في السنن (181/9) والطحاوي في مشكل الآثار (458/15-6155/459) والحاكم (430/4) وصححه على شرط الشيخين. وفي الباب عن شداد بن أوس وعدي بن حاتم وثوبان والمقداد ابن الأسود وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»[1]، والشاهد من الحديث جزؤه الأخير، وأما المراحل الأولى فقد سبقت، فمنهاج النبوة راجع لا محالة؛ لأنه خبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. ومنهاج النبوة هو الحكم على أهل الأرض بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فكل الدساتير والقوانين التي تخالف الكتاب وتحاربه، وتظن أنها تقوم مقامه، أو هي أفضل منه؛ فستصير رمادا ولا يبقى منها ولا ذرة واحدة، فالحكم لله وحده، ولكتابه ولسنة رسوله ﷺ، فهنيئا لمن أدرك هذا الزمن، وتمتع بهذه السعادة، وحكمه الكتاب والسنة، ويا أسفى على من حكمه غير الكتاب والسنة، أو عاش في وقت لا يحكم فيه بالكتاب والسنة، فإنه كله شؤم وفساد، بل المزاحمون لحكمهما أعداء، والرافعون لحكمهما المختارون لذلك كفار زنادقة، ومصطلحات الشرع كلها هي تحكيم الكتاب والسنة، وجاء الوعيد في كل من لم يُحكم الكتاب والسنة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ

1 أخرجه: أحمد (273/4) وأبو داود الطيالسي (438) والبزار في البحر الزخار (223/7-2796/224) والطبراني في الأوسط (301/7-6577/302). قال الهيثمي في المجمع (189/5): "رواه أحمد في ترجمة النعمان والبزار أتم منه، والطبراني بعضه في الأوسط ورجاله ثقات". ونقل الشيخ الألباني في الصحيحة (5/34/1) عن الحافظ العراقي في كتابه 'محجة القرب إلى محجة العرب' أنه قال: "هذا حديث صحيح".

مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾[1] فالحكم لله وحده لا غيره، فكتاب الله جمع فيه الخير كلـــه، وسنة رسوله ﷺ متممة وشارحة له، فمن تركهما ضل وأضل.

فنسأل الله تعالى أن يجنبنا وإخواننا الضلال، ويجنبنا الحكم بالطـــاغوت الذي يحرم ما أحل الله ويحل ما حرم الله، ويدعو إلى عبادة غير الله، وهـــذا كله من عمل الشيطان، كما فسره علماء الإسلام، فإن الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله، وكل من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله فيما يخدم أهواءه وأغراضه؛ مخالفا بذلك الكتاب والسنة؛ فقد تحاكم إلى الطاغوت.

---

1 النساء الآيات (60-65).

البشارة الرابعة وهي من أعظم البشارات قولهﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله»[1]، هذا الحديث العظيم يبين لنا أن الأمة مهما توالت عليها الأحداث؛ فإن طائفة منها وهم أهل العلم والحديث والسنة؛ تبقى مستمرة قائمة بإحياء الكتاب والسنة، وتصحيح المعتقد، ومحاربة البدع، والتحذير من الموبقات السلوكية، وتدعو إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ولا تبغي بهما بدلا، ولا تساوَم عليهما، فهي صامدة أمام كل عدوّ غاشم يريد زلزلة هذا الدين، وتشويهه بالبدع والشركيات وأوضار الرفض وتثليث النصارى وصهيونية اليهود، وكل كفر وزندقة وكل جيوش الإلحاد مهما كثرت أو قلت؛ فلن تستطيع القضاء على الحق مهما خططت، ومهما رفعت من الشعارات التي تنطلي على الهوام والعوام وأهل الإلحاد والضلال. فإن هذه الطائفة بإذن الله مستمرة تفرقت في العالم أجمع لا يحصرها قطر، ولا هي تحت حاكم واحد مهما تجبر وتعاظم؛ فإن أحسن فلنفسه، وإن حمى هذه الطائفة ودعمها فذلك من حسن حظه، وإن تنكر لها وحاربها فذلك من سوء حظه، فإن الله يذهب بريحه كما ذهب بريح أهل الكفر في كل زمان. فنسأل الله أن يجعلنا من هذه الطائفة، وأن يحفظها من كيد الكائدين.

وأحاديث البشارات برجوع الإسلام ورجوع قوته وحكمه ونصرته

---

1 أخرجه: أحمد (244/4و248و252) والبخاري (3640/784/6) ومسلم (1921/1523/3) وفي الباب عن قرة المزني وثوبان ومعاوية وجابر بن سمرة وجابر بن عبدالله وعقبة بن عامر وعمر بن الخطاب وعمران بن حصين وأبي أمامة رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

صحيحة كثيرة يعضضها القرآن، وكلها تشير إلى رجوعه، فمعظم دول أهل الكفر تنخرها المعاصي والخلافات، ويتوقع سقوطها في كل لحظة، وهي آيلة إلى السقوط لا محالة، فإنها ما تركت جريمة ولا موبقة إلا جعلتها منهاجا لها، ونصرتها وآزرتها، وجعلت لها عناوين وأسماء تقبل عند الهمج الرعاع، وسمتها باسم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وهي في الحقيقة استعباد وعقوق. ومفاسد بلاد الكفر كثيرة تحتاج إلى مجلدات، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ فهؤلاء تولوا عن أوامره ونواهيه وادعوا لأنفسهم ما هو خاص بالله وشرعوا له شرائع، وجعلوا أهواءهم شريعتهم، وأغراضهم ونزواتهم قوانينهم، وسيكون فيها حتفهم إن شاء الله.

اللهم انصر الإسلام وأهله، وانصره نصرا لا خذلان بعده، واخذل الكفرة من الشيوعيين وكل الكائدين لأهل الإسلام أينما حلوا وارتحلوا، اللهم رد كيدهم في نحورهم، واشغلهم بأنفسهم، وسلط عليهم الأمراض والأسقام التي لا قبل لهم بها؛ فإنهم اعتدوا على أهل الإسلام وأوقدوا نار الفتن في كل بلاد الإسلام، وأطاعهم من أطاعهم في هذه الجريمة بزعم الإصلاح. فنسأل الله أن يجعلنا من الطائفة المنصورة، وأن يحفظ دولتنا من كيد الكائدين، وأن يحفظ إمامنا من كيد الخائنين والزائغين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

سياق النصوص
في الحث على الدعوة إلى الله
وبيان مكانتها وفضلها

** الآيات:

➢ الآية الأولى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾.

هذه السورة على وجازة ألفاظها وصغر حجمها، جمعت أصول الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وبينت أن الإنسان في خسران كامل إلا من أسلم لله وآمن بقلبه، واعتقد العقيدة الصحيحة المتزلة في كتاب الله، والمبينة على ألسنة رسله -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- وعمل بجوارحه، وقام بواجباته وفرائضه، واجتهد في مستحباته، و لم يقف عند هذا الأمر الذي هو أمر شخصي يقتصر فيه الإنسان على نفع نفسه بالعقائد والعبادات؛ ولكنه ينتقل إلى مرحلة مهمة فيها النفع العام لأمة الإسلام، فإن المسلم الحق هو الذي يكون مصدر نفع للأمة، ولا يكون مصدر أذى وشر عليها، فإن هذا قد حذر منه الإسلام، وجعل هذا الفعل من المحرمات والموبقات، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ

ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾[1] والنبي ﷺ صحّ عنه أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»[2]، ومن رجع إلى القرآن وجد هذا المنهاج مشروحاً موضّحاً كآيات الحقوق العشرة في سورة النساء: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾[3] وغيرها من الآيات. فالمسلم الصادق هو الذي يسعى جاهداً في تكميل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح، ويجتهد في نفع غيره بما استطاعه من خير. ومن أعظم الخير دعوة الناس إلى الحق وبيانه لهم، والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة والسلامة، وإبعادهم عن كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم، ومن أعظم ذلك دعوتهم إلى التوحيد وإرجاعهم إليه، وتحذيرهم من الشرك وبيان أنه هو الخسران المبين، ودعوتهم إلى السنة وما فيها من فضائل ومناقب، وتحذيرهم من البدعة، وبيان ما فيها من الشرور والفتن والانحراف

---

1 الأحزاب الآية (58).

2 أخرجه: أحمد (267/2) والبخاري (6018/546/10) ومسلم (47/68/1) وأبو داود (5154/358/5) والترمذي (2500/569/4).

3 النساء الآية (36).

عن الصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1]، فالدعوة إلى التوحيد والسنة هي النفع العظيم الذي إذا تحقق؛ نجا صاحبه في الدنيا من مغبة العبودية لغير الله، وتحررت رقبته من كل المعبودات من دون الله، وخلص توحيده لله، فهذه نعمة ما بعدها نعمة، ومن عبد الأشجار والأحجار والحيوان والبقر والفروج والموتى الذين أكل التراب أجسادهم وعظامهم؛ فقد ضل ضلالا مبينا، والملائكة والرسل تبرؤوا ممن عبدهم من دون الله، وخاتم الأنبياء ﷺ دعا وقال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»[2] وقال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[3] وصح عنه في هذا نصوص كثيرة، فأي خسران أعظم ممن عبد ما لا يسمع دعاء ولا نداء؟!! ولا يشفي من مرض ولا يغني من فقر، ولا يحيي من موت، ولا ينقذ من غرق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ

---

1 الأنعام الآية (153).

2 أخرجه: أحمد (246/2) والحميدي (1025) وأبو يعلى (6681/34-33/12) وابن سعد في الطبقات (241/2-242) وأبو نعيم في الحلية (283/6) و(317/7) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الهيثمي في المجمع (302/4): "رواه أبو يعلى وفيه إسحاق بن إسرائيل وفيه كلام لوقفه في القرآن وبقية رجاله ثقات".

3 أخرجه: أحمد (80/6و121و255) والبخاري (1330/257/3) ومسلم (529/376/1).

وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة. فدعوة الناس إلى توحيد الله من أعظم النفع الذي يقدم لهم، فهو أنفع من المال ومن كل ما يظنون نفعه في حياتهم، فإن حياة القلوب بالتوحيد هي الحياة الحقيقية، وأما الشرك والكفر فهو ظلمات بعضها فوق بعض؛ كما سماه الله تبارك وتعالى في القرآن ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ وقوله: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿١٤﴾ وقوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟

﴿يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾، ودعوة الناس إلى سنة رسول الله ﷺ دعوة إلى النور والبرهان والفرقان، وتحذيرهم من البدع تحذير من الانحراف عن منهاج النبوة، فإن البدع كلها كبيرها وصغيرها ضرة حانقة على سنة رسول الله ﷺ، ولهذا جاء التحذير منها في الكتاب والسنة وعلى ألسنة كل السلف، ومن اشتغل بالبدعة ودعا إليها فهو مقبوح جاهل عنيد حقير ضال مضل، أقام قلبه على غش الأمة وعدم النصح لها، فإن البدع كلها ما أقامها أصحابها إلا على أغراض دنيئة حقيرة، وأما النصح لله ولرسوله فقد هيأ الله له العلماء الصادقين المخلصين، فالبدع في واد وذلك في واد آخر.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه النفيس مفتاح دار السعادة[1]: "الوجه السادس والثلاثون: قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، قال الشافعي رضي الله عنه: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم.

وبيان ذلك أن المراتب أربع، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:

إحداها: معرفة الحق.

الثانية: عمله به.

الثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

---

1 (1/238-239).

الرابعة: صبره على تعلمه، والعمل به، وتعليمه.

فذكر تعالى المراتب الأربع في هذه السورة، وأقسم سبحانه في هـــذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحـــات، وهم الذين عرفوا الحق، وصدقوا به. فهذه مرتبة.

وعملوا الصالحات، وهم الذين عملوا بما علموه من الحق. فهذه مرتبـة أخرى.

وتواصوا بالحق، وصى به بعضهم بعضا، تعليما وإرشادا. فهذه مرتبـة ثالثة.

وتواصوا بالصبر، صبروا على الحق، ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه، والثبات. فهذه مرتبة رابعة.

وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفســه، مكملا لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه العلمية والعملية، فصلاح القوة العلميـة بالإيمان، وصلاح العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره، وتعليمـــه إيـاه، وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل.

فهذه السورة على اختصارها؛ هي من أجمع ســـور القـرآن للخـير بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ما سواه، شافيا من كل داء، هاديا إلى كل خير".

➢ الآية الثانية: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾:

هذه السورة من أوائل سور القرآن نزولا، بل اعتبرها جابر بن عبدالله رضي الله عنه أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ، قال البخاري[1]: حدثني يحيى حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير سألت أبا سلمة ابن عبدالرحمن عن أول ما نزل في القرآن قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ قلت: يقولون: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ فقال أبو سلمة: سألت جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا بما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت: دَثّروني وصُبُّوا عليَّ شيئا ماء باردا، قال: فدثَّروني وصَبّوا علي ماء باردا، قال: فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾.

وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد[2]: ثم أكرمه الله تعالى بالنبوة، فجاءه الملك بغار حراء، وكان يحب الخلوة فيه، فأول ما أنزل عليه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ

---

1 (4922/875/8).

2 (85-84/1).

رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ هذا قول عائشة والجمهور.

وقال جابر: أول ما أنزل عليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾.[1]

والصحيح قول عائشة لوجوه:

أحدها: أن قوله: «ما أنا بقارئ» صريح في أنه لم يقرأ قبل ذلك شيئا.

الثاني: الأمر بالقراءة في الترتيب قبل الأمر بالإنذار، فإنه إذا قرأ في نفسه، أنذر بما قرأه، فأمره بالقراءة أولا، ثم بالإنذار بما قرأه ثانيا.

الثالث: أن حديث جابر، وقوله: أول ما أنزل من القرآن «يا أيها المدثر» قول جابر، وعائشة أخبرت عن خبره ﷺ عن نفسه بذلك.

الرابع: أن حديث جابر الذي احتج به صريح في أنه قد تقدم نزول الملك عليه أولا قبل نزول «يا أيها المدثر»، فإنه قال: «فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء، فرجعت إلى أهلي فقلت: زملوني دثروني، فأنزل الله: «يا أيها المدثر» وقد أخبر أن الملك الذي جاءه بحراء أنزل عليه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ فدل حديث جابر على تأخر نزول ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ والحجة في روايته، والله أعلم.

والخطاب في السورة للنبي ﷺ، وغيره بالتبعية، وأمره له تبارك وتعالى بإنذار قومه هو أمر لكل من جاء بعد، والإنذار في اللغة العربية هو الإعلام المقترن بتهديد، وليس كل إعلام إنذارا، فدعوة رسول الله ﷺ إما ترغيب

---

1 مسلم (161/143/1).

وإما ترهيب، فالترغيب في الخير والدعوة إليه هو أسلوب القرآن المتزل من فوق سبع سماوات، والترهيب من الشر والموبقات هو كذلك أسلوب القرآن ودعوة الرسول ﷺ.

فالداعية إلى الله تبارك وتعالى مهمته أن يبين للناس مواطن الخير، والطرق التي توصل إليه، ففي الدنيا ما يكسبه المرء من استقامة على دين الله وفي الآخرة ما يكون سببا في دخوله جناته التي أعدها، والنظر إلى وجهه الكريم، ويبتعد عن كل طرق الضلال التي توقعه في كل مهاوي الشر والخسران في الدنيا، وفي الآخرة دخوله إلى دار العذاب جهنم التي أعدها الله للكفار والعصاة، أعاذنا الله من شرها.

فامتثل ﷺ أمر ربه، فقام في قومه فدعاهم إلى الله، وبين لهم مآل الموحدين والصادقين، وحذرهم وأنذرهم من الشرك والموبقات والمعاصي التي تكون سببا في دخولهم دار العذاب، فكل داعية إلى الله هو على منهاجه ﷺ، ينذر الناس ويحذرهم من الشرك بالله والبدع والمعاصي، ويأمرهم بالخير والتوحيد والطاعة لله سبحانه وتعالى، التي تكون سببا للفوز بالنعيم في جناته، والنظر إلى وجهه الكريم.

➢ الآية الثالثة: قال الله تعـــالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

هذه الآية الكريمة من أوضح الآيات في الأمر بالدعوة إلى الله تعـــالى، فالداعية إلى الله تبارك وتعالى يظهر دعوته ويبينها ويجهر بها في النـــاس، ولا يخفيها ويسترها، فبيان الحق للناس لا ينبغي أن يكون فيه خفاء ولا تستر، إلا أن ذلك ينبغي أن يكون بحكمة ورفق حسب موقع الداعية في المجتمع، فـــإن كان صاحب سلطان كالخليفة ونوابه؛ فالدعوة في حقـــهم بيـــان كـــامل، وإعلان لكل الناس، وحماية الدعوة إلى الله منهم بكل وســـائل القـــوة، وإن كان الداعية إلى الله فردا أو جماعة لا سلطان لها ولا قوة؛ فينبغي أن تسـير في دعوتها حسب إمكانيتها، ولا تعرض الدعوة إلى الله للعنف والإبادة، فإن هذا ليس من الحكمة في شيء، فالنبي ﷺ على جلالة قدره، وأنه مؤيد مـــن الله بالملائكة الكرام، ومع ذلك راعى الظروف والأحوال، فكانت دعوته كلـــها مبنية على التدرج والحكمة، فكان القدوة لكل الدعاة، فلا يفهم من الآيـة لا من قريب ولا من بعيد استعمال الوسائل المنكرة في الدعوة إلى الله تبـــارك وتعالى، فالداعية إلى الله محب للخير يسعى بكل جهوده في نشره، ولا يـــترك وسيلة من الوسائل المشروعة إلا استعملها، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة.

فالداعية إلى الله لا يبالي بأقوال المخالفين الذين يحاربون دعوته دعـــوة التوحيد، الذين لا يألون جهدا في إحباطه ورد دعوته بكل الوســـائل الـــتي

يملكونها؛ سواء كانت باللسان أو بالقلم، أو الدعايات الكاذبة المغرضة، أو بالتحريض عليه من قريب أو بعيد، فيعرض عنهم وعما ينشرونه من باطل، ويسأل الله تبارك وتعالى أن يكفيه شرهم بما شاء وكيف يشاء، وقد كفى الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ ذلك، فبعضهم نال جزاءه والنبي ﷺ في مكة، وبعضهم كانت نهايته قليب بدر، وخطاب النبي ﷺ لهم وإخباره لأصحابه بما هم فيه من العذاب المقيم، حتى يعلموا رضي الله عنهم أن عاقبة المحاربين لهذه الدعوة الخزي في الحياة الدنيا والعذاب في الآخرة، والداعية إلى الله مهما ضاق صدره من المكايد والمخططات السرية والعلنية؛ فعليه أن يلجأ إلى الله تبارك وتعالى، ويكثر من التسبيح والسجود له، ومن العبادات بكل أصنافها والابتهال والدعاء، فإنه القادر على كل شيء.

وعلى الداعية أن يكون طويل النفس، وأن لا يتراجع عن شيء من الحق والدعوة إليه مهما كلفه ذلك، حتى يأتيه الموت وهو على ذلك، فإن الموت لا محالة آت، فليكن على التوحيد واتباع السنة وطلب حسن الختام، نرجو الله تبارك وتعالى أن يختم لنا ولإخواننا بخير، وألا يفتننا في ديننا، وألا نرد على أعقابنا.

➢ الآية الرابعة: قال الله تعـــالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

هذه الآية الكريمة من أعظم الآيات وضوحا في فضيلة الدعــوة إلى الله، وهي على وجازة ألفاظها جامعة لأصول الدعوة إلى الله، فالأصل الأول هــو حسن القول واختياره، فإن الكلام في الدنيا كثير، ولو أحصى الإنسان كــل ما يتكلم به لوجد في يومه سجلات كثيرة، فضلا عن شهره وسنته وعمــره كله، ولا سيما من تأخرت به الحياة، ولكن العاقل من اختار لــه المنــهاج الأسمى والأولى، فإن استطاع أن يقصر أقواله وأفعاله وكــل مــا يكســبه بجوارحه على الدعوة إلى الله؛ لكانت الغنيمة في حياته، وكان هذا المنــهاج هو منهاج الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله لهذه المهمات، ولم يذكر الله تعالى في كتابه عنهم غير ذلك، بل ذكر الله براءتهم من كل ما يخالف هــذا المنهاج، فتبرءوا من المال على الدعوة، وتبرءوا من الجاه وحــب الرئاســة والظهور، وأخلصوا دينهم لله.

فأحسن الأقوال في الدعوة إلى الله؛ هو كتاب الله وسنة رســوله ﷺ، فمن دعا الناس بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ودعاهم إلى التوحيد الخــالص، وحذرهم من مضاده الشرك ووسائله، ودعاهم إلى السنة، وحذرهــم مــن مضادها البدعة ووسائلها.

فهذا أحسن الناس قولا وفعلا في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، على أن هذا المنهاج يحتاج إلى قدوة صالحة صادقة يظهر أثرها على الداعية إلى الله في

مخبره ومظهره، وذرياته أزواجه وأصدقائه وتلامذته، فلا تجده في كل خطوات حياته إلا في العمل الصالح؛ ولا يستنكف من دعوته ويتبرأ منها، ويجعل التقية منهاجه كما هو واقع كثير من الدعاة المنحرفين؛ بل يعلنها صريحة، ولا يخشى أحدا مهما عظم جاهه وسلطانه، ويقول دائما: إنني من المسلمين.

فالحمد لله الذي جعل هذا المنهاج واضحا يلقى من أعلى المنابر، وفي كل وسائل الإعلام؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

➢ الآية الخامسة: قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾[1].

هذه الآية الكريمة من الآيات التي اشتهر الاستدلال بها على الدعوة إلى الله تعالى، ومما تتميز به هذه الآية أنها جعلت البصيرة أساساً في هذا الأمر، وأن الجاهل مهما عظم شأنه في الدنيا؛ لا يمكن أن يكون داعية إلى الله تعالى، فالبصيرة التي هي كمال العلم وكمال الفهم وكمال التصور وكمال الحكمة، وكمال الصبر والحلم؛ فكل ذلك شرط في الدعوة إلى الله تعالى.

فالله تبارك وتعالى جعل دعوة رسول الله ﷺ كلها بصيرة، فهي كلها حجج وأحكام ومواقف وأوامر ونواهي وواجبات، فمن التزم بذلك كان على بصيرة، وكانت دعوته تابعة لدعوته ﷺ، ومن تهاون في اتباعه ﷺ في كل خطوات دعوته، واتخذ لنفسه منهاجاً انفرد به عن النبوة، ولم يتبع سبيله ﷺ ولا سبيل أصحابه في الدعوة إلى التوحيد والكتاب والسنة؛ فدعوته منحرفة لا خير فيها.

---

1 يوسف الآية (108).

➢ الآية السادسة: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[1].

هذه الآية الكريمة فيها الأمر للنبي ﷺ بالبلاغ حتى تقوم الحجة على العباد، فالعباد يحتاجون إلى من يبلغهم رسالات الله بكل الوسائل الممكنة، والنبي ﷺ استعمل جهده واستنفد قوته وطاقته، ولم تكن لحظة من لحظات حياته بعد نزول ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[2] في غار حراء خالية من البلاغ، فكل لحظات زمان النبوة كانت بلاغاً، وهذا القرآن عدد آياته ستة آلاف وبضع، وعدد سوره مائة وأربع عشرة سورة، وما تركه ﷺ لنا من أقوال وأفعال أصبحت الآن مسجلة في مجلدات، كل ذلك من بلاغه ﷺ، فبلغ ﷺ الرسالة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

وقام الصحابة معه وبعده، فبلغوا وفتحوا الأمصار وأقاموا أعلام الجهاد، ونشروا الكتاب ونشروا السنن، وكوّنوا الأجيال الصالحة العالمة بهذا الدين، وكذلك من بعدهم من التابعين، ومن تبعهم من الدعاة إلى الله، والمبلغين عن الله من قراء ومحدثين وفقهاء ومجاهدين، كلهم بلغوا عن الله، فتاريخ البلاغ بداية من النبوات والرسالات وأتباعها تاريخ مشرق، ونموذج صالح يقتدى به ويحتذى، ومنهاج البلاغ منهاج نبوي محفوف بالحفظ والدفاع، وأن الله تبارك وتعالى يحفظ صاحبه ويدافع عنه، فمن بلغ عن الله

---

1 المائدة الآية (67).

2 العلق الآية (1).

ونشر دينه حفظه بحفظه، وله أسوة في نوح عليه السلام، فإن الله حفظه من الغرق الذي كان عذاباً على قومه، وحفظ إبراهيم عليه السلام من نار قومه فجعلها عليه برداً وسلاماً، وحفظ ابنه إسماعيل من الذبح وفداه بذبح عظيم، وحفظ يونس عليه السلام من الغرق في البحر، وحفظه في بطن الحوت وسلمه من كل الآفات حتى خرج سالماً غانماً من كل الآفات مظللاً بشجرة اليقطين، وحفظ موسى عليه السلام من غوائل فرعون، وجعله منصوراً بإذنه تبارك وتعالى والعاقبة له ولقومه، وأغرق العدو وأشفى به غيظه، وحفظ يوسف عليه السلام في البئر مدة لا يعلمها إلا الله، وحفظه في سجنه وجعل العاقبة له، وحفظ محمداً ﷺ في مكة ويوم هجرته في غار ثور، وحفظه من كل مكايد قومه، ومن مكايد اليهود والنصارى والمنافقين، وحفظ الله تعالى لصحابته الكرام ولعلماء الإسلام تاريخ يطول سرده، فحفظ الله للمبلغين عنه فضل منه تبارك وتعالى، وقد شهد ببلاغه ﷺ كل الصحابة في أعظم موقف وأعظم يوم لما أشهدهم على نفسه، وقالت عنه زوجه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله؛ فقد أعظم على الله الفرية»[1].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية "عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له: إن ناسا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئا لم يبده رسول الله ﷺ للناس. فقال: ألم تعلم أن الله تعالى

1 أخرجه: مسلم (177/159/1) والترمذي (3068/245/5).

قال: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾، والله ما ورّثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء. وهذا إسناد جيد.

وفي صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبدالله السوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر.

وقال البخاري: قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم.

وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفا، كما ثبت في صحيح مسلم؛ عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: «أيها الناس! إنكم مسؤولون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فجعل يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول: اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت».

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «يا أيها الناس! أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال: أي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام.

قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حـــرام. قـــال: إن أموالكـــم ودمـــاءكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شـــهركم هذا، ثم أعادها مرارا، ثم رفع إصبعه إلى السماء فقال: اللهم هل بلغت، مرارا -قال: يقول ابن عباس: والله لوصية إلى ربه عز وجل- ثم قال: ألا فليبلـــغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفارا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض».

وقد روى البخاري عن علي بن المديني، عن يحيى بن سعيد، عن فضيل ابن غزوان، به نحوه.

وقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾، يعني: وإن لم تـؤد إلى الناس ما أرسلتك به، ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾، أي: وقد علم ما يترتب على ذلك لو وقع.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبـــاس: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾، يعني: إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته".[1]

1 تفسير ابن كثير (609/2).

➢ الآيـــة الســـــابعة: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1].

في هذه الآية أمر الله لنبيه محمد ﷺ بالدعوة إلى الله، وذلك بالحكمـــــة، والحكمة إذا أطلقت يقصد بها وضع الشيء في محله، فالداعية إلى الله هو الـذي يتعرف على أحوال الناس وطبقاتهم وشرائحهم وحاجياتهم؛ فيضـــع دعوتـــه حسب واقعه، ويبدأ بالأهم فالمهمن ويبدأ بما بدأ الله به، فـــلا دعـــوة قبـــل التوحيد، ولا طريقة قبل السنة، فتمام الحكمة نشر التوحيد والسنة بين الأمـــة، ودفع ما يضاد ذلك من الشرك والبدعة، وتأتي باقي الإصلاحات تبعا لذلـــك. فمن آثر دعوة قبل ذلك فقد خرج عن الحكمة، فلا يليق بداعية يرى أمة تعبـد الأشجار والأحجار والأصنام، وتستغيث بالموتى وتستعين بهم في الملمـــــات، وتطوف بهم وتصلي لهم وعندهم، وتعتقد فيهم النفع والضر، وتتعبد على غـير طريقة رسول الله ﷺ؛ فيدعوهم إلى الأخلاق وإلى أمور يراها قبـــل التوحيـــد والسنة؛ فإن هذا خروج عن الحكمة، وهي دعوة الجهال وأصحاب الدنيـــــا، ومن يريد تجميع الناس حوله على غير ما جمعهم رسول الله ﷺ.

وأما الموعظة الحسنة فلا شك أنها في كتاب الله وفي سنة رســـــول الله ﷺ، وفي أقوال وأفعال السلف الصالح رضوان الله عليهم.

فمن كانت السنة منهاجه والقرآن دليله واستدلاله، وكـــــان هـــدي السلف الصالح فهمه ومنهاجه؛ فهو صاحب الموعظة الحسنة.

---

1 النحل الآية (125).

وأما الجدال وهو محاجة كل خصم سواء كان من أهل الإسلام أو من غير أهل الإسلام؛ فينبغي أن تتصف بكل أسلوب نقي طاهر من الأهواء والنزوات الشخصية، فيكون الخطاب موافقا للصواب رادا لكل باطل، وبكل أدب ونزاهة؛ كما قال تعالى في أهل الكتاب: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، فكل من جادلته ينبغي أن يكون بينك وبينه ما يدعوه إلى مقاربتك ومحبتك، ولا يدعوه إلى مفارقتك والنفور منك قدر ما تستطيع؛ إلا أن يكون معاندا مغرضا، فهذا الأولى بك مفارقته والبعد عنه، وهذه وصية رسول الله ﷺ للأمة.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[2].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه؛ إلا أوتوا الجدل»، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ﴾[3]»[4].

---

1 العنكبوت الآية (47).

2 رواه أبو داود (5/150-4800/151) والترمذي (4/315/1993) وقال: "حديث حسن"، وابن ماجه (1/19-20/51).

3 الزخرف الآية (58).

4 أخرجه: أحمد (2/252) والترمذي (5/353/3253) وابن ماجه (1/19/48) وصححه الحاكم (2/447-448) ووافقه الذهبي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «المراء في القــرآن كفر»[1].

1 أخرجه: أحمد (2/286و424) وأبو داود (4603/9/5) وصححه ابن حبـــان (4/324-325/1464) والحاكم (2/223) ووافقه الذهبي.

➢ الآيـــة الثامنـــة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[1].

هذه الآية الكريمة من سورة آل عمران تدعو الأمة إلى أمر تتخصـــص فيه جماعة يتقنون أساليب الدعوة إلى الله فيعرفون كيف يتعاملون مع الواقـع، وكيف يحاورون الناس بالعلم النافع، والدعوة إلى الله بالحكمـــة والموعظـــة الحسنة، فيدعون الناس إلى الخير، ويأمرونهم به، ويحذرون الناس من المنكـــر وينهونهم عنه، فالمعروف اسم جامع للخير، والمنكر اســـم جـــامع للشـــر. والمجتمعات مهما بلغ رقيها فهي في حاجة إلى من يوجهها ويذكرها ويدلهـــا على الخير، فإن الإنسان بطبعه ينسى ويغفل، ولهذا كان النبي ﷺ لا يترك وقتا إلا وذكر أصحابه، وصقل أذهانهم وشحذ هممهم، وجعلهم دائما على أهبـة الاستعداد للخير. انظر إلى قول صاحبه العرباض بن سارية رضي الله عنـــه: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيـــون ووجلـــت منـــها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع، فمـــاذا تعـــهد إلينا؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه مـــن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فـإن

1 آل عمران الآية (104).

كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1]، وهكذا كانت خطبه وكلماته التي ما انقطعت طول حياته ﷺ. ويستفاد من هذه الآية وغيرها من نصوص الكتاب والسنة حكم الدعوة إلى الله، وأنها أمر واجب على من تأهل إلى ذلك، كل بحسبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية.. ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره، والقدرة السلطان والولاية، فذوو السلطان أقدر من غيرهم، وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم، فإن مناط الوجوب القدرة، فيجب على كل إنسان بحسب قدرته؛ قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[2]".اهـ

قلت: ويستفاد من كلام شيخ الإسلام: مراتب وأحوال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما يجب على الأب في أبنائه لا يجب على غيره ممن لا علاقة لهم بأسرته، وما يجب على الزوج في زوجه كذلك ممن ليس له قوامة على زوجه، وما يجب على الأخ الكبير لا يجب على الصغار الذين لا قدرة لهم ولا فهم، وهكذا المعلم مع تلامذته، والجار مع جاره، والرفيق مع رفيقه، والسيد مع خادمه، والإمام مع رعيته، وكل مسؤول مع من هو تحت مسؤوليته، فكل ذلك درجات وأحوال.

فهناك ما يقتضي التغيير باليد، وهناك ما يقتضي التغيير بالفم، وقد

---

1 أخرجه: أحمد (126/4) وأبو داود (4607/15-13/5) والترمذي (2676/44-43/5) وقال: "حسن صحيح"، وابن ماجه (43/16/1) والحاكم (96-95/1) وقال: "صحيح ليس له علة" ووافقه الذهبي.

2 التغابن الآية (16).

يعجز الإنسان عن التغيير بالفم واليد؛ فيكفيه التغيير بالقلب، فمن فعل شيئا ووضعه في غير محله خرج عن الصراط المستقيم وهدي النبي ﷺ وهدي السلف الصالح، فإنهم كانوا على حكمة يضعون الأمور في مواضعها.

قال ابن كثير رحمه الله: "والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه؛ كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]. وفي رواية: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2].

1 أخرجه: أحمد (10/3و22) ومسلم (49/69/1) وأبو داود (1140/678-677/1) والترمذي (407/4-2172/408) والنسائي (5023/486-485/8) وابن ماجه (1275/406/1) كلهم من حديث أبي سعيد وليس هذا الحديث من مسند أبي هريرة والله أعلم.

2 أخرجه: أحمد (458/1) ومسلم (50/70-69/1) والبيهقي في السنن (90/10).

➢ الآية التاسعة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

هذه الآية الكريمة من أعظم الآيات في فضيلة هذه الأمة أمة محمد ﷺ، وأن هذا الأمر من أعظم صفاتها التي مدحها الله بها، وإحياؤه في كل شخص أمر متعين -كل بحسبه- مع تخصص العلماء في العلم والتدريس، وتخصص القضاة في الحكم والتنفيذ، وتخصص المفتين في إصدار الأحكام عن الله وعن رسول الله ﷺ، وتخصص الحكام في ضبط الأمة والسهر على سيرها وقيادتها إلى دار السلام، ويبقى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيا في كل الأمة لا تسكت عن منكر تراه، ولا توافق على واجب قصر الناس فيه، وهكذا تكون المسيرة متعاونة متآخية من السلطان صاحب القوة والتنفيذ؛ إلى الفرد الغيور الذي يدل الناس على الخير، ويحذرهم من الشر؛ بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر على الأذى في ذلك.

قال ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: "يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال: "كنتم خير أمة أخرجت للناس. قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن ميسرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة: "كنتم خير أمة أخرجت للناس"، قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. وهكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والربيع بن أنس، وعطية العوفي: "كنتم

1 آل عمران الآية (110).

خير أمة أخرجت للناس"، يعني: خير الناس للناس.

والمعنى: أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس، ولهذا قال: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

وقال ابن جرير: وأما قوله"تأمرون بالمعروف" فإنه يعني: تأمرون بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بشرائعه، "وتنهون عن المنكر" يعني: وتنهون عن الشرك بالله، وتكذيب رسوله، وعن العمل بما نهى عنه. كما حدثنا علي ابن داود، قال: ثنا عبدالله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله "كنتم خير أمة أخرجت للناس" يقول: تأمرونهم بالمعروف أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وتقاتلونهم عليه، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف، وتنهونهم عن المنكر، والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر، وأصل المعروف كل ما كان معروفا ففعله جميل مستحسن غير مستقبح في أهل الإيمان بالله، وإنما سميت طاعة الله معروفا، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله، وأصل المنكر ما أنكره الله، ورأوه قبيحا فعله، ولذلك سميت معصية الله منكرا، لأن أهل الإيمان بالله يستنكرون فعلها، ويستعظمون ركوبها، وقوله"وتؤمنون بالله" يعني: تصدقون بالله، فتخلصون له التوحيد والعبادة.

➢ الآية العاشرة: قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1].

هذه الآية الكريمة هي من أعظم الآيات التي وصفت الرسول ﷺ وبينت أصول دعوته، ومن أهم ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ذلك أصل الأصول وحياة الأمم والرسل، والروح الذي إذا انقطع في الأمة بقيت جسدا بلا روح، الأولى بها المقابر والحفر، فإن الأمة بلا دين يدعوها إلى الخير ويحذرها من الشر؛ فهي أمة ميتة ولو كان أهلها بجميع طبقاتهم يمشون على وجه الأرض، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾[2] وكما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا

1 الأعراف الآية (157).
2 الأنعام الآية (122).

وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾[1].

فموت القلوب أعظم من موت الأجساد، والحياة حياة القلوب؛ كما قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[2].

وصفات الحياة والممات المعنوية في الكتاب والسنة كثيرة، فالمعاصي وعلى رأسها الشرك بالله موت أكبر وأعظم، فالطاعات لله تعالى هي الحياة، والاستقامة لدينه هي الروح المحرك للإنسان.

قال الشيخ ناصر السعدي: "وأنه يأمرهم بالمعروف وهو كل ما عرف صلاحه ونفعه، وينهاهم عن المنكر وهو كل ما عرف قبحه في العقول والفطر، فيأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم والحج، وصلة الأرحام وبر الوالدين والإحسان إلى الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق والصدق والعفاف والبر والنصيحة، وما أشبه ذلك.

وينهى عن الشرك بالله وقتل النفوس بغير حق، والزنى وشرب ما يسكر العقل، والظلم لسائر الخلق والكذب والفجور.

فأعظم دليل يدل على أنه رسول الله؛ ما دعا إليه وأمر به ونهى عنه وأحله وحرمه".اهـ

قلت: فلله دره ما أعظمها من كلمات تبين المأمورات والمنهيات، فأعظمها التوحيد والصلاح وسائر الأركان والأصول، وأعظم النهي الشرك

---

1 النمل الآية (80).

2 المطففين الآية (14).

بالله، فإن صاحبه لا يدخل الجنة أبداً ما أقام على الشرك ومات على ذلك، وبقية أصول المحرمات كقتل النفس والزنى وغير ذلك من الموبقات والمحرمات التي جاءت الشريعة بتحريمها؛ لما فيها من المهالك الدنيوية والأخروية. نسأل الله تعالى أن يجنبنا الموبقات.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: هذه دعوة الرسول ﷺ في الكتب المتقدمة، وهكذا كان حاله عليه الصلاة والسلام؛ لا يأمر إلا بالخير ولا ينهى إلا عن شر، كما قال عبدالله بن مسعود: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأرعها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه؛ ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة ما سواه، كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[1].

1 النحل الآية (36).

➢ الآية الحادية عشـــرة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[1].

هذه الآية الكريمة من سورة التوبة التي ذكرت المنـــافقين وصفـــاهم، وذكرت المجاهدين في سبيل الله وعظيم جزائهم؛ تبين أن المؤمنين جميعـــهم وحدة كاملة وجزء لا يتجزأ، فأخوهم أخوة الإيمان، وعلاقتهم علاقة القـربى والتقرب إلى الله بذلك، وبعضهم رحمة لبعض، وهم يد على من ســـواهم؛ كما وصفهم بذلك رسول الله ﷺ بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بـــالحمى والسهر»[2] وكما قال فيهم ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحـــب لنفسه»[3] وقوله ﷺ: «لا تؤمنوا حتى تحابوا..»[4].

وجعلت حرمة المؤمن أعظم من حرمة البيت الحرام؛ كما نقـــل عـــن

---

1 التوبة الآية (71).

2 أخرجه: أحمد (270/4) والبخاري (6011/537/10) ومسلم (2586/2000-1999/4) من حديـــث النعمان ابن بشير وفي الباب عن سهل بن سعد وأبي موسى الأشعري.

3 أخرجه: أحمد (176/3و251و272) والبخـــاري (13/78/1) ومســـلم (45/67/1[71]) والـــترمذي (2515/575/4) والنسائي (5031/115/8-5032) وابن ماجه (66/26/1).

4 أخرجـــه: أحمـــد (495/2) ومســـلم (54/74/1[93]) وأبـــو داود (5193/378/5) والـــــترمذي (2688/50/5) وابن ماجه (68/26/1).

بعض السلف. فلذلك كان كل تصدع في المجتمع فرداً كان أو جماعة يفضي لا محالة إلى التصدع في الباقي، فلذلك أمر المؤمنون بإصلاح ذات بينهم ونصرة بعضهم بعضاً، فهم جسد واحد وبيت واحد، فعمارة بيوتهم عمارة للأمة كلها، وخراب بيوتهم خراب للأمة كلها، فمن دل أخاه على خير برفق وسلوك حسن؛ فقد أصلح حاله وأصلح نفسه، ومن حذر أخاه من شر أو من أذى يلحقه؛ فقد أصلح أخاه وأصلح شأنه، فإن صلاح المسلم صلاح للأمة، وانحراف المسلم انحراف للأمة.

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية: "وأما المؤمنون والمؤمنات وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه؛ فإن صفاتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يقول: يأمرون الناس بالإيمان بالله ورسوله، وبما جاء به من عند الله، إلى أن قال: وقال أبو العالية: كل ما ذكره الله في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فالأمر بالمعروف دعاء من الشرك إلى الإسلام، والنهي عن المنكر النهي عن عبادة الأوثان والشياطين.

➢ الآية الثانيـــة عشـــرة: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۗ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧﴾[1].

هذه الآية الكريمة من سورة التوبة يمكن أن تعنون بعنوان كبير عريـض هو صفات دعاة الفساد والشرك في كل عصر، وهم المنافقون الذين يبطنـون خلاف ما يظهرون، فيبطنون الكفر والزندقة، ويظهرون الإسلام في حالـــة ضعفهم إذا لم يستطيعوا أن يرفعوا رؤوسهم ورأوا المصلحة في هذا الظـــاهر الذي يخدعون به الناس، والمنافقون في عهد النبي ﷺ كانوا يصلون بصلاتـــه ويزكون بزكاته، ويصومون بصيامه ويحجون بحجه، ووصفـــهم الله تعـــالى بقولـــه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾[2] وقولـــه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾[3] وقال الله عنـــهم وعـــن كبـــيرهم: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾[4]

---

1 التوبة الآية (67).

2 البقرة الآية (10).

3 البقرة الآية (11).

4 المنافقون الآية (8).

وقال الله عنهم: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧﴾[1] وقال الله عنهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾[2] وقال الله عنهم: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾[3] وذكر الله عنهم أنهم يسخرون بصحابة رسول الله ﷺ بقوله: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾[4].

وصفات أهل النفاق كثيرة متناثرة جمعها العلماء، من بينهم العلامة ابن القيم.

والمنافقون سلسلة لا نهاية لها كما قال الله تعالى في قوم نوح: ﴿إِنَّكَ

---

1 المنافقون الآية (7).

2 المنافقون الآية (1).

3 التوبة الآية (46).

4 التوبة الآية (64).

إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾[1]

فبقاؤهم في الدنيا بقاء الأرض والسماوات، فامتحن الله بهم البلاد والعباد؛ كما امتحن باليهود والنصارى والمجوس وأهل الشرك وعبدة الأوثان.

فمخططاتهم لضرب الإسلام لا نهاية لها، والمنافقون لا يفكرون فيما يصلح الأمة، وإنما تفكيرهم مربوط بشهواتهم وأهوائهم، فهم دعاة الدعارة والانحلال، وهم دعاة إبادة أهل الإسلام، وكم لهم من مخططات في تاريخ الإسلام، بداية من سيد الأولين والآخرين، ومروراً بعمر وعثمان وعلي حتى رسول الله ﷺ وبالحسن والحسين، وكل ما دبر في عهد بني أمية وبني العباس، وسقوط خلافة بني العباس كانت بمؤامراتهم، وكل فتنة في دار الإسلام فهي من تدبيرهم، ولا يتحاشون التحالف مع أي فئة هي عدوة للإسلام؛ كاليهود والنصارى وعبدة الأوثان وكل صاحب ردة، فهم لا يحللون ولا يحرمون، ولا يخشون إلهاً ولا يطمعون في جنة ولا يخافون النار، فيعتبرون كل ذلك خرافات وأساطير علقت بأذهان بعض البشر لتخلفهم، فيجب مسحها وإزالتها، وعلى الإنسان السوي أن يحيى حياة مطلقة لا تحليل فيها ولا تحريم.

فكل الوسائل التي تكسبه مالاً فعلها؛ كالربا والخمر والدعارة والمخدرات، والترويج لكل فساد وإقامة الإشهار له بكل الوسائل الإعلامية التي تمكن الناس من معرفته، وأكبر شاهد على ذلك واقع الأمم المعاصرة، فإنك تجد هذا المنهاج هو منهاج كثير من الناس الذين يزعمون الحضارة

---

1 نوح الآية (27).

والتقدم، والبراءة من كل دين فيه مصطلح (حلال) أو (حرام)، وقد انسلخوا من كل المروءات، وحاولوا الدخول على أهل الإسلام في كل ديارهم، وعزلوهم عن دينهم، واجتهدوا في التشكيك فيه وإسقاط ما يمكن أن يسقط منه بألوان مختلفة، نسأل الله تعالى أن يكفي المسلمين شرهم بما شاء، وكيف شاء وأن ينبه المسلمين إلى خطورة هذا النوع، فإنه نوع خطير تسابق إلى كل ما يمكنه من فرض مخططاته، ولله الحكمة البالغة؛ فإن المسلمين ناموا نومة طويلة عميقة، فاستيقظ العدو فسرق أبناءهم وضربهم بأيديهم، وحاربهم بمالهم وعتادهم وجعلهم لعبة في يده، نسأل الله السلامة والعافية، ومن أمعن النظر في هذه الآية يجد صدقها واقعاً على الأمة الإسلامية؛ فإن المنافقين دخلوا فيها دخول الداء في الجسد.

قال الحافظ ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ﴾ وهم الذين يظهرون للمؤمنين الإيمان بألسنتهم، ويسرون الكفر بالله ورسوله بعضهم من بعض، يقول: هم صنف واحد وأمرهم واحد في إعلانهم الإيمان واستبطانهم الكفر، يأمرون من قبل منهم بالمنكر؛ وهو الكفر بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به وتكذيبه، وينهون عن المعروف، يقول: وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله، وبما جاءهم به من عند الله.

➢ الآيـــة الثالثـــة عشـــرة: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[1].

هذه الآية الكريمة من سورة الحج، وهي آية فيها توجيه لولاة الأمـــور الذين مكن الله لهم بالولاية وقيادة البلاد والعباد، فمن تمام نعمـــة الولايـــة ورعاية شكرها وضمان استمرارها بعد توفيق الله تعالى هو ما ذكر في هـــذه الآية من أصول على ولي الأمر؛ الدعوة إليها والمحافظة عليها وحمايتها من كل ما يضادها، ومن ذلك إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الولايات الكبرى والصغرى لا بد فيها من محتسبين يتخصصون لهذا الغرض، يـأخذون على أيدي أهل الفساد والطغيان، ويحثون الناس علـــى إقامـــة الواجبـــات والمأمورات، حتى تقوم دولة الإسلام على إخلاص العبادة لله وحده، وطاعـــة من أرسله الله رحمة للعالمين، وطاعة ولاة الأمور الذين طاعتهم تابعة لطاعـــة الله ورسوله فإن طاعتهم فرض على كل مسلم، ولكن كما قال الرسول ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»[2].

---

1 الحج الآية (41).

2 أخرجه: أحمد (94/1) والبخـــاري (7257/289/13) ومســـلم (1840/1469/3[39]) وأبـــو داود (92/3-2625/93) والنسائي (4216/159/7).

➢ الآية الرابعة عشـــــرة: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾[1].

هذه الآيات من سورة الأعراف تحكي لنا قصة عجيبة فيها عبرة لمـــن اعتبر، وأن الله تعالى لا يحتال عليه؛ فإنه يعلم السر وأخفى، فإنه امتحن هؤلاء بالحيتان، فكانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم في اليوم الذي حرم عليهم الصيد فيه، وفي الأيام الباقية كانت تفر منهم، فكانوا يتحايلون عليها فيحبســونها، فيصيدونها في الأيام المباحة، وهذه الواقعة سياقها في بني إســرائيل، فكــان

1 الأعراف الآيات (163-167).

علماؤهم فيهم فرقتان: فرقة نهتهم عن هذا المنكر ووبختهم عليه، وأقامت عليهم الحجج والأدلة، وفرقة اكتفت بإنكار أولئك عليهم ونهيهم لهم، وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾.

قال السعدي: كأنهم يقولون لا فائدة في وعظ من اقتحم محارم الله، و لم يصغ للتحريم، بل استمر على اعتدائه وطغيانه، فإنه لا بد أن يعاقبهم الله بهلاك أو عذاب شديد.

فقال الواعظون: نعظهم وننهاهم ﴿مَّعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي: لنعذر فيهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: يتركون ما هم فيه من المعصية فلا نيأس من هدايتهم، فربما نجح فيهم الوعظ وأثر فيهم اللوم. وهذا هو المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل الله أن يهديه فيفعل لمقتضى ذلك الأمر والنهي. ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: تركوا ما ذكروا به، واستمروا على غيهم واعتدائهم؛ ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وهكذا سنة الله في عباده؛ أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر.

﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وهم الذين اعتدوا في السبت، ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ أي: شديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾.

وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ

﴿مُهۡلِكُهُمۡ﴾؛ فاختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم. والظاهر أنهم كانوا من الناجين؛ لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون.

فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية؛ إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فأبدوا من غضبهم عليهم ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة.

﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ أي: قسوا فلم يلينوا ولا اتعظوا؛ ﴿قُلۡنَا لَهُمۡ﴾ قولا قدريا، ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فانقلبوا بإذن الله قردة، وأبعدهم الله من رحمته. ثم ذكر ضرب الذلة والصغار على من بقي منهم فقال: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أي: أعلم إعلاما صريحا؛ ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي: يهينهم، ويذلهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ لمن عصاه، حتى إنه يعجل له العقوبة في الدنيا.

﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ لمن تاب إليه وأناب، يغفر له الذنوب، ويستر عليه العيوب، ويرحمه بأن يتقبل منه الطاعات، ويثيبه عليها بأنواع المثوبات.

وقد فعل الله بهم ما وعدهم به، فلا يزالون في ذل وإهانة، تحت حكم غيرهم، لا تقوم لهم راية، ولا ينصر لهم عَلَم.

فهذه القصة التي ذكر الله خبرها عن بني إسرائيل، فكذلك في أمة محمد ﷺ، فمن برأ ذمته وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر؛ فقد سلم وبرئ، ومن اكتفى بأمر غيره؛ فلا حرج، وإن تواطأ الجميع على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالمصيبة عامة؛ كما سيأتي ذلك صريحا في نصوص الرسول ﷺ.

➢ الآية الخامسة عشرة: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾[1].

هذه الآية الكريمة من سورة المائدة من أعظم الآيات في القرآن التي جاءت بالوعيد لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو قادر عليه، فلا أعظم من أن يلعن الإنسان، واللعنة هي الإبعاد والطرد من رحمة الله، ومن خرج من رحمة الله أين يذهب وأين يتجه؟

فالله تبارك وتعالى ذكر هذا الخبر عن بني إسرائيل الذين ظهر انحرافهم وانغماسهم في الشرك والمعاصي، وسكت علماؤهم وعقلاؤهم وكبراؤهم وأولو الحل والعقد منهم، فنزلت اللعنة عليهم من فوق سبع سماوات، فبلغهم أنبياؤهم ذلك: داود وعيسى بن مريم.

فمن فعل منكراً أو قال منكراً أو أمر بمنكر أو سكت عن منكر وهو قادر على تغييره بلسانه أو بيده؛ فإن غلب على أمره غير بقلبه، فإن فقد كل ذلك فلا شك في موت قلبه، ومن مات قلبه فالعذاب أولى به، كما فعل ذلك بالأمم السابقة، وكل أمة شاع فيها المنكر وأقره من لهم قدرة على التغيير فمآله مآل من سبق من الأمم. ولهذا صح عن الإمام مالك رحمه الله: يجب مغادرة الأمكنة التي يعلن أصحابها بالمعاصي؛ فإن العذاب إذا نزل لم

---

1 المائدة الآية (78).

يستثن أحدا. كما صح عن النبي ﷺ حين سئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث»[1].

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله.

﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾ أي: بشهادتهما وإقرارهما، بأن الحجة قد قامت عليهم، وعاندوها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الكفر واللعن ﴿بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾، أي: بعصيانهم لله، وظلمهم لعباد الله؛ صار سببا لكفرهم وبعدهم عن رحمة الله، فإن للذنوب والظلم عقوبات.

ومن معاصيهم التي أحلت بهم المثلات، وأوقعت بهم العقوبات؛ أنهم: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾ أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضا.

فيشترك بذلك المباشر وغيره، الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك.

وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم.

فلو كان لديهم تعظيم لربهم، لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه.

---

1 أخرجه: أحمد (428/6) والبخاري (3346/470/6) ومسلم (2880/2207/4) والترمذي (416/4-2187/417) والنسائي في الكبرى (1311/392-391/6) وابن ماجه (3953/1305/2).

وإنما كان السكوت عن المنكر -مع القدرة- موجبا للعقوبة؛ لما فيه من المفاسد العظيمة.

مفاسد السكوت عن المنكر:

منها: أن مجرد السكوت فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت، فإنه كما يجب اجتناب المعصية يجب الإنكار على من فعل المعصية.

ومنها: ما تقدم، أنه يدل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتراث بها.

ومنها: أن ذلك يجرئ العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي، إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور.

ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة الشر، فيعجزوا عما كانوا يقدرون عليه أولا.

ومنها: أنه -بترك الإنكار للمنكر- يندرس العلم، ويكثر الجهل. فإن المعصية مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها؛ يظن أنها ليست بمعصية، وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة.

وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم الله حلالا؟! وانقلاب الحقائق على النفوس، ورؤية الباطل حقا؟

ومنها: أن بالسكوت على معصية العاصين؛ ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض. فالإنسان مولع بالاقتداء بأحزابه، وبني

جنسه. ومنها ومنها...

فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة؛ لعن الله تعالى كفار بـــني إسرائيل بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم.

➢ الآية السادسة عشرة: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾[1].

يذكر تعالى في هذه الآية من سورة لقمان؛ من الحكم والأصول والقواعد على ألسنة الأنبياء والرسل، وعلى ألسنة عباده الصالحين، وهي عبارة عن وصايا وأصول في العبادات والسلوك والدعوة، ففيها قول لقمان لابنه: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ لما يعلم هذا العبد الصالح من أن العلم درجات، وأعظمها بعد القراءة والحفظ والفهم والعمل؛ أمر الغير بالخير وتحذيره من الشر. وهذا المنهاج يحتاج إلى صبر وحلم وطول نفس، وهذا من الأمور التي يعزم عليها ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم الذين باعوا دنياهم واختاروا أخراهم فهم الموفقون، وأصحاب العزائم الصادقة، والذين لا يرضيهم إلا أن تستقيم الأمة وينتشر فيها التوحيد والطاعات، وينمحي فيها الشرك والمعاصي؛ كما هو الشأن في أمنيات الرسول ﷺ وعزيمته، فكان يتضجر ويصيبه القلق من ذلك. قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ

1 لقمان الآية (17).
2 الشعراء الآية (3).
3 الحجر الآية (97).

إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾[1] ووصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾[2].

وآيات القرآن في بيانه وحرصه ﷺ على أمته لتكون في أحسن الأحوال كثيرة جداً. وقد أقر الله عينيه في حجة الوداع بأن جمع له من الأمة ما اكتملت فيها شروط الدولة الإسلامية بجميع مواصفاتها.

فالعلماء والخبراء والأغنياء والمجاهدون وأصحاب السياسة الشرعية؛ كلهم كانوا على جبل عرفة، وخطب فيهم خطبته الشهيرة، فكان بعدُ ما كان ففتحوا الأمصار، وأقاموا دولة الإسلام، ورفعوا راية التوحيد، وأقاموا شرع الله، وحموه بكل ما أوتوا، وخاضوا البر والبحر، وحملوا دعوة الإسلام إلى الفرس والروم، وغيرهم من أهل الكفر وعباد الأوثان، وبقي ورثتهم ينصرون هذا الدين جيلاً بعد جيل، وسيبقى ذلك إن شاء الله كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ.

---

1 الكهف الآية (6).

2 التوبة الآية (128).

** ***الأحاديث:***

وبعد، نسوق جملة من الأحاديث التي فيها الحث على الدعـــوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فمنها:

➢ الحديث الأول: عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديـــــه، يحـــب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقـــال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال: فأرسـلوا إليه فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي: يا رسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنـــا؟ فقال: تنفذ على رسلك حتى تنزل بســـاحتهم، ثم ادعـــهم إلى الإســـلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خير من أن يكون لك حُمْر النعم».[1]

والشاهد من الحديث: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»، وهذا الحديث العظيم في جملته الأخيرة بيان فضيلة الدعـــوة إلى الله، وأنها خير من كل مكسب من مكاسب الدنيا، ومثل رســول الله ﷺ في هذا الحديث بخيار الإبل، وهذا من مفاخر العرب التي كانوا يفتخرون بهـا وكل أمة لها مفاخرها التي تفتخر بها، وكل إنسان له مفاخره التي يفتخر بهـا

1 أخرجـــه: أحمـــد (333/6) والبخـــاري (4210/605/7) ومســـلم (2406/1872/4) وأبـــو داود (3661/69/4).

حسب وقته وزمانه وإمكاناته التي يملكها بكل وسائلها الحسية والمعنوية.

والرسول عليه الصلاة والسلام يجعل خير ما يكتسبه الداعية المسلم هو هداية الناس، ودلالتهم على التوحيد، وعلى حفظ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مهما كان العدد قليلاً، ولو كان المدعو واحداً ذكراً أو أنثى عبدا أو حرا، مسلما أو كافرا صغيرا أو كبيرا، فدعوة واحد وتوجيهه إلى الحق والتوحيد والسنة والقرآن؛ خير من ملء هذه الدنيا كلها، ولهذا كان حوص الأنبياء عليهم الصلاة السلام على دعوة أممهم، وكان نبينا من أكثر الناس حرصاً على دعوة أمته، حتى إن القرآن حكى عنه أوصافاً كثيرة تدل على كامل الاهتمام بالدعوة إلى دين الله، وعبادته وحده لا شريك له، وإلى تعليم الأمة ما ينفعها من خير وتحذيرها من كل ما يضر بها من شر، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾[3] وقال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ

1 التوبة الآية (128).

2 الشعراء الآية (1-3).

3 الكهف الآية (6).

هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾[1]

فحياته ﷺ العملية المفصلة تدل على حرصه الكامل على تبليغ أمته في كل لحظة من لحظات حياته ﷺ، فدعوته لأمته كانت بالليل والنهار، وفي السفر وفي الحضر، ولأزواجه وأقاربه وعموم أمته.

وهكذا إذا تتبعنا دعوته ﷺ نراه المثل الأعلى في الحرص على هداية أمته، فالدعاة إلى الله في كل زمان ومكان قدوتهم الرسول المصطفى ﷺ، فليحرصوا على هداية الخلق ما أتيحت لهم فرصة العمر.

1 النحل الآية (27).

➢ الحديث الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا».[1]

هذا الحديث العظيم يحمل رسالة مفتوحة إلى الأمة كلها بحكامها وعلمائها وشعوبها، يبين الرسول ﷺ فيه لأمته أن الدعوة دعوتان: دعوة إلى الخير والهدى، ودعوة إلى الباطل والردى.

فالأولى نفعها مستمر لصاحبها، لكل من انتفع بها على مر الدهور والعصور، وإلى أن تقوم الساعة، فكل من دخل في دعوة الحق واستقام على أمر الله؛ كانت كل أعماله الصالحة في ميزان حسنات الداعي إلى الله، ولو تباعدت القرون والأزمان، فأجور الأمة كلها في ميزان حسنات النبي ﷺ إلى أن تقوم الساعة، وإلى أن يلفظ آخر أهل الأرض نفسه بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهكذا الصحابة الكرام، وفي مقدمتهم الصديق إمام الهدى بعد النبي محمد ﷺ، والفاروق وذو النورين وأبو الحسنين، وكل الذين حملوا لواء الإسلام وفتحوا البلاد، واهتدى على أيديهم العباد، فأجورهم وحسناتهم مستمرة، وهكذا الدعاة بعدهم من التابعين وأتباعهم، وكل داعية إلى الله فأجور من دخل في دعوته في حياته وبعد مماته في ميزان حسناته، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ولا أعلم في باب الترغيب في الدعوة إلى الله مثل

---

1 أخرجه: أحمد (397/2) ومسلم (2674/2060/4) وأبو داود (4609/16-15/5) والترمذي (2674/42/5) وابن ماجه (206/75/1).

هذا الحديث العظيم الذي يفتح أبواب الخير مستمرة لصاحب الدعـــوة إلى الله، ولا تغلق ولا تُسد، والله تبارك وتعالى هو الذي يحرسها بعنايته وتفضلـه ومنه وكرمه، فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، ووفقنا للدعوة إلى ما دعا إليه نبيك محمد ﷺ، وإخوانه من الأنبياء، وأصحابه من الأخيـــار البررة الكرام الأتقياء وأتباعهم إلى يوم الدين، فاجعلنا في سلكهم مندرجـــين في صفوفهم، إنك على كل شيء قدير.

وأما الشطر الثاني من الحديث فيحمل رسالة مفتوحة واضحة البيان إلى كل حامل للواء الباطل والضلال؛ كأئمة الشرك والكفر والبـــدع صغيرهـــا وكبيرها فإن هؤلاء كلهم باب للشر، وقادة للإثم، ودعاة إلى أبواب جـــهنم، من أجابهم قذفوه فيها، ويبقى باب السوء والذنوب والأوزار مســـتمراً مـــا دامت هذه الدعوة تنخر عظام الأمم، وتسرطن أجسامها إما كفـــرا وإمـــا شركا وإما بدعة وإما زندقة، وكل هذه أبواب سوء؛ من دخلها هلك ومـــن قادها عُذّب، ولو لم يكن في هذا الباب إلا قوله تعـالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾[1] وقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح: «ليـــس مـــن نفس تقتل ظلماً؛ إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه سن القتل

1 النحل الآية (25).

أولاً»[1]؛ لكان ذلك كافيا في الزجر عن إحداث كل باطل وضلال، وعن الدعوة إليه. فكل رؤساء الكفر والضلال والبدع كالرافضة، ورؤساء الطرق الصوفية، ودعاة القبورية والأضرحة، ودعاة الدعارة والفسق والمجون، ودعلة التبرج والاختلاط، ودعاة التفسخ والانحلال، ودعاة القمار، ودعاة الشيوعية والاشتراكية؛ كل هؤلاء لهم نصيب من هذا الوعيد الشديد.

فنرجو الله تعالى أن يسلمنا وإخواننا من أن نكون رأساً في الضلالة والبدعة، ورأساً في الضلالة والشرك، ورأساً في كل باطل.

1 أخرجه: أحمد (430/1) والبخاري (7321/373/13) ومسلم (1677/1304-1303/3) والترمذي (2673/41/5) والنسائي (3996/94/7) وابن ماجه (2616/873/2).

➢ الحديث الثالث: عن تميم الداري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة. قلنا لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

هذا الحديث العظيم من جوامع كلمه ﷺ، وهو من أعمدة الدين؛ لأنه يحمل أعظم المعاني وأسماها، ويجعل هذا الخطاب من الأمة مركزاً في هذه الأصول، وهي كمال النصح. والنصيحة هي كمال الإخلاص للمنصوح له، فمن نصحته؛ فقد أخلصت له. قال الخطابي رحمه الله في معالم السنن[2]: "النصيحة كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له. ويقال: إن هذه الكلمة من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، فإنه ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة، حتى يضم إليها شيء آخر، كما قالوا في الفلاح: إنه ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه، حتى صار ليس يعدله شيء من الكلام في معناه، ولذلك قللوا: أفلح الرجل: إذا فاز بالخير الدائم الذي لا انقطاع له. ويقال: إن أصل النصيحة مأخوذ من قولهم: نصح الرجل ثوبه، إذا خاطه، والنصاح: الخيط، شبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بفعل الخياط، فيما يسده من خلل الثوب، ويلأمه من فتوقه، ويجمعه من الصلاح فيه. وقيل: إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبهوا تخليط القول والعمل من شوب الغش والخيانة بتخليص العسل من الخلط الذي فيه".

---

1 أخرجه: أحمد (102/4) ومسلم (55/74/1) والنسائي (176/7-177/4208-4209).
2 (189/1-190).

والنصح لله هو كمال الدعوة إلى دينه، وتوجيه الأمة إلى العناية بتوحيده وأسمائه وصفاته وتوقيره وتعظيمه، وأن حبه مختص به تبارك وتعالى لا يشركه فيه غيره، وبيان هذا الأمر بياناً مفصلاً؛ يجعل للمسلم كمال التصديق بما يجب في حقه تبارك وتعالى وما يليق به، وكمال عبوديته تبارك وتعالى، والتحذير من الوقوع في الشرك؛ كبيره وصغيره قولا وعملا.

وأما النصيحة لكتابه وهو القرآن الكريم؛ فكمال العناية به، وحفظه وتدبره وفهمه والعمل بمقتضى أوامره ونواهيه، والتصديق بأخباره ووعده ووعيده، ودعوة الناس إلى ذلك من غير كلل ولا ملل.

وأما النصيحة لرسوله ﷺ؛ فكمال الإيمان به ﷺ، وكمال حبه وكمال متابعته، واتباع خطواته في كل صغيرة وكبيرة، فلا ينبغي للمسلم أن يحيد عن عقيدة النبي ﷺ، ولا عن شريعته، ولا عن خلقه وسيرته ودعوته، وهكذا يكون رسول الله ﷺ أحب إليك من أبيك وأمك وأبنائك ومالك وعشيرتك وكل غال عندك، كما قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه؛ كما يكره أن يلقى في النار»[1] والذب عن سنته والدفاع عنها وتعظيمها صغيرة أو كبيرة، ومعاداة كل من يعاديها، ونصرة كل من ينصرها، ومفارقة أعدائها والنابذين لها والمحتقرين لشأنها، وهكذا يكون الإخلاص له ﷺ في كل لحظة من لحظات

1 أخرجه: أحمد (103/3) والبخاري (16/82/1) ومسلم (43/66/1) والترمذي (2624/16/5) والنسائي (5003/472-471/8) وابن ماجه (4033/1339-1338/2) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الحياة، وفي كل زمان ومكان.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين؛ فالدعاء لهم ومساندتهم في نصرتهم لدين الله، ونصحهم فيما خالفوا فيه الشريعة، والذب عنهم والدخول في جيوشهم لنصرة هذا الدين والدفاع عنه، والائتمار بأمرهم في ما بلغوه عن الله ورسوله، والانتهاء عما نهوا عنه فيما نهى الله عنه ورسوله.

وأما النصيحة لعموم المسلمين في شرق الأرض وغربها أبيضهم وأسودهم، عربيهم وعجميهم، قريبهم وبعيدهم؛ فهي دعوتهم إلى الله وبيان هذا الدين وذكر محاسنه وتحبيبه لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر كل بحسبه، وتحذيرهم من الشرك والبدع، ومن الموبقات والكبائر، وتحذيرهم من أعداء الإسلام على اختلاف أنواعهم، وتحذيرهم من رؤساء الكفر والضلال والبدع وتحذيرهم من كل طاغية يحارب هذا الدين بفكره وقلمه وصوته، وهكذا الصبر على جاهلهم والصبر على أذاهم، والإحسان إليهم جميعهم وعدم الولوغ في أعراضهم ودمائهم واغتصاب أموالهم؛ كما قال المعصوم ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه وعرضه»[1].

1 أخرجه: مسلم (2564/1986/4) وأبو داود (4882/196-195/5) والترمذي (1927/287/4-286).

➢ الحديث الرابع: عن أم سلمة رضي الله عنها في حديث هجرة الحبشة: "..وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم و لم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله، لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبدالله وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قال: فعدد عليه أمور الإسلام فصدقناه وآمنا، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك!! قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرا من (كهيعص). قالت: فبكى والله النجاشي حتى

أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم. ثم قال النجاشي: إن -هذا والله- والذي جاء به موسى؛ ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد".[1]

هذا حديث عظيم، يحمل منهاجاً كاملاً للداعية إلى الله، ويبين النماذج الصادقة التي عاشت الدعوة العملية، وأخذت منها التجارب الكافية، وكانت الدعوة خالصة صادقة يحملها أصحابها على قناعة كاملة وعلم بصاحب الدعوة وعلم بمنهاجه القويم ﷺ، وحفظ لما كان يناقض دعوته قبل مجيئه ﷺ، وذكر العقبات الكؤود التي يتعرض لها الداعية، ولكن بفضل الله ثم بفضل صدق الداعية يتجاوز هذه العقبات، وييسر الله له حارساً يحرسه من أعدائه، ويجعل الملوك تخضع لخطابه، ويكون لخطابه الأثر على المخاطبين، حتى تنسكب الدموع من أعينهم خشية لله وخشوعاً لكلامه تبارك وتعالى، كما قال الله تعالى في أتباع عيسى عليه وعلى بقية الأنبياء الصلاة والسلام: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾[2].

---

1 أحمد (202/1). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (24/6-27) وقال: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع". وقال شاكر (1740/180/3): "إسناده صحيح". وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في تعليقه على فقه السيرة للغزالي (121): "سنده صحيح".

2 المائدة الآية (83).

➢ الحديث الخامس: عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها؛ مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم».[1]

فصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي أوتي جوامع الكلم، وأقدره الله على أحسن الأساليب الدعوية، فيتكلم ﷺ في كل حالة بما يناسبها فما كان يحتاج إلى توضيح وضحه، وما كان يحتاج إلى تمثيل مثل له، وما كان يحتاج إلى توجيه لأمر معين وجهه، ولخطورة التواطؤ على المنكر؛ مثل رسول الله ﷺ بأخطر مثال يخوف به المتواطئين على المنكر، الذين لا يتكلمون ولا يكتبون ولا يُبيّنون، ولسان حالهم يقول: نحن راضون بهذا المنكر مقرون به والعياذ بالله. فهذا التمثيل بالسفينة التي تجري في البحر في كل ثانية من ثواني سير السفينة فعلى ربان السفينة ومساعديه وكل راكب في كل طبقات السفينة، أعلاها وأسفلها جوانبها ووسطها؛ أن ينضبطوا بكل التعليمات التي تضمن لهم السلامة بإذن الله، فإن خالفوا التعليمات سواء كانت المخالفة من القائد أو من مساعده أو من ركاب السفينة من أي قسم هم؛ فإن السفينة لا محالة تتعرض للغرق الذي لا يترك من ركاب السفينة عيناً تطرف ولا نفساً

1 أخرجه: أحمد (4/268و269) والبخاري (5/367/2686) والترمذي (4/408/2173).

يلفظ، والهلاك والغرق متحقق لا محالة.

فكذلك الأمة إذا لم ينتبه خليفتها وحاكمها القائد، ووزراؤها العقلاء وكل أولي الحل والعقد في جميع أطرافها إلى ما يحدث فيها من منكرات؛ فإن البلاء لا محالة آتٍ، ومن نظر في السير والتواريخ القديمة والحديثة؛ علم صدق ما أخبرت به الرسل، وتيقن صدق ما أخبر به سيد ولد عدنان في هذا الحديث العظيم، الذي ينبغي أن يكتب على باب كل مؤسسة حكومية أو شعبية، بل على كل بيت من بيوت المسلمين، حتى لا يهلكوا جميعاً ببيت واحد أو قرية أو مدينة، فإن المنكر من أعظم أسباب الهلاك كما قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1] وقال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[2] وقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

1 النحل الآية (112).

2 الإسراء الآية (16).

يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾[1] وغيرها من الآيات التي تدل على هلاك الأمم أفـــراداً أو جماعات، إذا تواطؤوا على المنكر حكامهم وعلماؤهم وعقلاؤهم؛ كما جـاء في الحديث: «أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث»[2].

فنسأل الله تبارك وتعالى أن ينجينا من الهلاك، وأن يجنبنا كل المنكـرات التي عمت البلاد والعباد؛ حتى صعب إنكارها باللسان، واحتاجت إلى قـــوة السلطان لتغييرها.

---

1 العنكبوت الآية (40).

2 تقدم تخريجه.

➢ الحديث السادس: عن أبي موسى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية. فرفع إليه رأسه –قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائما– فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا؛ فهو في سبيل الله عز وجل».[1]

حديث أبي موسى حديث عظيم في بابه، يبين الهدف من الجهاد في سبيل الله وهو إعلاء كلمة الله، ورفع أعلام التوحيد، ومحو الشرك والكفر بكل صوره، وإبادة الأصنام ومحوها من ظهر الأرض، وأن الجهاد ليس القصد منه سفك الدماء، واستعباد الأمم واستحلال الغنائم والأموال، وإنما القصد نشر القرآن والسنن، ومتى أذعنت الأمم وأسلمت لله رب العالمين؛ لا يجوز قتالها ولا سفك دمائها ولا أخذ أموالها.

قال ابن بطال: "إنما عدل النبي ﷺ عن لفظ جواب السائل؛ لأن الغضب والحمية قد يكونان لله فعدل النبي ﷺ عن ذلك إلى لفظ جامع، فأفاد دفع الإلباس وزيادة الإفهام، وفيه بيان أن الأعمال إنما تحتسب بالنية الصالحة، وأن الفضل الذي ورد في المجاهد يختص بمن ذكر".[2]

وجهاد أهل العلم والدعاة إلى الله إذا تقاعست الأمة عن الجهاد الذي قاده النبي ﷺ وأصحابه؛ فهو جهاد الدعوة ونشر الكتاب والسنة وبيان العقيدة، والتحذير من الشرك والبدع والكفر والموبقات بالتأليف والكتابة،

---

1 أخرجه: أحمد (392/4و397) والبخاري (123/296/1) ومسلم (1904/1512/3) وأبو داود (31/3-2517/32) والترمذي (1646/154-153/4) والنسائي (3136/34-23/6) وابن ماجه (2783/931/2).
2 الفتح (36/6).

وانتهاج كل وسيلة تدعو إلى الله، فإن هذا النوع من أفضل أنواع الجـــهاد، والغاية منه إعلاء كلمة الله، ودخول الناس في دين الله فرادى وجماعـــات، وتصحيح العقائد وتنقيتها من الانحرافات التي يلحقها الدخلاء بالإسلام. وأما القتال لغير إعلاء كلمة الله؛ فهو قتال أهل الجاهلية الذي يكـــون لأهـــداف دنيوية؛ كالاستيلاء على الأموال، وقتل الأنفس البريئة وغير ذلك، فإن هـــذا عدوان يبغضه الله ويحرمه.

➢ الحديث السابع: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله. قالوا: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره».[1]

هذا الحديث العظيم من الأحاديث التي تدل على كمال حكمته ﷺ، حيث وجه أمته إلى ما تحتاج إليه حسب حالها وزمانها وقدرتها، فبين ﷺ أن أفضل الناس الذي يجاهد بنفسه وماله، وفي هذه الجملة على قصر ألفاظها رسالة إلى كل الأمة في كل عصر وفي كل مكان؛ بأن أفضل المؤمنين من يجاهد في سبيل الله إذا احتيج إليه واستنفره الإمام، أو نزل العدو ببلده أو نذر نفسه للدعوة في سبيل الله في حالة السلم أو حالة الخوف والحرب، ولم يألُ جهداً في ذلك، وبذل قصارى جهده في تبليغ كلمة ربه إلى عباده، وإن كان له مال سخره لمسيرته الدعوية، وإن كان الجهاد قائماً بشروطه وأوصافه جعل ماله مطية للبلاغ عن الله وعن رسوله، وهذا هو كمال التضحية لمن وفقه الله، فالعالم الحق يبذل ما عنده من مال وما عنده من علم في سبيل نشر كلمة الله، والغني ينفق ماله على الدعوة والدعاة، وعلى تأسيس المدارس وطباعة الكتب ونسخ الأشرطة وكل ما يخدم أهداف الدعوة إلى الكتاب والسنة، وإذا كان جهاد العدو قائما وضع ماله تحت تصرف الإمام لتتقوى جيوش أهل الإسلام ومعسكر المسلمين. فنرجو الله تبارك وتعالى أن يجعلنا

---

1 أخرجه: أحمد (37/3) والبخاري (2786/7/6) ومسلم (1888/1503/3) وأبو داود 2485/11/3) والترمذي (1660/160/4) والنسائي (3105/11/6) وابن ماجه (3978/1317-1316/3).

ممـــن قـــال الله فيـــــهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾[1].

1 التوبة الآية (111).

➢ الحديث الثامن: عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم؛ كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة[2]: شبه ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالغيث، لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد، فإنها بالعلم والمطر. وشبه القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر؛ لأنها المحل الذي يمسك الماء، فينبت سائر أنواع النبات النافع، كما أن القلوب تعي العلم فيثمر فيها ويزكو، وتظهر بركته وثمرته. ثم قسم الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه، واستنباط أحكامه، واستخراج حكمه وفوائده:

أحدها: أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه، وفهموا معانيه واستنبطوا وجوه الأحكام والحكم والفوائد منه، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء -وهذا بمنزلة الحفظ- فأنبتت الكلأ والعشب الكثير -وهذا هو

---

1 أخرجه: أحمد (399/4) والبخاري (79/232/1) ومسلم (2282/1787/4) والنسائي في الكبرى (5843/427/3).

2 (248-247/1).

الفهم فيه والمعرفة والاستنباط- فإنه بمنزلة إنبات الكلإ والعشب بالماء، فهذا مثل الحفاظ الفقهاء، وأهل الرواية والدراية.

القسم الثاني: أهل الحفظ الذين رزقوا حفظه ونقله وضبطه، ولم يرزقوا تفقها في معانيه ولا استنباطا ولا استخراجا لوجوه الحكم والفوائد منه، فهم بمنزلة من يقرأ القرآن ويحفظه ويراعي حروفه وإعرابه ولم يرزق فيه فهما خاصا عن الله، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه).

والناس متفاوتون في الفهم عن الله ورسوله أعظم تفاوت، فرب شخص يفهم من النص حكما أو حكمين، ويفهم منه الآخر مائة أو مائتين.

فهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس فانتفعوا به، هذا يشرب منه، وهذا يسقي منه، وهذا يزرع. فهؤلاء القسمان هم السعداء، والأولون أرفع درجة وأعلى قدرا، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤﴾.

القسم الثالث: الذين لا نصيب لهم منه، لا حفظا ولا فهما ولا رواية ولا دراية، بل هو بمنزلة الأرض التي هي قيعان، لا تنبت ولا تمسك الماء، وهؤلاء هم الأشقياء.

والقسمان الأولان اشتركا في العلم والتعليم كل بحسب ما قبله ووصل إليه، فهذا يعلم ألفاظ القرآن ويحفظها، وهذا يعلم معانيه وأحكامه وعلومه.

والقسم الثالث: لا علم له ولا تعليم، فهم الذين لم يرفعوا بهدي الله

رأسا، و لم يقبلوه، وهؤلاء شر من الأنعام، وهم وقود النار.

وهم الآن مع الأسف هم الكثيرون الذين أعرضوا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واشتغلوا بما يخالفهما وما يضادهما؛ من علوم جاءت لحرب الكتاب والسنة وتشويههما والنتقيص من قدرهما، فنرجوا الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الطائفة الأولى التي أنبتت الكلأ والعشب الكثير، وانتفعت بعلم النبوة والرسالة، وشرح الله صدرها لذلك، ومضت في طريقها لنشر هذا العلم النافع الذي لا غنى للبشرية عنه، كما لا غنى لها عن النفس والهواء الذي لا تستطيع الأجساد أن تعيش بدونه. فرفع العلم الشرعي الذي هو الكتاب والسنة هو علامة الخراب، وأشر الموت موت الجهل، وليس من يسير على رجلين بحي، فكثير من الأحياء هم أموات في واقعهم، فمن لا يعبد الله ويقدره حق قدره ومن لا يتبع الرسول ويحبه ويعزره ويوقره ويقدره حق قدره؛ فهو لعمر الله شر من جيف الكلاب والقردة والخنازير، وعمارة القبور به خير من عمارة البيوت، فيستريح الناس من شره وأذاه، فمن لا يؤمن بالله ولا يتبع رسوله فهو امرؤ لا خير فيه.

اللهم اهد ضال الأمة وأرجعه إلى الطريق المستقيم بمنك وكرمك، فإنك القادر على كل شيء. والحديث له من الآيات ما يشبهه كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٢﴾[1] وقال:

---

1 الزمر الآية (22).

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1] وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[2] وقال: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾[3] وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[4].

1 الأنعام الآية (122).
2 غافر الآية (58).
3 النحل الآية (21).
4 النحل الآية (97).

➢ الحديث التاسع: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن قال له: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[1].

كان رسول الله ﷺ يهتم بأمته كلها في مشارق الأرض ومغاربها، من كان معه من الصحابة ومن يأتي بعد وفاته، فهو مبعوث إلى الأحمر والأسود وإلى الجن والإنس، فرسالته عامة لأهل الأرض كلهم، فبعثة معاذ إلى اليمن رضي الله عنه من هذا النوع، فأرسله ليبلّغ عنه رسالة ربه، ورسم له منهاج التبليغ، وبين له كفاءة الأمة التي يوجهه إليها، وأنها أمة عالمة ولا يناسبها إلا مثل معاذ بن جبل الذي عرف بتخصصه في معرفة الحلال والحرام، وأما المعتقد فهذا تخصص كل الصحابة بدون استثناء، وليس فيهم ضعيف فيه أو ناقص، فكلهم على درجة واحدة، ولما للمعتقد من أهمية؛ أمره ﷺ أن يبدأ بالدعوة إليه؛ لأن المعتقد عمود رسالته ﷺ وعمود رسالة الأنبياء قبله، وهو شرط في صحة العبادة كما أن الطهارة شرط في صحة الصلاة، ومن ساء معتقده ساءت عبادته وانحرف خلقه وتصادمت أفعاله وتناقضت أقواله، وأحاط به الهوى من كل جوانبه وعششت الشبه حوله، فلذا كان لا بد من تصحيح المعتقد وبناء الدعوة عليه في منهاج النبوة. والتفريط في هذا الأصل

---

1 أخرجه: أحمد (233/1) والبخاري (1395/333/3) ومسلم (19/51-50/1) وأبو داود (242/2-1584/243) والترمذي (625/21/3) والنسائي (1584/59-58/5) وابن ماجه (1783/568/1).

زلزلة وخلخلة ومخالفة لمنهاج النبوة. فالنبي ﷺ أرشد معاذا رضي الله عنه إلى البداءة بهذا الأصل، وألا يتجاوزه حتى يعلم أن الأمة تعلمته وفهمته وانقادت له، وهكذا على كل داعية إلى الله في كل عصر ومصر؛ أن يؤصل المعتقد حتى يحفظ ويفهم وينتشر وتحصل القناعة والكفاية للمخاطبين، وحتى تصير الأعمال كلها نابعة منه ومرتبطة به.

فإذا أتم ذلك فلينتقل إلى أصل ثانٍ في غاية الأهمية وهو الأصل التطبيقي لأصل المعتقد؛ فإنه يجمع بين القول والفعل، وكمال العبودية والتوحيد لله رب العالمين في الأقوال والأفعال.

فإن تقرر هذا الأصل وحصلت الكفاية بعلمه وتعلمه وتطبيقه وإقبال الناس عليه، وبناء المساجد له وتعيين الأئمة المقتدرين لقيادته؛ فلينتقل إلى الأصل الثالث وهو الدعوة إلى جمع الأموال التي فرضها الله في الزروع والثمار والحيوانات والذهب والفضة، كل بمقداره وبعد مرور الحول وتوفر النصاب، وأخذ المال من أوسط الأموال، وتوزيع ذلك على مستحقيهم من الفقراء، وهكذا ينتقل من أصل إلى أصل، وهذا هو التدرج في الدعوة. فالداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة يخاطب الناس حسب حالهم وواقعهم، ويبدأ بالأهم فالأهم، ولا يقدم مستحباً على واجب، ولا مكروهاً على محرم، فالدعوة إلى الله مستقاة من منهاج دعوته ﷺ، ومن لم يستق دعوته من دعوة رسول الله ﷺ ضلّ وأضلّ. وهذا واقع مشاهد؛ فإن كثيراً من الدعاة يزهدون في الأصول ويذهبون إلى أمور لو أخروها لكان هو الواجب عليهم. فنرجوا الله أن يوفقنا للسير على منهاج النبوة إنه سميع مجيب.

دعوة الأنبياء وصحابتهم ودعوة السلف الصالح من بداية الرسالة إلى يومنا هذا

الذي ينظر في تاريخ الأنبياء لا يجدهم يذكرون إلا بالدعوة إلى الله؛ بداية من نوح عليه السلام، وختاما بمحمد ﷺ، فكلهم كلفوا بهذه المهمة، وقد ذكر الله دعوتهم مفصلة في كتابه، حتى إن نوحا عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، دعاهم بالليل والنهار، وبالسر والجهار، ولم يترك وسيلة من الوسائل التي تمكنه من دعوتهم إلا واستعملها. وهكذا هود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام؛ كلهم بذلوا من النصح لأممهم، وأزالوا العذر وبرؤوا ذممهم، وجاهدوا في الله حق جهاده، وآخرهم نبينا محمد ﷺ الذي عظم أمره، وأصبحت دعوته منهاجا يقتدى به، وهو أسوة لمن جاء بعده، وصحابة الأنبياء جميعا قاموا بواجب الدعوة إلى الله، أما صحابة نبينا محمد ﷺ فقد ضربوا المثل الأعلى في التضحية والبذل، فبذلوا الأنفس والأموال والمهج، وتركوا الأوطان وفارقوا الآباء والأمهات، والإخوان والأخوات، والأعمام والأخوال، والأصدقاء والخلان، بل فارقوا كل قريب وبعيد في سبيل الدعوة إلى الله. وهكذا الدعاة بعدهم من التابعين ومن بعدهم، فكل هؤلاء أسوة الداعية وقدوته في القيام بالدعوة إلى الله؛ فإذا لم يقتد بهؤلاء فبمن يقتدي؟ هل يقتدي بالخونة الذين لهم علم لكنهم فضلوا القعود والكسل؛ وآثروا اللهو والركون إلى الدنيا الفانية؛ فباعوا دينهم وذمتهم بعرض منها قليل؟ أو

يقتدي بمن تحفظ وراوغ روغان الثعالب كي لا ينعت بأنه داعية إلى السنة؟ وإن كانت لهذا الصنف دعوة فهي مرتبطة بأغراض دنيوية ومصالح شخصية، تنتهي حيثما انتهت مصالحهم.

وأما المخلصون لدعوتهم فلا يقنعون إلا برضى الله ودخول الجنة، والنظر إلى وجهه الكريم، إذ هم على يقين تام أن الدنيا زائلة لا محالة، وأن ما أصاب الواحد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

فحذار أن يثقل الشيطان جناحك بنفخه ونفثه، ويحف طريقك بشبهه، فيمضي عمرك وما بلغت عن الله آياته، وعن رسوله ﷺ سنته، فإن الله محاسبك لا محالة، وتصدق عليك كل آيات الوعيد في كتمان العلم؛ والقعود عن تبليغ الخير إلى أمة محمد ﷺ. نرجوا الله أن يجعلنا من المبلغين لكتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يذهب عنا كيد شياطين الجن والإنس، إذ هم لكل داعية بالمرصاد، يثنون عزمه، ويحاولون تخويفه، ويأتونه بالظنون حتى إنه ليرى الجمادات من حوله جيوشا جرارة، ويظن أنه لو بلغ عن الله ورسوله تكاد تتخطفه الزبانيات لتضعه في الزنزانات، ولكن صدق الله العظيم القائل: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾. فهذا كله وهم لا حقيقة له، إذ الله حافظ أحبابه المبلغين عنه، وإن حصل لهم من الامتحان والابتلاء؛ فإنما ذلك طهرة ورفعة. ولله در الإمام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول: ما يفعل بي أعدائي، إن قتلوني فشهادة، وإن سجنوني فخلوة، وإن نفوني فسياحة. فقد مات رحمة الله عليه وخلف

للأمة آثارا علمية كانت سببا في تتابع الدعوات له، والترحم عليه أسكنه الله أعلى جنانه.

وأضحى هذا الإمام الجبل مثلا صادقا لطول النفس في البلاغ عن الله وعن رسوله، ومتابعة مهمة الدعوة مهما كلفت الظروف. فعلى الدعاة أن ينهضوا للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، على بصيرة من أمرهم، وأن لا يكون منهاجهم التهور والوقوع في أحضان التخبط المزري، والجري وراء المهاترات والمزايدات السياسية التي تجني على الدعوة الشر والأذى، ولا يحصل للدعوة منها إلا النكسة والإفلاس، والله المستعان.

انحراف الأمة عن الصراط المستقيم

من تجول في العالم الإسلامي وغيره، وجده يتشابه في كثير من واقعه، واقع مرير يدفع كل مسلم غيور مخلص صادق، إلى الدعوة وبذل ما يستطيع في إنقاذ ما يستطيع، خوفا أن يكون من الذين يخونون الله ورسوله، ويخونون الأمة والأمانة الدعوية التي كلف بها، وتصدق عليه كل نصوص الوعيد فيمن علم علما وكتمه، أو علم خيرا واحتكره؛ إذ أن التواني عن السعي نحو الإصلاح وحب الخير للأمة جمعاء، ليس من شيم ذوي النفوس الطيبة.

ويمكن إجمال هذه الانحرافات تمثيلا لا حصرا فيما يأتي:

1- ظهور الإلحاد وانتشاره بكل صوره، حيث أصبح معلنا عنه في معظم العالم وفي كثير من المنتديات. فأصبح دعاته يستغلون كل الوسائل التي يتمكنون منها، حتى إذا صارت لهم دولة وشوكة؛ أبادوا وقتلوا، وعتوا في الأرض فسادا؛ كما وقع في كثير من البلاد التي حكمها الملاحدة، إذ هدموا المساجد، وقتلوا العلماء، وأحرقوا كتب العلم، وهدموا المدارس الإسلامية الشرعية، وغيروا الأسماء التي لها علاقة بالإسلام، وحرقوا المصاحف، وأهلنوا الشعائر شر إهانة. وما تركوا وسيلة من وسائل الحرب على الإسلام إلا سلكوها.

وإن كنت في مرية مما نصف لك فاقرأ ما كتب عن تاريخ الإلحاد والملاحدة في كل زمان، وعندها سيصيب كل عاقل الذهول ويفاجأ بالفاجعة.

ومع الأسف الشديد نقل هذا الداء العضال إلى بلاد الإسلام، فتربع ناصروه على كل وسيلة تمكنوا منها ليسوموا العباد العذاب.

2- انتشار الشرك بكل مظاهره، حتى رجع بعض الناس إلى عبادة الأحجار والأشجار، وعبادة البقر والحيوان، بل إلى عبادة الشيطان!! ولا حول ولا قوة إلا بالله. أما العكوف عند القبور والمقبورين، وشد الرحال إليهم، وسؤالهم الشفاء والعطاء، وطلب البنين والبنات، وتقديم النذور والذبائح إليهم، والطواف بهم والدعاء عندهم؛ فقد أصبح ديدن الكثيرين الذين اخترعوا للمقبورين كثيرا من الأكذوبات ظنوها كرامات، وهي في الحقيقة طامات عقدية وأخلاقية.

ولا يعلم هؤلاء أن المستحق لهذه العبادات بحق هو الله تبارك وتعالى القائل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ والقائل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ والقائل: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ والقائل: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ والآيات الصريحة في ذلك كثيرة؛ تقطع وسائل الشرك بالله عز وجل في كل ذرة، ومع ذلك انتشر هذا المرض انتشارا فاحشا، وتبنته أمم لا يحصي عددهم إلا الله،

فأقسموا بالموتى والشرف والحجر والشجر عياذا بالله، مع ورود النص في ذلك عن الصادق المصدوق ﷺ القائل: «إن الله ورسوله ينهيانكم أن تحلفوا بآبائكم»[1].

3- انتشار البدع ودخولها في كثير من العبادات واختلاط أمرها على كثير من العوام، إذ أصبحوا لا يدينون إلا بالبدعة؛ يحسبونها سنة، فكثرت الموالد والمواسم، وأحدثوا في دين الله ما ليس منه، مع تحذير النبي ﷺ عن ذلك بقوله: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[2]. وقد ألف علماء الإسلام -خصوصا المالكية منهم رحمهم الله- في التحذير من البدع؛ كالطرطوشي وابن وضاح والشاطبي وابن الحاج وابن عبدالبر وغيرهم كثير. ومع بيان ذلك تجد المنافحين عن البدعة والمبتدعة كثيرا منهم يتمسح بمالك والمالكية.

4- انتشار الرفض -مع خطورته- في كثير من بلاد العالم حيث ملكوا دولا قديمة وجديدة، والآن يملكون كل الوسائل من قنوات وإذاعات، بل سفاراتهم في كل مكان قائمة على بث هذا السم الزعاف. وكفى خبثا بحاملي ألويته أنها معقودة على الوقوع في خيرة الخلق بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم الصحابة رضي الله عنهم؛ برميهم بالكفر والردة تارة، وبسبهم وشتمهم تارة أخرى؛ والله عز وجل يزكيهم من عليائه، ورسوله ﷺ يجعل حبهم والذود عنهم من الإيمان. ولكن مخازي هؤلاء جاءت على باهل

1 أخرجه: أحمد (8/2) ومسلم (1646/1266/3) والترمذي (1533/93/4).
2 تقدم تخريجه.

إذ هم ورثة الوثنيين المجوس، الذين أزال الإسلام ملكهم وأباد دولتهم.

فلا تسأل عن كتبهم وأشرطتهم التي ينشرونها، لبث عقائدهم الباطلة، التي لا تقل خطرا وقبحا عن اليهودية والنصرانية.

5- الطوائف التي فرقت شمل الأمة ولبست للناس لباسا سمته التصوف، وهو لعمر الله امتداد للرفض في كل أصوله وفروعه، عزل الأمة عن الواقع الذي ينبغي أن تعيشه، وأوقعها في التيه والضلال، ولو لم يكن من سيئاته إلا نشر القبورية ونشر البدع وتفريق الصف لكان في ذلك كفاية. وقد ألف أحد الدعاة المصريين كتابا ذكر أن في مصر وحدها أكثر من مائة طائفة. وألف أحد الكتاب المغاربة كتابا سماه 'الحقيقة التاريخية للتصوف' ذكر حقيقة نشأته، وبين أن القائمين على تأسيسه هم العجم الذين سلب ملكهم. فقال: "إننا نعلم أن التصوف قد ظهر في شخصيات هي الآن، وقبل الآن كانت قدوة من جاء بعدهم، وأغلب شخصيات هذه الطلائع ينتسبون إلى مدن فارسية، وإلى مدن متاخمة لبلاد الهند كأبي يزيد البسطامي وكالطاووس والترمذي والنيسابوري والبسطامي والششتري والرازي والكرماني والأصبهاني والروذباري والينوري والشيرازي وغيرهم.

ونعلم من جهة أخرى أن غزوات المسلمين إلى بلاد السند وأطراف الهند استمرت بعد فتح (كابول) في أيام معاوية بن أبي سفيان على يد المهلب ابن أبي صفرة الذي غزا (لاهور) وقام بالغزو بعده الحجاج بقيادة ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي الذي وصل بجيوشه إلى حيدر آباد السند.

ومما أخذه الصوفية عن البراهمة وغيرهم من الأمم الأخرى أن الهداية لا

يصل إليها العقل بمنطقه، وأن الوصول إلى الحقـــائق لا يتـــأتى إلا بمحـــض البصيرة، وهذا ما تورط فيه الإمام الغزالي، وإلا فما هي البصيرة؟ أليست هي خميرة العقل في الإنسان، ومن تصوف الهند (مذهب اليوجا).

واليوجا طائفة يفوق عددهم في الهند الثلاثة ملايين، يعذبون أنفســـهم بغية أن يظفروا بسكينة (المعرفة)، ولطريقهم مقامات شبيهة جدا بمقامـــات صوفية الإسلام وهي:

- موت الشهوة وتحرير النفس من كل رغباتها، وتمني الخير للكائنـــات جميعا.
- النظافة، والقناعة، والتطهر، والتقوى، والدراسة.
- تنظيم النفس ليفرغ عقله من شواغله استعدادا للخلاء القابل الـــذي يسبق التأمل.
- التجريد؛ قطع الصلة بين النفس وبين كل المحسات.
- التركيز؛ توجيه الانتباه في موضوع واحد ليتحرر العقل ويحس الجو الروحي للوجود على الحقيقة.
- تكرار المقطع (اوم) مثل الذكر هو هو عند الصوفية.
- تأمل الغيبوبة، وهنا يحمى من الذهن كـــل تفكـــير وينغمـــس في مجموعة الوجود.

وهل التصوف الإسلامي بعد هذا شيء آخر غير مذهب اليوجا؟".

6- رفع الحكم بما أنزل الله والاعتياض عنه بالقوانين الوضعية، وهـــذه كارثة كبرى حلت بديار المسلمين، ففصلتهم عن كتاب ربهم وسنة نبيـــهم

ﷺ، فلا يعرف المسلم أن له كتابا يحكمه ولا نبيا يتبعه، فأصبح القرآن كتاب الموتى والمقبرة والدفن والمآتم، وأصبح ذكر الرسول ﷺ مقرونا بالموالد والقصائد والأمداح الشعرية؛ لا يعدو مسح الوجوه والأعين والصدور عند سماع اسمه في ثنايا الأذان. فكثير منهم يجهلون وجوب المتابعة التفصيلية، وإن كانوا يعظمون رسول الله ﷺ ويحبونه -وهذا أمر مهم- ولا يعلمون أن شهادتهم له ﷺ بالرسالة مقتضية للتحاكم إليه في كل صغيرة وكبيرة.

7- الإعراض عن القرآن والسنة في كثير من المناهج التعليمية، حتى أصبح هذان المصدران نسيا منسيا، وقل حفاظ القرآن الكريم، ومات أكثرهم، و لم يجد الناس من يسد الثغرة التي تركوها إلا الطلبة المتخرجين من دور القرآن الكريم، أو بعض المدارس التي ما تزال معتنية بقراءة القرآن. وحاجة الأمة إلى حفظ القرآن حاجتها إلى إقامة الصلوات والجمع والجماعات والأعياد، وهذا ما لا يمكن أن يستغني عنه المسلمون.

8- انتشار الخمور والمخدرات والفساد بكل صوره، انقلب ليل الناس نهارا ونهارهم ليلا. وانتشرت من جرائه الفاحشة والقتل، وطلاق النساء، وهتك الأعراض. فزيارة قصيرة لبعض مجالس المحاكم تعطيك صورة واضحة عن هذا الموضوع، وتنبئك عن تردي الوضع إلى درجة دنية، فالآباء يبكون ومن الأبناء يتبرؤون، والقضاة يشتكون، ورجال الأمن كذلك. وإلى الله المشتكى.

9- انفصال الناس عن كتب السنة والقرآن والعقيدة الصحيحة، وانكبابهم على كتب الباطل والبدع، وإغراقهم في مطالعة الجرائد والمجلات

الفاسدة.

أليست هذه النماذج من الواقع المعيش؛ تدفع ذا الغيرة على هذا الديـــن وعن هذه الأمة المظلومة الغافلة، وعلى هذه البلاد إلى الدعـــــوة إلى الله وإلى كتابه وإلى سنة نبيه ﷺ؛ لأن فيهما كمال إصلاح الأمة والله المستعان.

أهداف تأسيس دور القرآن

الهدف الأول: العناية بكتاب الله:

إن دعوة دور القرآن بعد دراستها للأسباب التي دفعتها إلى التأسيس، والبداية بالدعوة إلى الله، رسمت لها أهدافا ترجو وتدعو الله تعالى أن تتحقق لها. وكل عمل لا يرسم له صاحبه هدفا منشودا، فإنه يتخبط ولا يدري أين يتجه، يمنة أو يسرة؟ أو أماما أو خلفا؟ فيبقى متحيرا تائها؛ ولكن رسم الهدف ومحاولة الوصول إليه دلالة على الصدق في العمل، وكمال حكمة الداعية إلى الله بعد توفيق الله وعونه، وطلب السداد منه والعون في كل خطوة يخطوها الداعية، وفي كل كلمة يخرجها، وفي كل ورقة يكتبها، وفي كل درس وخطبة وموعظة يلقيها، وفي كل حوار ومناظرة يجريها، يريد فيها إظهار الحق. وهكذا لا يسير الداعية إلى الله إلا بخطوات مرسومة، وهدف يحب أن يصل إليه، وإلا كانت دعوته لهوا ولعبا.

فمن الأسباب ومن دراستها دراسة فاحصة؛ ترسم الأهداف المنشودة من الدعوة التي انطلقت من تلك الأسباب، وأهم الأهداف التي يمكن أن يصل إليها الداعية إلى الله هي أهداف الرسول ﷺ؛ من تأسيس دعوته، وأهم هدف كان رسول الله ﷺ يسعى من أجل تحقيقه هو نشر كتاب الله في صفوف أصحابه، فكانت عنايته ﷺ بالقرآن عناية فائقة لا تضاهى؛ لا من حيث التلقي والفهم والعمل، ولا من حيث البلاغ، ولا من حيث الكتابة والتسجيل في اللخاف والجريد، وكل ما من شأنه أن يحفظ به القرآن. فما

من مدة مرت من بداية نزول الوحي إلا وكان للصحابة دوي في بيوتهم في حفظ القرآن ومراجعته، وكانوا يتلهفون رضي الله عنهم على سماع آياته، ويرجون المزيد منه حتى ظهر منهم حفاظ متخصصون عرفوا بحفظ القرآن كله، وقال في بعضهم رسول الله ﷺ: «من أحب أن يقرأ القرآن غضا طريا فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[1] وقال في الآخر وهو أبو موسى الأشعري: «لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»[2] لحسن أدائه وبراعته في تجويده، وكان الصحابة يعظمون من كان أحفظ لكتاب الله حتى قدموا الصبيان والصغار في الإمامة لحفظهم للقرآن. وقد أثر عنهم: (كان الرجل إذا حفظ فينا سورة البقرة جل في أعيننا)، وجعل النبي ﷺ أهم أوصاف الإمام هو حفظ القرآن كما صح عنه: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»[3] وقد اعتبر هذه الصفة في الدفن والقبر عندما يكون الدفن جماعيا فقال: «قدموا أقرأهم قرآنا»[4]. وغضب ﷺ لما بلغه قتل القراء ودعا على القتلة وقنت عليهم.

وهكذا تجد النبي ﷺ يعظم القرآن وأهله في كل لحظات حياته، وهذا من علامات نبوته، وأجمع العلماء قاطبة على أن القرآن هو أعظم الآيات في

---

1 أخرجه: أحمد (446/2) وأبو يعلى (6106/492-491/10) والبزار (2682/251-250/3 الكشف).

2 أخرجه: أحمد (349/5) والبخاري (5048/113/9) ومسلم (793/546/1) والترمذي (3855/650/5).

3 أخرجه: مسلم (673/465/1) وأبو داود (582/390/1) والترمذي (235/458/1) والنسائي (779/410/2) وابن ماجه (980/313/3).

4 أخرجه: أحمد (19/4و20) وأبو داود (3216/548-547/3) والترمذي (1713/185/4) وقال: "حسن صحيح". والنسائي (2009/81-80/4) وابن ماجه (1560/197/1).

الدلالة على نبوته ﷺ، وقال فيه: «ما من نبي من الأنبياء إلا أوتي ما آمن على مثله البشر وكان الذي أوتيه وحيا أوحاه الله إلي»[1] ولما انقطع عنه الوحي ﷺ خاف على نفسه ووقع منه ما وقع، ثم فتر أخرى فنزل قولـــه: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾[2] وعنايته ﷺ في مراجعة كتاب الله تجلت في قيامه بـــه بالليل، فكان معظم ليله قياما بكتاب ربه وقال له تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾[3].

وهكذا لو تتبعنا تاريخ الخلفاء ومن بعدهم في عنايتـــهم بكتـــاب الله حفظا ودراسة وفهما وكتابة؛ لخرجت في ذلك مجلدات، ويكفي قولة زيد لما كلفوه بجمع القرآن: «فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقـــل علي مما أمرني به من جمع القرآن»[4]. فلعظم المهمة ودقتها وورع الصحابـــة عن التقول على الله ما لم يقل؛ قال زيد بن ثابت تلك القولة، مع أن في هـذا العمل من الخير والحسنات ما يجعل زيدا ينشط له ويتسابق إليـــه، ولكـــن

---

1 أخرجه: أحمد (341/2و351) والبخاري (4981/3/9) ومسلم (152/134/1) والنســائي في الكــبرى (11129/330/6).

2 الضحى الآية (3).

3 المزمل الآيات (1-4).

4 هذا جزء من حديثه الطويل في قصة جمع القرآن، أخرجه: أحمد (10/1) و(188/5-189) والبخـــاري (4986/13-12/9) والترمذي (3103/265-264/5) والنسائي في الكبرى (8002/9/5).

الصحابة أوتوا ورعا وحكمة وخوفا من الله قل في غيرهم. ومن رحمة الله بهذه الأمة توفيق الله لأمير المؤمنين ذي النورين عثمان الشهيد رضي الله عنه؛ في ترك هذه المكرمة العظيمة تتمتع بها الأجيال على مر العصور والأيام، فأصبح عمله المبارك الطيب -الذي كان باقتراح من صحابة كرام- يعرف بالمصحف الإمام، وهو مرجع الأمة في كل ألفاظ القرآن، وكتابته ورسمه، ومن خرج عليه اعتبر محرفا لكتاب الله وشاذا، ولا عبرة به عند المسلمين.

فهدف دعوة دور القرآن ودعاتها كلهم هو حفظ القرآن وخدمته بكل أنواع الخدمات، من حفظ وترتيل وتجويد وإقامة الحلقات له في البيوت وفي المساجد إن أتيحت لهم الفرصة، وبناء مدارس له خاصة، وتوسيعها وتشييدها، والعناية بحلقاته وتفويجها وتنظيمها حسب الأعمار والمحفوظ، وكل صفة تجعل الترتيب دقيقا في تلقين القرآن لكل من يرغب فيه حسب ذكائه وعمره، حتى يؤدى ذلك على أحسن الأحوال، ومراعاة المدرسين الملقنين في كفاءتهم العلمية وعقائدهم وسلوكهم؛ لأن المدرس من أهم المصادر التي لها أثر كبير على التلميذ، فلا يليق بمنحرف في معتقده أو سلوكه أو ضعيف في تلقينه أو جاهل بقواعد كتاب الله وأوصافه أن يتولى تدريسه.

وكذلك العناية بفهمه ودراسة كل الوسائل اللغوية والحديثية والأصولية، وكل ما من شأنه أن يكون وسيلة لفهم كتاب الله.

فالهدف من دعوة دور القرآن هو أن يصل كتاب الله إلى كل الأمة بدون استثناء صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، ملكهم ومملوكهم. وأن يكون هو كتاب الأمة، وعليه يجتمعون، وفي فهمه يتدارسون، وبأوامره

ونواهيه يعملون، وبأخباره ووعده ووعيده يصدقون. وقدوتهم في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا إذا اجتمعوا تذاكروا كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ، فليس لهم كتاب غيره، ويرون شرفهم وعزتهم في حفظه وقراءته وتجويده وفهمه ومتابعته، فهم محفوظون بحفظه، وعدوهم مصدود بسببه، وهو حبل الله المتين، من تمسك به نجا، ومن انفصل عنه هلك وضلع قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[1] وقال أيضا: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾[2] وآيات الوعيد في الإعراض عن كتاب الله وتعريضه للضياع والنسيان واضحة كثيرة، فمتى أعرضت الأمة عن كتاب الله وضيعته؛ حل بها من البلاء والفتن والزلازل والقلاقل والجذب وإشاعة الفاحشة والاضطراب والاختلاف ما لا يعلمه إلا الله.

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا ممن حقق هدف خدمة كتاب الله بكل أنواع الخدمات فلا أعلم هدفا أسمى من العناية بكتاب الله ونشره، والتضحية من أجله بكل أنواع التضحيات الحسية والمعنوية ذاتا ونفسا. وهذا من أعظم أنواع الجهاد في سبيل الله، فأعظم المجاهدين في هذا الوقت هم الذين نذروا أنفسهم لخدمة القرآن في وقت تنكر له معظم الأمة، وخلت مناهجها منه -وإن وجد فعلى سبيل الندرة والقلة- وغدا كعابر سبيل لا قيلولة له ولا

---

1 الزخرف الآية (36).

2 الفرقان الآية (30).

مبيت؛ لأنهم لا يرون العزة فيه، ولا هو من مقومات حياتهم، ويستبدل بعلوم لو استغنى عنها الدارس ما أثرت على حياته في يوم من الأيام، بل هناك مواد دراستها من العبث، وقد توقع صاحبها في المخالفات الشرعية، وهي كثيرة مع الأسف في كثير من المناهج، فكل منهاج ينسب لأهل الإسلام لا تكون الحصة فيه لكتاب الله حصة الأسد، وفي كل سنواته ومراحله هم معرضون عن كتاب الله، وتصدق عليهم كل النصوص التي جاءت في الترهيب من هجره كما سبق.

الهدف الثاني: ضرورة الاهتمام بالسنة:

إذا أطلقت السنة فدائما يراد بها النبوة العلمية والعملية، وهي كل ما قاله الرسول ﷺ أو فعله أو أقره أو كان صفة له من باب الوحي. فدعوة دور القرآن جعلت من أهم أهدافها نشر السنة بكل جزئياتها في جميع الطبقات، ورأت بأن السنة لا يمكن الاستغناء عنها، فهي شارحة للقرآن ومفسرة له، وهي الحياة العملية لرسول الله ﷺ، ونشر السنة هو نشر للنبوة والرسالة، وفي نشرها خير وبركة وكل عمل كان على السنة كان مقبولا عند الله، وكل عمل خالف السنة كان مردودا على صاحبه. ولهذا جاء تفسير العلماء لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾[1] بأن العمل الصالح ما كان موافقا للسنة. وصح عنه ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا

1 الكهف الآية (110).

فهو رد»[1] وفي لفظ آخر: «من أحدث». وكثر في القرآن الأمر بمتابعة النبي ﷺ: قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[2]، وقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾[3]، وقلل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينًا ٣٦﴾[4]، وقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣﴾[5] حتى أحصى العلماء الأمر بطاعته ﷺ في القرآن فجاءت في أكثر من ستين موضعا. وألف علماء السنة كتب الاعتصام بالكتاب والسنة. فنشر سنة رسول الله ﷺ وحفظ متونها وفهمها وفقهها وتنزيلها على الواقع العملي، ودراسة أسانيدها وتمييز الصحيح من الضعيف والموضوع، وبناء المدارس لذلك وإقامة الحلقات وتكوين الشباب والشابات، ومراعاة التخصص في دراسة السنة؛ لهو من أعظم القرب التي يتقرب بها إلى الله. فدعوة دور القرآن رسمت لها هدفا تحب أن تصل إليه؛ هو نشر السنن وإقامتها مقام البدع التي انتشرت وعمت

---

1 تقدم تخريجه.

2 الحشر الآية (7).

3 آل عمران الآية (31).

4 الأحزاب الآية (36).

5 النور الآية (63).

وطمت، فتكون السنة هي القدوة في كل شيء؛ في المعتقد وفي العبادات وفي المعاملات وفي السلوك والتربية وفي العلم والتعلم وفي الحكم والاختـــلاف. وصاحب السنة هو الحكم الذي يحكم بين الناس فرادى وجماعات، وكل أمة لا ترى السنة حكما لها ولا تتحاكم إليها فهي متنكرة لنبيها ومتمردة علـــى ربها، ترى الهداية في غيرها، فبئست الأمة هي وبئس التصور، وبئس المنهاج. وحبها لنبيها -والحالة هذه- دعوة بلا برهان، فأين السنة في مناهج الأمـــة وعنايتها بها؟ فهل السنة هي ذكر للمصادر والمراجع؟ أو التبرك بقراءة بعـض كتبها؟ فهذا هزؤ ولعب. وكما قال القائل:

تعصي الإله وأنت تظـــهر حبـــه هذا لعمـــري في القيـــاس بديـــع
لو كان حبك صادقـــا لأطعتـــه إن المحـــب لمـــن يحـــب مطيـــع

وينبغي أن يكون المحب للنبي ﷺ قد ارتبطت محبته بمتابعته ﷺ، كما قال القائل:

أهل المحبة بالمحبوب قـــد شـــغلوا وفي محبتـــه أرواحـــهم بذلـــوا

فصدق محبته ﷺ هو بذل الغالي والنفيس في نشر سنته والعمـــل بهـــا وفهمها، والدعوة إلى ذلك، فمن كان يزعم حب النبي ﷺ ولا يعنى بمصـــادر السنة وكتبها وجعلها الحكم، كما قال تعـــالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

﴿قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[1] فزعم بلا برهان. فهذه الآية قاصمة الظهر لكل محب ينتسب للنبي ﷺ ويزعم حبه، وهو مفارق لسنته في كل أحواله في معتقده وعبادته وحاله وسلوكه وفي حكمه وقضائه، فليزن نفسه بهذه الآية إن كان صادقا وأما ادعاء حبه فهذه يستطيعها كل أحد كما قال أحدهم:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

فهدف النبوة والرسالة هو كمال الهداية، فمن لم يكن سببا في نشر النبوة فيما أوتي من علم وحكمة وجاه ومال؛ فدعواه فيها نظر، وكل بحسبه، فيجب على أمة الإسلام أن تتعاون على هذا الأمر العظيم، وهو نشر سنة رسول الله ﷺ، فنشرها وبثها عز وكرامة ورفعة وسؤدد وحفظ وأمن وأمان، فمن حفظ دينه حفظه الله، ومن ضيعه ضيعه الله؛ قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾[2].

فدعوة دور القرآن أثبتت أهدافها في نشر السنة، فعلى كل طالب وتلميذ وداعية ينتسب لهذه الدعوة أن يجتهد في نشر سنة رسول الله ﷺ، فهي من أعظم أهداف دعوته.

فنرجوا الله تعالى أن يسخر من الأمة من ينشر هذا الهدف، إنه سميع مجيب.

---

1 النساء الآية (65).

2 التوبة الآية (67).

الهدف الثالث: التعريف بالسلف الصالح والخلف الناجح:

لا شك أن دعوة الرسول ﷺ التي حملها ونصرها من بدايتها وإلى أن التحق بالرفيق الأعلى؛ هم صحابته الكرام فبذلوا المهج والأموال والأنفس والأهل والعشائر والوطن والبلد وكل ما يملكونه، فمنهم من قتل أباه وعمه ومنهم من قتل أخاه وقريبه في سبيل نصرة دعوة النبي ﷺ، ولم يكونوا خونة وغدرة في حياته ﷺ ولا بعد وفاته، بل اشتدت نصرتهم لدعوته بعد وفاته؛ وقيام الصديق في وجوه المرتدين والمتنبئين وأوباش الأعراب، وتنفيذه لوصايا رسول الله ﷺ ووعوده بعد وفاته؛ يدل دلالة قاطعة على صدق القوم، وأنهم أهل إخلاص وصدق وإيمان. ولم تقف دعوته ﷺ على ما وصلت إليه عند وفاته، بل خطت خطوات واسعة، فوصلت إلى كل أرجاء المعمورة؛ علما وعملا وقرآنا وسنة وفهما وعقيدة، كل ذلك بفضل الله، ثم بفضل أولئك الأسد الكرام البررة، الذين زكاهم من خلق السماوات والأرض، والذي لا تنفعه طاعة الطائع ولا تضره معصية العاصي، فهو الغني الغنى المطلق الذي لا يحتاج إلى الغير. فقوم كهؤلاء إذا لم يكن من أهداف الدعوة التعرف عليهم فلا خير فيها ولا في قيامها، فهي دعوة لقيطة لا أب لها ولا أم تعرف.

فالدعوة الحقة يجب أن يتصل سندها طبقة عن طبقة، وجيلا عن جيل، حتى يصل السند إلى المبلغ الأول والداعية الكبير، الذي نزل عليه الوحي من فوق سبع سماوات ﷺ، فلا يمكن التعرف على دعوته إلا بالمرور من هذه القنوات الفضية والأسانيد الذهبية.

فإذا كان ما سبق فلا غرو أن يكون من أهم أهداف دعوة دور القرآن

الالتصاق والتعرف والتعريف بالسلف الصالح، والخلف الناجح، الذين ساروا على درب الأولين الصادقين.

فدراسة سير السلف الصالح بداية من الصحابة رضي الله عنهم وتثنية بمن بعدهم لهو من الصراط المستقيم الذي لا محيد عنه لمن أراد أن يفهم دينه الفهم الصحيح، فمن قصر في هذا الباب ضل وأضل، وقطف الثمار في غير وقتها. وإن استعجل في أكلها كانت عليه ضررا ووبالا، وأمرضت جسمه وأمعاءه، وما نتجت الفرق الضالة وانحرف أصحابها عن الصراط المستقيم؛ إلا بابتعادهم عن منهاج السلف الصالح، فشقوا العصا عليهم ووقعوا في زلات وتأويلات أوقعتهم على أم رأسهم، فالاتصال بالسلف الصالح وتتبع مناقبهم وسيرهم؛ من أسمى الأهداف وأنبلها في دعوة دور القرآن.

فنرجوا الله أن يجعلنا على هديهم وطريقهم، وأن يوفقنا لتتبع مناقبهم وسيرهم، ومواقفهم العقدية والمنهجية والتربوية.

الهدف الرابع: تصحيح المعتقد:

كانت بعثة رسول الله ﷺ وإخوانه من الأنبياء أعظم أهدافها نشر المعتقد وتصحيحه، وكل نبي من الأنبياء عليهم الصلوات والسلام، وجد ركاما كبيرا من المخالفات العقدية، ووجد فئات كثيرة تركت عبادة الواحد الأحد، واتجهت إلى عبادة من لا يخلق ذرة ولا يخلق ذبابا، ولا يملك ضرا ولا نفعا، واختلفت أصنامهم وأشكالها، فكل قوم لهم صنمهم، إما نجوم وأقمار وشموس، وإما بشر أحياء وأموات، وإما أحجار وتماثيل، وإما حيوانات

وطيور ونمل وبراغيث. وأنواع الأصنام في كل زمان ومكان لا حصر لها، فهي عدد حبات الرمال وقطرات البحار. فهدف النبوة كلها هو إقامة التوحيد وإخلاص العبودية لله، فلهذا جند ﷺ حياته لهذه المهمة التي هي هدف رسالته، فأقام التوحيد وأزال الشرك بكل أصنافه، وقضى على الصنمية في كل ما حوله، وتحققت له عبادة الواحد الأحد ومن رجع إلى كتاب الله وتتبعه آية آية؛ يرى المعاناة التي قاساها رسول الله ﷺ في دعوته إلى التوحيد، فطهر الله به الجزيرة من عبادة الأصنام، وأباد أعلام الشرك في مكة والمدينة وغيرهما، وغلبت دعوته على الشرك وأهله، ودفن في قليب بدر أهم دعاة الشرك في مكة، وتتبع الباقي في الجزيرة، فمن أسلم لله وترك صنمه فله ما للمسلمين، ومن أصر على عبادة الصنم كان عليه ما على للمشركين الذين قال فيهم ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله»[1].

فهدف إقامة التوحيد وتصحيح المعتقد هو من أعظم أهداف دور القرآن.

وكان السلف رضوان الله عليهم يسمون هذا الهدف بالسنة، وكتبوا كتبا سموها بالسنة، ويقصدون بها تصحيح المعتقد. وصار الصحابة رضوان الله عليهم على منهاج النبوة في هذا الهدف العظيم، فما فتحوا مصرا إلا وطهروه من الأصنام والمعتقدات الفاسدة، وأقاموا القرآن وأعلامه، والسنة وأعلامها، وجعلوا أهم أهداف الفتح هو تصحيح المعتقد؛ كإمامهم وإمامنا محمد ﷺ. فلا خير في فتح لا يطهر الأرض من كل صنم، ولا يمحو كل

1 أخرجه: البخاري (25/102/1) ومسلم (22/53/1)من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن أبي بكر وأبي هريرة وأنس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبدالله وأوس بن أوس رضوان الله عليهم أجمعين.

باطل، ولا يقيم معتقدا نبويا، ولا ينشر قرآنا ولا سنة. ولكن بفضل الله معظم الفتوحات؛ كان هدفها ساميا في نشر القرآن وتصحيح المعتقد، ومحو الباطل. وبالرجوع إلى السير والتواريخ يرى ما فعله السلف الصالح والخلف الناجح في نشر المعتقد الصحيح، أما جماعة أو دعوة أو دولة لا تعنى بتصحيح المعتقد وتكرس الشرك والبدع والباطل بكل صوره؛ فلا خير فيها، وهي إلى الزوال لا محالة طالت الأيام أو قصرت؛ لأن سنن الله الكونية قضت أنه ما انتشر الشرك والكفر والباطل إلا أبعدت وأهلكت. ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[1] وقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[2] وقال أيضا: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[3].

---

1 الإسراء الآية (16).

2 النحل الآية (112).

3 العنكبوت الآية (40).

فالذنوب -وفي مقدمتها الشرك بالله والبدع- من أعظم أسباب الزوال، فقد ذكر الله أمما كثيرة كانت لها قوة، وكانت لها عدة وعدد فصارت كالأمس الذاهب، فلا أثر ولا خبر بسبب شركها وتمردها على نواهيه، فها نحن في وقتنا الحاضر نشاهد أمما كانت تزعم لنفسها العدة والعدد، فما مضى عليها إلا زمن قصير حتى أصبحت من أضعف الأمم وأحقرها، وأصبح الانتساب إليها مسبة وعارا، وانهارت وسقطت، وما بقي فيها من أطلال فهو في طريقه إلى الزوال بفأس القدر الذي لا يرد والقوة لله جميعا. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[1].

فعلامة الدوام حسن المعتقد، وإقامة شرع الله والذب عنه، وعلامة الخراب والزوال الجري وراء سننهم وأحكامهم، وها نحن نشاهد أعدادا هائلة من البشر وهم كما وصفهم الرسول ﷺ: «غثاء كغثاء السيل»[2] كافرهم ومسلمهم، فيضربون صدورهم بخناجرهم، ويضربون رؤوسهم بمطارقهم، ويقطعون بلاعمهم بسكاكينهم، ويؤذون أبناءهم ويهتكون أعراض بناتهم. ومن كذب فليسأل تجار المخدرات وأرباب معامل الخمور، ورؤساء العصابات التي تفتك بالليل والنهار، وتجار الأعراض والمروجين للبغاء والدعارة في الشرق والغرب. فكم من غارق عجز عن السباحة، وعجزت فرق الإنقاذ عن الوصول إليه، والمصائب تترى آناء الليل وأطراف

---

1 الذاريات الآية (58).

2 أخرجه: أحمد (278/5) وأبو داود (4297/484-483/4) وغيرهما. قال الهيثمي في المجمع (287/7): "رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه، وإسناد أحمد جيد".

النهار، وأعلنوا كثيرا من اللقاءات والمؤتمرات، ونظموا مجالس سموها بأسماء عن كثير من الهيئات، وكل ذلك سراب في سراب؛ كالمريض بأخبث أنواع السرطان، توضع له المهدئات، وحكم الطبيب بانتهاء حياته، ولكن أهله يظنون أن الحياة قد ترجع إليه وما ذلك على الله بعزيز. ولكن سنن الله الكونية والشرعية في الأمم والأشخاص حكمها واحد، كالليل والنهار والشمس والقمر، فمتى توفرت الشروط وقامت الأسباب وانتفت الموانع؛ قام حكم الله لا محالة، قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾[1] وقال: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾[2] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾[3] وقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[4] فصدق هذه الآيات يرى محققا في كثير من الأزمان قبل نبينا ﷺ وبعده.

---

1 النساء الآية (147).

2 آل عمران الآية (110).

3 المائدة الآية (66).

4 الجن الآية (16).

وقد أجمع المؤرخون على أن أعظم أزمان التاريخ الإسلامي بعد الرسول ﷺ وأبي بكر؛ كانت مدة عمر رضي الله عنه، وعلى طول حكمه كانت من أعظم أزمان التاريخ، وأصبحت مثلا يحتذى بها، وما تكلم فيها إلا المجوس الذين يدعون أنه سالب لملكهم وعزهم، ولا يرون كيدا أعظم من الطعن في أصحاب الرسول ﷺ، وهكذا لو نزلنا إلى أزمان أخرى بعد زمن عمر لوجدنا أزمانا ذهبية قامت على العدل والاستقامة، وتحقيق الهدف النبوي في تصحيح المعتقد وإزالة كل ما يخالفه. ولهذا كان أعظم الأهداف النبيلة التي تبثها دور القرآن الدعوة إلى تصحيح المعتقد، وبثه ونشره وتعميمه في كل أفراد الأمة، إذ –وبكل أسف– كثرت المخالفات العقدية؛ بداية من الإلحاد وإنكار وجود الله!! وأما الشرك وعبادة القبور والأحجار والنجوم وإتيان السحرة والكهان؛ فأمر لا يحصيه عدد؛ لكثرته كما سبق في بيان الأسباب، فلو تجند ملايين الدعاة في العالم الإسلامي، وساندهم ولاة الأمور بالخدم الصادقين الذين يريدون للأمة خيرا ما كانت تغطيتهم كافية لتحقيق هذا الهدف، فكيف مع الإعراض عنه، ولا تجد من يقوم به إلا الترر اليسير. لكن نقول كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[1]، فالاجتهاد في الإنقاذ قدر ما يستطيعه الداعي هو عين الحكمة والبصيرة، وهو تطبيق لأمر الله ورسوله. وأما اليأس والقنوط لما يشاهد من المخالفات العقدية؛ فهذا ليس من منهاج النبوة، فنسأل الله أن يلهم الأمة رشدها ويبصرها بالمخالفات

1 البقرة الآية (265).

العقدية، وأن يجعلها تعيش على التوحيد، وتحيا على الكتاب والسنة، فإنهما بهما تكون غنية لا حاجة لها إلى غيرهما. والله المستعان.

الهدف الخامس: تربية الأمة تربية صحيحة:

لا شك أن من أعظم الأهداف التي بعث بها ﷺ تربية الأمة على الفضيلة والتحلي بها. وقد قال ﷺ: «بعثت لأتمم محاسن الأخلاق»[1] فخلقه ﷺ كان يتصف به في كل خطوات حياته؛ مع الكافر والمسلم والعدو والصديق والقريب والبعيد، ورغب ﷺ في التربية على الخلق الحسن في غير ما حديث كحديث: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة؛ أحاسنكم أخلاقا»[2] بل سئل عن البر فقال ﷺ: «البر حسن الخلق»[3]، وكان مما يدعو به في ليله: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»[4] ومدحه الله تعالى في كتابه بهذه الصفة فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[5] وسئلت أم

---

1 أخرجه: أحمد (381/2) وذكره الهيثمي في المجمع (188/8) وقال: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح". وصححه الحاكم (670/2) على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

2 أخرجه: أحمد (193/4) والطبراني (588/221/22) وذكره الهيثمي في المجمع (21/8) وقل: "رواه أحمد والطبراني ورجال رجال أحمد الصحيح". وصححه ابن حبان (482/232-231/2).

3 أخرجه: أحمد (182/4) ومسلم (2553/1980/4) والترمذي (2389/515/4) وقال: "حسن صحيح".

4 أخرجه: أحمد (95-94/1) ومسلم (771/536-534/1) وأبو داود (760/483-481/1) والترمذي (3421/453-452/5) والنسائي (896/130/2) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

5 القلم الآية (4).

المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن)[1]. ولهذا كان من أهم أهداف دعوة دور القرآن تعليم هذا المبدأ، وتنشئة الناشئة عليه بكل أصنافهم وهذا الهدف العظيم هو مفتاح لكل خير، كما قال الرسول ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»[2]. ومن تتبع هذا الهدف في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ؛ يرى العجب العجاب ويكفي قوله ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم حسن الخلق»[3]، وقوله ﷺ: «إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة القائم الصائم»[4] وسئل ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»[5]. فدعاة دور القرآن وتلامذتها يتحلون بهذه الحلية النبوية، ويعطون لكل ذي حق حقه، فتراهم دعاة بررة مع أقاربهم وجيرانهم

---

1 أخرجه: أحمد (6/53-54) ومسلم (1/512-514/746) وأبو داود (2/87-88/1342) والنسائي (3/199-201/1600) وفيه قصة.

2 أخرجه: أحمد (6/206) والبخاري في الأدب المفرد (469) و(475) ومسلم (4/2004/2594) وأبو داود (3/7/2478) من حديث عائشة رضي الله عنها.

3 أخرجه: ابن أبي شيبة (8/331-332/5385) وأبو يعلى (11/428/710) والبزار (2/408-409/1977-1979 الكشف) والحاكم (1/124) وقال: "حديث صحيح". وتعقبه الذهبي بقوله: "قلت: عبدالله واه، وذكره الهيثمي في المجمع (8/22) وعزاه لأبي يعلى والبزار وقال فيه عبدالله بن سعيد وهو ضعيف". وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (3/411) وقال: "رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن جيد". وحسن الحافظ في الفتح (10/562) سند البزار.

4 أخرجه: أحمد (6/95) وأبو داود (5/149/4798) وابن حبان (2/228-229/480) والحاكم (1/60) من حديث عائشة وصححه ووافقه الذهبي.

5 أخرجه: أحمد (2/291) والترمذي (4/319/2004) وقال: "صحيح غريب". وابن ماجه (2/1418/4246) وابن حبان (2/224/476) والحاكم (4/324) وصححه ووافقه الذهبي.

وأصدقائهم، وهم موقرون لكبيرهم وراحمون لصغيرهم، وطائعون لولاة أمورهم، غير خارجين عنهم؛ لأن هذا من تمام الخلق فسوء الخلق لا خير فيه، ولا يأتي صاحبه إلا بالشر، ورب كلمة توقع صاحبها في النار سبعين خريفا، و لم يكن ﷺ فاحشا ولا متفحشا.

الهدف السادس: معرفة اللغة العربية:

كل شيء يشرف بحسب أصله وأوصافه وجماله، وكل صفة محمودة فيه فاللغة العربية شرفها الأكبر يتجلى في كونها لغة القرآن والسنة، نزل بها القرآن وحفظ بها، وتكلم بها الرسول ﷺ، وهي لغته الأصلية التي رضعها من ثدي أمه، وتربى على خطابها منذ ولادته، وإلى أن التحق بالرفيق الأعلى، فكل كلماته وحكمه وخطبه ورسائله كلها باللغة العربية، وهي لغة صحابته الكرام الذين نصروا سنته ونشروا دعوته في أرجاء العالم، فالعناية بها عناية بالقرآن والسنة، والطعن فيها طعن في القرآن والسنة والنبوة، وهي أعظم اللغات ثباتا على مر العصور، لم تتبدل و لم تتغير؛ بخلاف بقية اللغات، فقد لحقها من التبديل والتحريف الشيء الكثير، فترى التحريف والزيادة والنقصان مطردا، بخلاف اللغة العربية فهي اللغة الصالحة والمرشحة لأن تكون لغة العالم، لولا أن قومها خذلوها وتأخروا في نصرتها ونشرها ودراستها وإيصالها إلى بقية الأمم؛ كتهاونهم في نصرة الإسلام وخذلانه من وقت لآخر، وأعظم خذلان يشهده الإسلام ما نعيشه في وقتنا الحاضر، فالهجمات عليه والجبهات ضده ترمي بقذائفها وصواريخها حاملة شبها أعظم

خطرا من القنبلة النووية.

فدعوة لا يكون هدفها دراسة اللغة العربية ونشرها ونصرتها؛ لا تقوم على ساق، وإنما هي دعوة دَعِيَّة، فلذا كان من أمثل أهداف دعوة دور القرآن دراسة هذه اللغة المظلومة التي ظلمها الأعداء الأولون والآخرون، فوضعوا حولها كل الحواجز، ورموها بكل فرية، وسجنوها في زنازن كثيرة، ولكن يشاء الله إلا أن تحبط مؤامراتهم، وتصبح اللغة العربية أشرف اللغات وأوسعها وأقدرها على مسايرة الواقع بكل مخترعاته، والله المستعان.

الهدف السابع: جمع شمل الأمة على الحق:

لا شك أن من تمام صدق أي دعوة من الدعوات أن تفكر في جمع شمل الأمة على الحق؛ لأن جمع شملها هدف نبيل وأمر مطلوب، ومن فرق شملها أهلكه الله وشتت شمله، ولهذا كانت لغة السلف فيمن خرج على جماعة الأمة هي وصفهم بأهل الأهواء والبدع، وأهل الفتن والشذوذ. وصح عن النبي ﷺ الأمر بالجماعة والنهي عن الفرقة، ومن شذ شذ في النار، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية. فجمع شمل الأمة على التوحيد والسنة أمر مطلوب وهدف سام، ينبغي أن يجتهد في الوصول إليه، ولذا كان من أسمى أهداف دعوة دور القرآن الدعوة إلى جمع الشمل، والبعد عن الفرقة والتحذير منها، والاجتماع على الإمام مهما كانت صفته من النقص والجور والظلم؛ ما لم ير منه الكفر البواح، حتى تجتمع الكلمة وتتقوى الأمة، وتكون جبهة واحدة ضد عدوها، الذي يخطط لنسفها بالليل والنهار في كل لحظة من اللحظات.

فإنه لا يجوز للأمة أن تبيت ليلة واحدة بلا إمام، ولهذا كان الصحابة المثل الأعلى في هذا الباب، فما دفنوا رسول الله ﷺ حتى بايعوا الإمام. فمن دعا إلى الفرقة أو الخروج فهو من الشاذين الذين يريدون بالأمة سوءا، لكن ينبغي أن يكون الهدف في الدعوة لجمع الشمل هو جمعهم على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وعلى التوحيد الخالص لا على الشرك والبدع والموبقات بكل أصنافها، فهذا أمر الله بمفارقته؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾[1] وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾[2] وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ﴾[3] فآيات الاعتصام بفضل الله كثيرة، من قرأها عرف هذا الهدف وما يسمو إليه، وإلا فالاجتماع على الباطل حرمه الله، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ

1 الأنعام الآية (68).
2 الروم الآيتان (31و32).
3 الشورى الآية (15).

إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾[2] وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا رأوا منكرا في تجمع أو جماعة أو وليمة رجعوا مفارقة للباطل وللمنكر. وصح عنه ﷺ في حديث حذيفة: «فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها»[3]، فنرجوا الله تعالى أن يجمع شمل الأمة على كتابه وسنة رسوله ﷺ.

1 النساء الآية (140).

2 العصر الآيات (1-3).

3 أخرجه: البخاري (13/43-44/7084) ومسلم (3/1475-1476/1847).

المنهج العلمي لدعوة دور القرآن

لما بعث الله محمدا ﷺ كانت أول بداية نبوته باتصاله بجبريل عليه السلام في غار حراء، وكان لقاء جبريل بالنبي ﷺ مبتدأ بسورة (اقرأ) وفي البداية بهذه السورة ما ينبئ على أن الإسلام الذي سيبلغه رسول الله ﷺ منهاج علمي متكامل، وكان الأمر كذلك. فمدة رسالة رسول الله ﷺ في مكة والمدينة كانت علما وتعليما، وكل دعوته ﷺ مبنية على هذا الأصل، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾[3]، ولهذا كان ﷺ يتوقف في كثير من الحوادث التي تنزل به أو يسأل عنها حتى ينزل عليه في ذلك قرآن، وامتن الله في كثير من آيات القرآن على النبي ﷺ بالعلم الذي علمه إياه؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ وقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾

1 الفتح الآية (28).
2 البقرة الآية (129).
3 الأحزاب الآية (34).

وقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ إلى غير ذلك من الآيات. فدعوة رسول الله ﷺ قامت على العلم والعمل والفهم والبلاغ في كل خطواتها وكلياتها وجزئياتها، وحرم الله الكلام في دينه بغير علم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ وقال النبي ﷺ: «إن الله لا يترع العلم انتزاعا،

ولكن يقبضه بقبض العلماء»[1] وقال ﷺ: «قتلوه قاتلهم الله! ألا سألوا إذ لم يعلموا»[2]. وأجمع السلف قاطبة على هذا الأصل، وأن من لم يعلم الحكم بدليله فلا يحل له القول على الله بغير علم؛ من تحريم أو تحليل أو أمر أو نهي.

فالدعاة إلى الله في كل زمان ومكان هم خلفاء النبي ﷺ في البلاغ عن الله وعن رسوله ﷺ، فيجب أن تكون دعوتهم مطابقة لدعوته ﷺ حذو القذة بالقذة، وإلا لم تكن دعوتهم دعوة ربانية صادقة، بل تكون دعوة أهواء وآراء شخصية فيدعون لأنفسهم ولذواتهم ولمصالحهم، وكان من هذا النوع -مع الأسف- عدد كثير في القديم والحديث، تركوا منهاج النبوة واختاروا لأنفسهم مناهج أخرى انحرفت عن ذلكم المنهاج.

فدعوة النبي ﷺ تتجلى في صدقها في إبلاغ كل آيات القرآن بكل مواصفات الكمال في البلاغ قدر المستطاع، وفي إبلاغ كل ما أثر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي، أو له علاقة بالوحي، ثم تبليغ ما أثر عن أصحابه الكرام من أقوال وأفعال وتقريرات ووقائع ومواقف ومناقب وفتوحات، ودعوة إلى الله، وكل ما له صلة ببلاغ هذا الدين.

فإذا تقرر ما سبق فلا بد من رصد منهاج علمي متكامل يخدم الأهداف المرسومة لهذه الدعوة المباركة التي هي امتداد لدعوة النبوة والرسالة، وامتداد لدعوة السلف الصالح الكرام البررة.

---

1 أخرجه: البخاري (100/258/1) و(7307/349/13) ومسلم (2673/2058/4).

2 أخرجه: أحمد (330/1) وأبو داود (336/240-239/1) وابن ماجه (572/189/1) وصححه ابن خزيمة (273/138/1) وابن حبان (1314/141-140/4) والحاكم (165/1) ووافقه الذهبي.

والمنهاج العلمي الذي يضعه الداعية لخدمة هدف دعوته ينبغي أن يراعى فيه الزمان والمكان والأمة المخاطبة بكل طبقاتها، كما صح عن علي رضي الله عنه في الصحيح: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله» رواه البخاري في كتاب العلم من صحيحه. وقال ابن مسعود: (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة) رواه مسلم في مقدمة صحيحه. فمراعاة المخاطب في الخطاب مهمة، ولهذا جاء في حديث معاذ المشهور: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم»[1]. فمخاطبة أهل العلم المكتملين في فهمهم وعلمهم غير مخاطبة المبتدئين الذين لم يسبق لهم علم ولا تعلم ولا فهم، ومخاطبة الصبيان الصغار غير مخاطبة الكبار الذين تم نضجهم واكتملت عقولهم، ومخاطبة الذكر أحيانا غير مخاطبة الأنثى، فالخطاب دائما يراعى فيه المخاطب، ويراعى فيه الحال من زمان ومكان، وكل الملابسات التي تجعل للخطاب نفوذا أكثر، ولهذا كانت أروع الحكم في خطابات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأممهم في الدعوة إلى الله؛ من تتبعها في كتاب الله وجد منهاجا متكاملا يتعلم منه كيفية الخطاب وأولياته، ومن تتبع سيرة رسول الله ﷺ وفتاواه وتوجيهاته؛

1 رواه: أحمد (233/1) والبخاري (1496/455/3) ومسلم (19/51-50/1) وأبو داود (242/2-1584/243) والترمذي (625/21/3) والنسائي (1584/59-58/5) وابن ماجه (1783/568/1).

تعلم الدرر والحكم في البلاغ والخطاب، وأن الرسول ﷺ كان يراعي المخاطب وأحواله، فخطابه لأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين معهم علم غير خطابه للمشركين الأجلاف، الذين لا يعرفون غير رعي الإبل والغنم، وخطاباته ﷺ للصبيان غير خطاباته للكهول والشيوخ والكبار، وخطاباته للنساء غير خطاباته للرجال، وخطاباته في الحرب غير خطاباته في السلم، وخطاباته في انتهاك حرمات الله غير خطاباته في غيرها، وخطاباته في ظهور الانحرافات العقدية غير خطاباته في الأمور الأخرى، فكان ﷺ يترل كل خطاب مترلته، فهو إمام البلغاء وقائد الحكماء وسيد أهل الحلم والفضل. فاللهم صل على من أوتي من كل خير أحسنه، وأوتي من كل فضل أفضله.

فينبغي لواضع أي منهاج علمي، أن يراعي فيه كل ما سبق من إشارات، وأن يراعي فيه التدريج في التعليم والتلقين، وأن يأتي البيت من بابه، وأن لا يدخل من وراء ظهره. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[1].

ولله در من قال:

إذا أنت لم تدخل البيت من غير بابه ضللت وإن تدخل من الباب تهتد

ولا شك أن علم الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة اللذين عليهما مدار هذه الدعوة المباركة لهما وسائل وغايات، فمن لم يتقن الوسائل لا يصل إلى

1 آل عمران الآية (79).

كمال الغايات، ويقع في الزلقات والضلال، فلا بد من إتقان الوسائل إتقانا يمكن الداعية من الوصول إلى الغاية، فلذا اعتمدنا في وضع هذا المنهاج المتواضع هذا الأصل في كل ما نرسمه؛ لعل الله تبارك وتعالى يبلغنا مقاصدنا وأهدافنا.

على أن المنهاج العلمي الذي قد يضعه الداعية ليس هو العلم كله، فهو مجرد توجيه وتلقين في جزء من عمر الطالب فقط، حيث يتسنى له دراسة أصول العلم والتعرف على المنهاج الصحيح في دراسته وإتقان الضوابط، فالمدرس يبذل وسعه في التقريب واختصار ما يمكن أن يختصر، ووضع أصابع الفهم على ما يجب أن يفهم على حقيقته، وإيصال الطالب وتعريفه بالمصادر العلمية في كل باب يدرسه، وإلا فالعلم لا نهاية له، فمن زعم أنه أنهى العلم فهو أجهل الناس. وقد امتحن الله موسى بالخضر لما سئل عن أعلم الناس، فأسند العلم له و لم يسنده لله، وذكر الله خبره في القرآن، وشرح ذلك رسول الله ﷺ بقوله المفصل، وكان هذا درسا لكل طالب علم، ليسند العلم دائما إلى الله، ويتمثل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾[1]، ويتأسى بالملائكة في جوابهم ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ وبالرسل في قولهم: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾.

---

1 الإسراء الآية (85).

فمتى بدأ الطالب طلب العلم في أي مرحلة من مراحل عمره، حتى ولو كان ذلك عند بداية تمييزه، وأطال الله عمره إلى ما بعد المائة؛ فحري به أن يجعل هذه الفترة كلها علما وتعلما، وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم، وكلما جد الإنسان في طلب العلم تبين له الحاجة إلى المزيد، ويستحيل أن يأتي يوم من الأيام فيظهر الاستغناء عن طلب العلم. والنبي عليه الصلاة والسلام وهو إمام العلماء ومصدرهم في التلقي -ولا خير في علم لا ينتهي إليه-؛ كانت حياته كلها في التعلم بواسطة جبريل، وإلى أن لفظ أنفاسه الشريفة والتحق بالرفيق الأعلى وهو يعلم ويتعلم، ومن استغنى عن التعلم طرفة عين وزعم ذلك هلك، قال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ فما أمر بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم.

والعلوم كثيرة والوسائل كثيرة، فعلى العاقل والداعية الحكيم أن يبدأ بالأهم فالمهم، فلا يبدأ بما ينبغي أن يؤخر، ولا يؤخر ما يجب أن يقدم، فمن فعل ذلك حصل له من العناء والتعب ما لا يعلمه إلا من جرب ذلك. فيبدأ الداعية إلى الله في تعلمه وتعليمه دائما بما بدأ الله به، وأول ما بدأ الله به نبيه محمدا ﷺ هو القرآن، فأول آية تعلمها ﷺ كما سبق هي سورة (اقرأ) فمن اختار غير هذا المنهج لم يتبع طريقة النبوة والرسالة، ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يحرصون كل الحرص على تعليم أبنائهم كتاب الله في أول العمر، وكان حرصه ﷺ على إفراد القرآن بخصوصية الاهتمام واضحة في قوله: «لا

تكتبوا عني شيئا غير القرآن ومن كتب شيئا فليمحه»[1] حتى تتوجه همم الصحابة إلى حفظ كتاب الله، وكان ذلك كذلك، فظهر منهم الحفاظ المجيدون، والقراء الأئمة، وكل قارئ بعدهم إذا لم يتصل إليهم سنده فلا عبرة بقراءته.

فالداعية إلى الله ينبغي أن تتجه همته إلى القرآن تعلما وتعليما، وعليه أن يدرس كل الوسائل التي تؤهله لهذه المهمة، وألا يجعل في مقدمة دعوته غير العناية بكتاب الله، فإن العناية به فلاح ونجاح، وخير وبركة، والتقصير في هذا الباب غبن وخسارة وضياع، وداعية لا يعنى بهذا الباب دعوته دعوة آنية منتهية، أما دعوة القرآن فهي كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ فهدي النبي ﷺ وهدي السلف الصالح جميعا من أولهم إلى آخرهم هو العناية بكتاب الله من جميع الوجوه.

القرآن وعلومه:

لا شك أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن كما أنزل، وأكرمه الله تعالى بكمال العلم بكتابه، فقراءته هي القراءة بكل أوصاف الكمال من مخارج وصفات وترتيل وتجويد، وصحابته الكرام الذين تلقوا عنه كانوا على أثره في كمال القراءة والتجويد والترتيل والفهم والعلم.

---

1 أخرجه: أحمد (3/12و21و39و56) ومسلم (4/2298-2299/3004).

ولما بعد العهد ودخل اللحن على الأمة، واختلط بها العجم من كل جهة ومن كل صنف، وطال الفصل بين الطبقات، وقع الخلل في الأداء، فاضطر العلماء إلى معالجة ذلك، فحاولوا أن يستنبطوا قواعد للقراءة، وضوابط وشروطا وأوصافا يلتزم بها القارئ ولا يخرج عنها، ومن خرج عنها انحرف وحرف فصاغوا ذلك في متون ومنظومات، وكثرت وتنوعت، وكل اجتهد في تأليفه بحسبه وحسب الزمان وحسب المقتضيات، وهي كما سبق كثيرة جدا في القديم والحديث.

فاختارت دعوة دور القرآن لأبنائها مجموعة من المتون في هذا الباب، يلقنها المعلم في الحلقة التي يدرس فيها، وراعت في هذه المتون الشهرة والانتشار، والسهولة واليسر في اللفظ والفهم، والتدرج في التلقين، فأول ما يلقن للطالب من ذلك: 'تحفة الأطفال' للشيخ سليمان الجمزوري، فإذا تبين للمعلم أن الطلبة أتقنوا هذا المتن، وأتقنوا أداء قواعده وطبقوها على مقروئهم ومحفوظهم القرآني؛ انتقل بهم إلى 'متن الجزرية' فأكد لهم ما سلف في المتن السابق، وأضاف الجديد بزيادة من التفصيل على طريقة التدرج في التلقين، فإن أتقنوا هذا المتن بكل ما في الكلمة من معنى، وأجرى عليهم من أنواع الاختبارات الشفوية والكتابية التي تعطيه اليقين بإتقانهم؛ فإنه ينتقل بهم إلى المتن الثالث متن 'الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع' لابن بري، وهو متن أوسع مما سبق وأطول، وقد روعي فيه واقع البلد، فإن بلد المغرب من عهود طويلة اعتمد رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، وهذا المتن مؤصل لهذا المعنى، فيتخصص الطالب في دراسة الخلف بين ورش وقالون، حتى يتمكن

من حسن الأداء، ويضاف إلى ذلك متن رابع وهو متن 'القول الأصدق فيما خالف فيه الأصبهاني الأزرق' فيقف الطالب على الخلف الواقع بين الأزرق والأصبهاني في رواية ورش عن نافع حتى يتقن الطريقين معا، ويكون بذلك أتقن رواية ورش من طريقين؛ إضافة إلى رواية قالون الراوي الثاني عن نافع، فقراءة هذه المتون من أعظم الوسائل التي يجب على الطالب أن يتقنها، حتى يقرأ بهذه الروايات ويؤديها بحسن أداء، ويتقرب إلى الله بذلك، ولا يزيد ولا ينقص فيما رسمه هؤلاء الأئمة وأصلوه وقعدوه، فالغاية محمودة ومأجور عليها، والوسيلة قربة ومثاب عليها، ومن أتقن الوسيلة أتقن الغاية، ومن ضيع الوسيلة ضيع الغاية. ومن الوسائل التي تعنى بها دعوة دور القرآن لدارسة كتاب الله: المحافظة على رسمه، فإن معرفة رسم القرآن من أهم الأمور التي ينبغي أن يراعيها حافظ كتاب الله، فإن القرآن له رسمه الخاص الذي لا يخضع لأي مقياس من المقاييس الكتابية، فهو منقول عن المصحف الإمام، لذا يجب التقيد به على مر الدهور والعصور، حتى لا يتعرض كتاب الله للتلاعب به وإخضاعه إلى بعض الميولات والأهواء. وأهم متن وأجمعه في هذا الباب هو المنظومة الموسومة بـ'مورد الظمآن في رسم القرآن' للخراز مع شرحه 'دليل الحيران' للمرغيني.

ومن أهم الوسائل التي تعين على فهم القرآن وتدبره، العناية بعلوم القرآن التي أفردها العلماء بالتأليف تقريبا لهذا الموضوع وتأصيلا له، حتى يكون المفسر على بينة من أمره في هذه الأصول، فإن إتقانها مهم في التعامل مع كتاب الله، وأوسع كتاب ألف في هذا الباب هو كتاب 'البرهان'

للزركشي وقد اختصره السيوطي في كتابه 'الإتقان في علوم القـــرآن' وزاد عليه. وقد ألف المعاصرون الكثير من الكتب في مبـــاحث هـــذا البـــاب، وعمدتهم جميعا ما ألف في السابق، فمباحث علوم القـــرآن هـــي مبـــاحث استقرائية لا يستغنى عنها في فهم كتاب الله، وقد اعتنى الدعـــاة في تعليـــم الناشئة في دور القرآن بهذا الأصل، وخصصوا له حيزا من وقتهم، وتدرجـــوا بالناشئة في تلقينه، فيبدأون لهم بالأدنى فالأعلى، فإذا رأوا أن الطالب أتقـــن جزءا من ذلك بعد إجراء الاختبارات الكتابية والشفوية؛ انتقلوا به إلى الجـــزء التالي، وهكذا حتى تتم دراسة مباحث هذا الباب كلها متقنة بطرقها التربوية المتكاملة، ويظهر للمعلم أن الطلبة أتقنوا هذا الباب.

فإذا أنهى الطالب مراحل الحفظ والإتقان، وأتقن التجويد بكل متونـــه وضوابطه، ودرس علوم القرآن بكل أنواعها؛ أضيفت له مـــادة القـــراءات، وهذا على سبيل الكمال، فهي ليست ضرورية كسابقها من العلوم، ولكن لا يمنع أن تكون هناك فئة متخصصة في دراسة أنواعها وأشكالها ووجوه قرائـــها وأسانيدها وتوجيهها من حيث اللفظ والمعنى، وقد اعتمد في ذلك متن 'حرز الأماني ووجه التهاني' للإمام الشاطبي ويراعى في دراسة المراحل التي يقطعـــها الطالب، فكلما أنهى مرحلة انتقل إلى المرحلة التي تليها، وهكذا حتى يتقـــن ذلك المتن، ويستعان في هذه المرحلة بكل الكتب التي تعنى بتوجيه القـــراءات من حيث اللغة والإعراب، والمعاني التي تحملها كل قراءة؛ ككتب مكي بـــن أبي طالب وابن مجاهد وأبي عمرو الداني وابن الجزري وغـــيرهم، وكتـــب التفاسير التي تهتم بالقراءات، ومن أوسعها كتاب 'البحر المحيط' لأبي حيـــان

الأندلسي و'تفسير القرطبي' وغيرهما ممن له باع في هذا الباب.

فالعناية بالقراءات هدف سام من أهم أهداف دعوة دور القرآن، فهي تسعى في تكوين معاهد وحلقات متخصصة، حتى يحفظ القرآن كله بجميع رواياته، وهذه المنقبة كانت للمغاربة قديما، وأضيف إليها حسن الأداء وصحة المعتقد، والتربية والسلوك والآداب النبوية.

وأما فهم كتاب الله والعمل بمقتضى آياته فهو الغاية من إنزال القرآن، لأن القرآن نزل لغاية عظيمة سامية هي هداية الأمة، وتوجيهها إلى كل ما ينفعها، وتحذيرها من كل ما يضرها، فمن انفصل عن فهمه انفصل عن غايته، وصدق عليه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾ وقول الشاعر:

زوامل للأسفار لا علم عندها بجيدها إلا مثل حمل الأباعر

فدعوة دور القرآن ترى في دراسة هذا الأصل مواصفات توافق منهاج دعوتها، فدعوتها دعوة سلفية لا تبغي بها بدلا، والدراسة السلفية لكتاب الله على ما رسمه السلف قاطبة؛ النظر في المصحف كله من بداية الفاتحة إلى سورة الناس. فما فسره القرآن ووضحه وبينه أصل لا يناقش، لأن الله أعلم بمراد كتابه، وهذا الأصل قد استوفاه الكثير من القدماء، وجمع فيه الشيخ الإمام محمد الأمين الشنقيطي كتابا نفيسا سماه 'أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن' وكان من حسن الحظ أن هذا الإمام بسط في كتابه هذا

معتقد السلف وذب عنه ودافع، فكان كتابه دررا ونفائس يتسابق إليها كل من أراد المنهاج السلفي.

والأصل الثاني: تفسير القرآن بالسنة، ولا يشك من في قلبه مثقال ذرة من إيمان أن الرسول ﷺ بلغ القرآن كله لفظا ومعنى، وأصلا وفصلا، وجزئية وكلية؛ من بداية نزوله وإلى آخر آية منه، وعلى لسانه ﷺ نزل ناسخه ومنسوخه، فما نسخ منه بينه، وما بقي منه وضحه، وهذا الأصل تسابق في خدمته العلماء منذ زمن التأليف، وقد ضرب الإمام ابن جرير في ذلك بسهم كبير في تفسيره، وكذلك الإمام ابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن مردويه، وعبد الرزاق الصنعاني، وسنيد، والإمام البخاري في الصحيح، والإمام أحمد في المسند، والإمام الترمذي في الجامع، والإمام النسائي في الكبرى، والإمام سعيد ابن منصور في سننه، وغيرهم من أئمة السلف، الذين كان لهم القدح المعلى في تفسير القرآن بالسنة، وقد استفاد العلامة الحافظ ابن كثير من المصادر السابقة وزاد عليها، وأصبح كتابه ملتقى لكثير من المصادر الحديثية في تفسير كتاب الله، وجاء السيوطي بعده فجمع كتابه العظيم 'الدر المنثور في التفسير بالمأثور' فكان جامعا كبيرا في هذا الباب، وتخصص فيه وأصبح موسوعة كبرى، حتى إنه ينقل رسائل برمتها في تفسيره جامعة لموضوع واحد في مسألة واحدة، على أن 'جامع' أبي عبدالله القرطبي هو كتر في هذا الباب، جمع من أمهات السنن الخير الكثير، فرحمة الله عليهم جميعا؛ إذ تركوا للأمة تراثا كبيرا في خدمة هذا الأصل العظيم.

وقد انتقيت الصحيح من كل هذه الكتب، ووجهت كل نص حسب

مضمونه، فكان ولله الحمد موسوعة حديثية في تفسير القرآن بالسنة بفهم سلف الأمة، نقية طاهرة من كل الخرافات والإسرائيليات، والانحرافات العقدية والمنهجية والعلمية.

فدعوة دور القرآن اعتمدت هذا المنهاج المفصل الذي يوافق أهداف دعوتها، فتربي تلامذتها على هذه الأصول، وانتقي لهم ما يناسب مواهبهم وأسنانهم وأعمارهم من هذه الكتب، وسميت ما جمعته 'التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن' عجل الله إخراجه وطباعته حتى نستفيد من توجيهات العلماء والإخوان فيما نسيناه أو قصرنا فيه.

وأما اللغة العربية وهي من أهم الوسائل لفهم كتاب الله، وأصل من الأصول؛ فقد اعتمدنا في ذلك كل ما كتب في لغات القرآن ومفرداته، واخترنا ما نراه مناسبا لفهم كتاب الله فأدرجناه ضمن كتابنا 'التدبر والبيان' وهكذا تسعى دعوة دور القرآن لربط الناس بالقرآن بكل وجوه الدراسة.

وأما تبليغه وترجمته إلى الواقع فهذا يوكل إلى كل امرئ حسب مقدرته وهمته ودينه، وليس على الإنسان أن يجبر الناس على أمر من الأمور، وإنما له البيان والبلاغ وعرض ما عنده من خير، كما قال الله للنبي ﷺ: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١﴾، وقال تعالى: ﴿إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝١٠٧﴾.

مع أن دعاة دور القرآن يعلمون أن خدمة القرآن وعلومه، وترجمته إلى الأمم غير العربية الترجمة الصحيحة الصادقة أمر يحتاج إلى مجهودات متظافرة،

فلعل الله ييسر هذا الأمر ليحصل البلاغ إلى كل الأمم العربية والعجمية، وبكل اللغات واللهجات، فإن تبليغ هذا الدين إلى كل الأمم دين وذمة في عنق الأمة الإسلامية، عظمائها وشعوبها وحكامها، ومن قصر في شيء وله القدرة على ذلك فإن الله محاسبه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وأما حرب القرآن وأهله والوقوف في وجوههم؛ فلا شك أنه ردة وانحراف، ولا يكون إلا من قبل الكفار وأعداء الإسلام، وأما أحباء الإسلام وأحبابه وأبناؤه الذين أخذوه عن آبائهم وأجدادهم، وتشبعوا به جيلا عن جيل؛ فهؤلاء لا يظن بهم حرب القرآن وأهله، فإن وقع فعلى خلاف الأصل «ومن تشبه بقوم فهو منهم»[1] والله المستعان.

السنة وعلومها:

العناية بالسنة عناية بالنبوة والرسالة، والعناية بها عناية بفهم الإسلام المفصل قولا وفعلا، وإلغاء السنة أو التقصير فيها ضلال وانحراف، وكل من زعم أنه يفهم القرآن مستقلا من غير رجوع إلى السنة؛ فأصله أصل الزنادقة الذين اندسوا في صفوف المسلمين بشعارات مختلفة، وقد حذر منهم النبي ﷺ فقال: «يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا وإن ما حرم

---

1 أخرجه: أحمد (50/2و92) وأبو داود (4031/314/4) قال العراقي في تخريج الإحياء (342/1): "سنده صحيح"، وقال الحافظ في الفتح (222/10): "سنده حسن".

رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله»[1]. وهذا الفكر الخبيث ظهر دعاته في وقت مبكر، بل إن كثيرا من الفرق التي انتمت إلى الإسلام تبنته وأدخلته على الأمة من أبواب مختلفة، ووضعت حول هذا الأصل شبها كثيرة تزهدهم في دراسة السنة، وأصلت لهم أصولا استبدلوها بالسنة، فتصدى لهم علماء الإسلام منذ ذاك الحين، وفي مقدمتهم الإمام الشافعي في كتابه 'الرسالة' والبخاري في 'جامعه الصحيح' وكثير من الأئمة، ولابن حزم في كتابه 'إحكام الأحكام' بحوث نفيسة في هذا الباب تجد فيها الدرر والكلمات الذهبية التي تنم عن غيرته على سنة رسول الله ﷺ. فدراسة السنة كما سبق في دراسة القرآن هي أيضا وسائل وغايات، فمن لم يتقن الوسائل سقط على أم رأسه ووقع في المعضلات، واختلطت عليه الأمور اختلاطا، ونسب إلى النبي ﷺ ما ليس له، وقال عليه ما لم يقل، فلهذا لا بد من إتقان الوسائل التي تؤهل الطالب إلى الوصول إلى الغايات. ومن أهم هذه الوسائل:

دراسة مصطلح الحديث، وهذا الأصل العظيم يتدرج فيه مع الطلبة في كل المراحل، كلما أتقن مرحلة وأجريت عليه الاختبارات الشفوية والكتابية انتقل به إلى المرحلة التالية، فاختارت دعوة دور القرآن لأبنائها وتلامذتها متن 'البيقونية' وهو متن صغير لا يصل إلى الأربعين بيتا، ومع ذلك جمع ووعى، فإن بدأ به الطالب فأتقنه وأتقن الأمثلة التي تناسبه؛ أخذ حظا مهما من هذا العلم، ومتى أتمه ودرسه وفهم معانيه والتمثيل لكل قواعده والتطبيق العملي

---

1 أخرجه: أحمد (131/4) وأبو داود (10/5-4604/11) والترمذي (2664/37/5) وحسنه، وابن ماجه (12/6/1) وصححه ابن حبان (12/189/1).

الحديثي في أمثلته، وأجريت عليه الاختبارات الشفوية والكتابية؛ انتقل بـه إلى متن 'نخبة الفكر' وهو متن جامع مانع، فإذا أتقنه الطالب بأصوله وقواعـــده وأمثلته وامتحن فيه شفويا وكتابيا؛ انتقل به إلى كتاب 'مقدمة ابن الصـــلاح' فإنها أجمع ما كتب في هذا الباب، وهو المصدر الذي جمع كل مـــا كتبـــه السابقون، ولاسيما ما كتبه الخطيب البغدادي، فإن أغلب أنواع الحديـــث للخطيب فيها كتب مستقلة، وقد جمعها ابن الصلاح، وعلى هذه المقدمـــة تعليقات وحواشي، كالتقييد والإيضاح للعراقي، والنكـــت لابـــن حجـــر والزركشي، فمن أتقن هذا الكتاب وأتقن أصولـــه وفروعـــه، ورجـــع إلى مختصراته وإلى نظمه وشروحه كألفيتي العراقي والسيوطي؛ وقف على طرائـق أهل العلم في تمييز صحيح السنن من سقيمها، وأوسع كتاب علمته في هـــذا الباب هو 'توضيح الأفكار' للصنعاني، فإنه جمع كل ما سبقه، فهو كتـــاب يصلح للمتخصصين في هذا العلم على كل حال، فهذا العلم من أهم المسـائل وأهم المداخل التي يجب على الطالب قراءتها، حتى يتهيأ له أن يفهم الحديـــث الفهم الصحيح، وإلا دخل البيت من غير بابه، ومن دخل البيت من غير بابـه اعتبر لصا وسارقا، فلذا ركزت دعوة دور القرآن على هذه الوسيلة تركـــيزا أساسيا. ومن الوسائل الأساسية لدراسة علم الحديث دراسة علـــم الجـــرح والتعديل، ومعرفة مصطلحات الأئمة في هذا البـــاب، فـــإن الأئمـــة لهـــم مصطلحات سلكوا فيها طريق التتبع والاستقراء، وهي تختلف من إمام لآخر، فمعرفة هؤلاء الأئمة ومعرفة مصطلحاتهم من أهم الوسائل في هذا البـــاب، وقد ألفت في هذا الباب، كتب كثيرة من القدامى والمعاصرين. وفي مقدمات

كتب الرجال والمتون فوائد جمة في هذا الباب، كمقدمة التقريب لابن حجر، ومقدمة اللسان له، ومقدمة الميزان للذهبي، ومقدمة صحيح مسلم فإنها درر وقواعد وأصول، ومقدمة ابن حجر على فتح الباري المسماة بهدي السلري، فإن فيها فوائد كثيرة في هذا الباب، وكذا مقدمة ابن الملقن في كتابه البدر المنير، وكتاب العلل للترمذي، وكتابي الجرح والتعديل للكنوي، وكتاب الجرح والتعديل لمسعود الهندي، وتقدمة كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، وكتاب التاريخ للبخاري وابن معين، وكتاب الكامل لابن عدي، وغيرها من الكتب التي يجب على طالب الحديث أن يعرفها، ويعرف ما تحتوي عليه حتى يلم بمصطلحات الأئمة ومناهجهم في الجرح والتعديل، فإن مناهجهم دقيقة في ذلك.

ومن أهم الوسائل دراسة مناهج المحدثين ومؤلفاتهم وطبقاتهم فإن لدعوة دور القرآن العناية بهذا الأصل.

فهذا الأصل يمكن الطالب من دراسة تاريخ السنة والمراحل التي مرت بها، ومناهج المحدثين في طريقة التأليف على اختلاف أنواعهم، ومن لا يدرس ذلك قد يرتبك فيها، لما يرى من طرق مختلفة، فلا يميز بين الصحاح والسنن، ولا بين المسانيد والمعاجم، ولا بين الأجزاء والمستخرجات، فإن درس هذا الأصل حصل له العلم بذلك، وينبغي أن يكون تدريسه على مراحل تمكنه من معرفة ذلك، فينتقل به من مرحلة إلى مرحلة؛ فإن تبين إتقانه وتمكنه انتقل به إلى مرحلة تالية.

ومن أهم ما ألف في ذلك 'الرسالة المستطرفة' للكتاني، ومن أجمع ما

رأيت مقدمة تحفة الأحوذي؛ فإنها جمعت شتات هذا الباب، وحاول مؤلفها أن يستوعب، إلا أنها تحتاج إلى شرح وتوثيق وزيادة بيان، حتى تدرس بطريق علمي دقيق، يمكن الطالب من معرفة تاريخ السنة وتسلسلها، وتنوع المؤلفات فيها، وطريقة أصحابها في التقديم والتأخير، وماذا يجب على الطالب الابتداء به في الدراسة، حتى لا يقدم ما حقه التأخير، ويؤخر ما حقه التقديم، فإن للموطأ والصحيحين هيبة وموقعا كبيرا في نفوس العلماء، وعموم الأمة، وتليها كتب السنن لأبي داود والترمذي والنسائي، وأما ابن ماجه فهو مرحلة بعد هؤلاء، وأما مسند الإمام أحمد فقد قربت متونه وخدمت أسانيده والحمد لله خدمة تعين الطالب على دراسته، فلو رتب ترتيبا دقيقا يليق به وشرح شرحا وافيا؛ لكان هو المرجع لسعة مادته. وأما بقية المسانيد والمعاجم والمستخرجات والأجزاء فكل كتاب له مكانته، وكل مستخرج حسب ما استخرج عليه، وحسب شرطه الذي اشترطه، وكذا ما سماه أصحابه بالصحيح؛ كصحيح ابن حبان وابن خزيمة ومستدرك الحاكم، فهذه وإن أطلق عليها اسم الصحيح ففيها من الضعيف والموضوع الكثير، فعلى الطالب أن ينظر بعين البصيرة ويتحرى ويبحث حتى يصل إلى مرتبة المحدثين الأذكياء، وفضل الله واسع يؤتيه من يشاء وما ذلك على الله بعزيز. فكم من صغير جد واجتهد فوصل إلى درجة الأئمة، وأكبر مثال على ذلك الإمام ابن تيمية، فإنه كان صغيرا في بداية طلبه للعلم ولكن لجده واجتهاده ومواصلته الليل بالنهار؛ أصبح يقال فيه: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، ومن قبله البخاري ومالك وغيرهما، فهؤلاء كلهم كانوا صغارا، ولكن

صاروا جبالا شامخة ومرجع المحدثين، وأصبحت روايتهم عن الرجال علامة على صلاحيتهم ومن تركوه كان فيه نظر. فلا يحقرن أحد نفسه، فإن الذي أعطى السابقين قادر على أن يعطي اللاحقين، ولكنها همم وتوفيق فمن وفقه الله فهو الموفق. نرجو الله أن يوفقنا وأبناءنا وتلامذتنا إلى العكوف على هذا العلم وإبرازه في الأمة، فإنه نور يستضاء به، وإن خفي نوره وخفت فعلى الأمة السلام، فإن أمواج الفتن ترفع رؤوسها، وتكثر البدع كلما اختفت السنن، والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

وأما الغاية من دراسة السنة فهو فقه السنة بفهم سلف الأمة، وهذا الأمر من تتبع ما كتب فيه وجد أن العلماء أفردوا كل شعبة بمؤلفات:

فالمحدثون رحمهم الله أفردوا للمعتقد كتبا جمعوا فيها ما ورد في كل باب بحسبه، فالإمام البخاري رحمه الله جمع في كتابه كل ما يتعلق بالمعتقد، فبدأ بكتاب الوحي، ثم كتاب الإيمان، ثم كتاب بدء الخلق، وكتاب الأنبياء، وكتاب المناقب، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب مناقب الأنصار، وكتاب الدعوات، وكتاب الرقاق، وكتاب القدر، وكتاب الأيمان والنذور، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين، وكتاب التعبير، وكتاب الفتن، وكتاب الأحكام، وكتاب التمني، وكتاب أخبار الآحاد، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، وكتاب التوحيد، وهذا منهاج متكامل في المعتقد صحة وفهما، صحة سند وفهما لمعاني المتون. فدعوة دور القرآن تركز على هذا المنهاج المبارك؛ منطلقة من كتاب الله وصحيح السنة، فمن رجع إلى هذه الأصول وأمثالها التي تروي بالأسانيد إلى النبي ﷺ؛ وقف على صحيح المعتقد الذي أولاه

السلف رحمهم الله تعالى الاهتمام البالغ، وقد اختصر العلماء هذه الأسانيد ووضعوها في قوالب ميسرة.

فدعوة دور القرآن تنحو منحى مناهج المحدثين في اهتمامهم بالعقيدة، وقد وفقني الله تعالى فجمعت في هذا الباب كتابا رتبته على حسب سنوات الوفاة، سميته 'المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية' بدأته بكتاب الله لأنه الأصل الأصيل في باب المعتقد، وهو الذي جمع أصوله وفصوله، ومن خرج عنه ضل وأضل، وثنيت بسنة رسول الله ﷺ إذ هو ﷺ القدوة في هذا الباب، ومن أخذ معتقده خارجا عن منهاجه كما فعل الكثير من الفلاسفة وعلماء الكلام؛ ضل وأضل وهلك وسقط على أم رأسه. فأبناء دعوة دور القرآن يربطون عقيدتهم بأصول سلفهم من المحدثين، ويستفيدون ممن قربوا العقيدة كشيخ الإسلام وابن القيم والطحاوي وابن أبي زيد وأبي الحسن الأشعري في إبانته، وابن عبدالبر في عقيدته التي جمعتها من تمهيده، والإمام مالك في عقيدته، والتي جمعتها من موطئه وفتاواه وأقواله التي سجلها أصحابه، وابن أبي زمنين في كتابه السنة، والإمام المصلح المجدد محمد بن عبدالوهاب، الذي امتازت كتبه بالدقة والتقريب والاختصار، والتركيز على آي القرآن وصحيح السنن والآثار، فموسوعته في (العقيدة السلفية) ولله الحمد طبعت وقربت وأصبحت في المتناول، ولا يصد عنها إلا من في قلبه مرض وحقد على السنة وأهلها، فلعنة الله على الظالمين الذين يصدون عنها ويبغونها عوجا. ولعلي إن شاء الله أخرج كتابي المسمى 'الصحيح في تفصيل الاعتقاد من هدي خير العباد'؛ ليكون الموسوعة الكبرى التي تجمع أكبر عدد

من الأحاديث الصحيحة والآيات الكريمة، مصحوبة بفهم السلف الصالح، نرجوا الله تعالى أن يعجل بإتمامها وإخراجها، فنستفيد من ملاحظة الإخوان والمحبين لهذا المنهج، وحتى من استفاد منها من المخالفين إن كان لهم حظ من العلم والفهم، وأما المهاترات والأحقاد التي تنفث فقد أمرنا الله بالعفو عنها فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ ووصف عباد الرحمن فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾.

فدراسة المعتقد إذا لم تقرن بنصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فلا خير فيها، وهي مضيعة للوقت والعمر وللدين، وصاحبها مآله إلى الضلال والانحراف والحيرة، وما خرج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يكون حجة لصاحبه عند الله، ولا عند عقلاء العباد، وإنما يسري ذلك على السذج والهمج الذين لا صلة لهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولله در القائل:

وجرب ففي التجريب علم الحقائق

وقد جرب علماء الكلام دراسة العقيدة المنفصلة عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فوصلوا إلى الحيرة والارتباك، وتاب أكثرهم وتراجع، وقالوا قولتهم المشهورة:

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن الوكيل في كتابه 'الصفات الإلهية' تراجع هؤلاء وتوبتهم من ذلك المعتقد الفاسد، وأورد العلامة الإمام الحافظ شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه 'درء تعارض العقل والنقل' جملة منهم، وحكى أوبتهم إلى عقيدة السلف، وذمهم لما كانوا عليه من علم الكلام الذي تبنته الجهمية، وما تفرع عنها من ماتوريدية ومتأخري الأشعرية.

وأما فقه السنة بفهم سلف الأمة في باب الحلال والحرام أو أحاديث أمهات الأحكام؛ فهذا الباب اعتنى به المحدثون العناية الفائقة، الأولون والآخرون؛ بداية من موطأ مالك رحمه الله، وختاما بسنن الإمام البيهقي رحمه الله، وكان لأبي داود رحمه الله العناية الكبرى بأحاديث الأحكام، وأما الترمذي فيعتبر كتابه كتاب حديث وعلل، وفقه الخلاف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم مع الراجح من الخلاف. وذكر أسانيد المختلفين رحمهم الله جميعا في آخر كتابه، فمن رجع إلى هذه المصادر الأصلية الحديثية، وأضاف إليها مصنفات فقه السلف كمصنف عبدالرزاق وابن أبي شيبة وكتب الطحاوي والبيهقي وغيرهم؛ فإنه يرى الخير الكثير ويقل خلافه ويموت تنطعه وطيشه، وأما المختصرات والجوامع في هذا الباب فهي الغالب التي تعتمد في تعليم الناشئة، ومن أشهرها كتاب العمدة للمقدسي، ودعوة دور القرآن تعتمد هذا الكتاب في أول مرحلة، وتركز عليه، فهو كتاب عظيم جمع أمهات أحاديث الأحكام من صحيح البخاري ومسلم، وعليه شروح جيدة تعنى بفقهه ودرايته كشرح العلامة ابن دقيق العيد، وشرح العلامة ابن الملقن، وهو أوسعها وأشملها، وشرحه من المتأخرين صاحب

تيسير العلام، وجعله على نسق مدرسي بديع يصلح لأن يبتدأ بـــه، وقـد اعتمدناه في كثير من حلقات العلم.

وكتاب ثان امتاز باختصاره وتخصص صاحبه ووجازة أحاديثه، وكأنه خيط بخيط من ذهب، وهو بلوغ المرام للحافظ ابن حجر، فإنه كتاب عظيم في بابه، وقد جمع فيه صاحبه معظم أدلة الأئمة، وهو عمدة من أعمدة دعوة دور القرآن، وقد شرحه العلامة شرف الدين الحسين بن محمد المغربي في كتابه 'البدر التمام' والصنعاني في كتابه 'سبل السلام' وصديق حسن في 'فتح العلام' وظهرت بعض الشروح المعاصرة لكن فيما يظهر لي إلى الآن لم يعط حقه ومستحقه من شرح يناسب مقامه، فإن هذه الشروح على وفرتها لم تسد حاجة البلوغ إلى شرح يعطيه أهمية أكثر. فإن درس الطالب هذا الكتاب مع المعلم وأتقن كل مراحله وتبين إتقانه؛ انتقل إلى كتاب أوسع منه وهو كتاب 'المنتقى' للإمام الحافظ عبدالحليم ابن تيمية جد شيخ الإسلام، ولا أعلم كتابا أوسع منه في هذا الباب، وقد يسر الله الشوكاني رحمه الله فشرحه بشرح مختصر سماه 'نيل الأوطار' وأضاف إليه تخريجات الحافظ من كتابه 'التلخيص الحبير' وتصحيحاته وتضعيفاته، واختصر أكثر معانيه من فتح الباري لابن حجر؛ فكان شرحا نفيسا من فقه السنة بفهم سلف الأمة، ومن حسن الحظ أن الشوكاني من دعاة التمسك بالدليل، والتحرر من التعصب المذهبي المقيت، والتقليد للأشخاص من غير حجة ولا دليل، فلو أزيل ما في هذا الشرح من مذاهب الزيدية والهادوية وغيرهم، ووثقت نصوصه أكثر الحديثية منها والفقهية؛ لكان أعظم كتاب في بابه، ومن أتقنه بمتونه وفقهه

وخلافه وراجحه ومرجوحه مع البصيرة التامة أصبح مفتيا للأمة، خلافا لما يعتقده الكثير من الناس؛ من أن المفتي من درس المتون الفقهية الخالية من الدليل وجعلها عمدته. فالمفتي مبلغ عن الله ورسوله ﷺ، لا يجوز له أن يفتي الأمة إلا بدليل من كتاب أو سنة.

وإذا تحقق ما سبق من دراسة هذه الجوامع لمتون السنة بفهم سلف الأمة، وأنهى الطالب هذه المراحل كلها، وتمكن في معرفته وأصوله؛ اخترنا له كتاب 'فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر' مع الزوائد من الآثار من كتاب الاستذكار الموسوم بـ'بغية المستفيد في زوائد الاستذكار على التمهيد' ليتم له شرح الموطأ كاملا، وهذا الشرح بما فيه الأصل والزوائد من الاستذكار؛ هو الذي يمثل المنهاج العلمي الرصين السلفي الذي بسط فيه صاحبه من العلوم ما لا يدركه الإنسان في عشرات السنين، فهذا البحر الزاخر الذي حوى مصادر السنة ومصادر الآثار وفقه السلف الدقيق وذكر الخلاف والراجح؛ جمع درره إمام تحرر من ربقة التقليد، وجعل السنة والدليل منهاجه ورايته التي يرفعها ويدافع عنها بكل ما أوتي من جيوش المعرفة، وأصول العلم التي جمعها الله له بالأسانيد إلى كل المصنفات. فمن درس هذا الكتاب من بدايته إلى نهايته جمع بين كل العلوم الشرعية من حديث وتفسير، وجرح وتعديل وأصول ولغة وأدب وفقه وخلاف، وجعل الطالب يرتع في رياض السنة، ورياض العلم والمعرفة. فأرجو الله تعالى أن يوفق أبناء دعوة دور القرآن إلى العناية بهذا الكتاب، والعكوف على فهمه والوصول إلى مراميه وأبعاده، فإنه الكتاب الذي يستحق بحق أن يسمى

دراسة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة. فهذا فقه الفحول والأئمة وعشاق السنة والآثار، وأما القاعدون عند المتون الهزيلة الجوفاء الخالية من الدليل، التي تجدها أحيانا عبارة عن رموز وطلاسم؛ فهذه لا يجتمع عليها إلا البطالون الذين زهدوا في سنة رسول الله ﷺ؛ مع توفرها ويسرها وقربها إلى الفطر والعقول، وبعدها عن الألغاز والتعقيد والطلاسم التي نهى عنها رسول الله عليه وسلم. وهكذا نجد في هذا الباب الموسوعة الكبيرة موسوعة الحافظ ابن حجر 'فتح الباري شرح صحيح البخاري' التي لم يسبق لمثلها في شرح هذا الكتاب، وهي ملتقى لمئات المصادر العلمية التي انتقاها الحافظ ابن حجر وأخذ منها حاجته إلى هذا الشرح، وهذا الكتاب عمدة دعاة دور القرآن لا يستغنون عنه، بل يستفيدون من دره ومباحثه ومناهجه الطيبة القيمة. وموسوعات السنة -ولله الحمد- كثيرة من طلبها وجدها، وما ذكرت منها إلا ما يحتاج إليه لتسطير هذا المنهاج المبارك، والمنهاج دائما يكون متصفا بالحصر والعد، لأن منهاج التعليم الخاص لطلبة العلم غير منهاج الاستفادة العام، فإن هذا -ولله الحمد- لا حد له ولا حصر؛ لا في كتابين ولا ثلاثة ولا أربعة.

وأما ما يتعلق بالسلوك والآداب والأخلاق؛ فقد اعتنى المحدثون أيضا بهذا الباب عناية فائقة، فللإمام البخاري كتاب الاستئذان والأدب والرقاق وكذلك كتاب الأدب المفرد، وكثير من الكتب المسندة تطرق فيها أصحابها لهذا الباب كما صنع الإمام مسلم في صحيحه، والإمام الترمذي في جامعه وفي شمائله وغيرهما. ومن الجوامع في ذلك كتاب الإمام الحافظ المنذري، فإنه

أجمع كتاب فيما علمت في التربية النبوية عنوانه 'الترغيب والترهيب' الترغيب في الخير والترهيب من الشر وقد جمع كل أبواب الفقه في هذا الباب فهو موسوعة في بابه وقد يسر الله الشيخ الألباني رحمه الله، فميز صحيحه من ضعيفه، ولعل الله تعالى ييسر من يكتب فقهه وفوائد نصوصه، ومن ذلك أيضا رياض الصالحين للإمام النووي وهو كتاب جامع في بابه شرح بشرح متوسط، فلو عكف الطلبة على هذا الكتاب وقرأوه قراءة مرحلية وأتقنوا كل مرحلة؛ فإنهم يتشبعون بالآداب النبوية، وقد ضرب طلبة دعوة دور القرآن بحظ وافر في هذا الكتاب. ومن ذلك أيضا كتاب الأربعين للنووي وهو على صغر مادته بالنسبة لغيره فقد جمع جوامع النصوص، وقد اعتنى طلبة دعوة دور القرآن بمتونه فحفظوها للصغار من ذكور وإناث، حتى أصبح من الكتب المحفوظة في معظم حلقات دور القرآن، وهذا الباب باب واسع، تندرج تحته كتب أدب طلب العلم، وكتب العلم في الصحاح والسنن والمسانيد؛ ككتاب العلم من صحيح البخاري ومسلم والترمذي، وكتاب 'اقتضاء العلم العمل' للخطيب و'الجامع في آداب الراوي' للخطيب البغدادي وكتاب 'جامع بيان العلم وفضله' -وهو من أوسعها وأجمعها- للإمام أبي عمر بن عبدالبر، وما كتبه المعاصرون وغالبهم من السلفيين -والحمد لله- ككتاب 'حلية طالب العلم' لبكر أبي زيد وغيرها.

وأما السيرة النبوية فهي مادة أساسية لكل أبناء دعوة دور القرآن، للسيرة في حياة الداعية أهمية كبرى، من لم يستضيء بنورها ويتبع مراحلها من الميلاد إلى الوفاة؛ كان دعِيّاً في دعوته ولقيطا في نسبه الدعَوي، ولا حظ

له في المسيرة الدعوية، وكان ما يفسد أكثر مما يصلح، فالسيرة النبوية هي بمنزلة قانون السير الذي يجبر على حفظه السائق، ولا يمنح شهادة السياقة إلا بحفظه حفظا متقنا بكل أصوله وفروعه، ومن منحه شهادة دون أن يتقن ذلك فقد أعطاه قنبلة موقوتة تفجره وركابه ومن حوله، فالسائق الذي لا يتقن قانون السياقة علما وعملا؛ فهو منتحر يقتل نفسه ويقتل غيره، فكذلك الداعية إلى الله إذا لم يكن له علم كامل وافر بسيرة رسول الله ﷺ العلمية والعملية، فإن ضلاله وإضلاله للأمة محقق لا محالة، وهذا الذي حصل مع الأسف لكثير من الدعاة في القديم والحديث، فما بدأوا دعوتهم بهذا الأساس والأصل الأصيل الذي قامت عليه دعوة رسول الله صلى الله ﷺ فأفسدوا أيما إفساد.

فسيرة رسول الله ﷺ بينت الدعوة إلى الله بكل أصولها وفروعها، فبينت ما ينبغي أن يبدأ به الداعية، وما هو الواقع الذي ينبغي أن يوليه الأهمية في بداية تغييره، وما هو المقدم والمؤخر من ذلك، ومن هم أعداء الدعوة وأصنافهم الواقفون ضدها، وما هي مخططاتهم وأساليبهم ومؤامراتهم، هل هي آنية أو مستمرة؟ أم هي محدودة؟ أو لا يهدأ لها بال حتى تنقض على الدعوة انقضاض الأسد على الفريسة لا تبقي منها عظما ولا لحما؟! ويكون انقضاضها بغيظ وحقد يجعلها تتلذذ بأكباد الرجال وأحشائهم، ولا ترقب فيهم إلا ولا ذمة، ولا ترحمهم مهما كان حالهم صغارا أو كبارا، نساء أو رجالا، علماء أو فقهاء، شيوخا أو عجائز. فواضعوها لا يكلون ولا يملون حتى تنمحي آثار الدعوة إلى الله، ولا يراعون فيها قرآنا ولا سنة، بل هي

إبادة جماعية أو فردية، وهم ماضون في حرب الدعوة إلى الله داخل بلادهم وخارجها، ولو اضطر الأمر إلى ارتشاء من يحمي الدعاة أو يدافع عنهم.

وما هي الوسائل الناجحة التي يلجأ إليها الداعية في هذا الحال؟ كل ذلك يجيب عليه سيرة رسول الله ﷺ، وهذا الباب ولله الحمد أشبعه علماء الإسلام بحثا؛ بداية من سيرة ابن إسحاق وموسى ابن عقبة من القدماء، وقد ضرب الإمام البخاري في هذا الباب بحظ وافر في الجامع الصحيح، وقد استخرج بعض المعاصرين سيرة كاملة من كتابه؛ فكان هذا العمل نافعا، وسيرة ابن هشام شاع صيتها وانتشرت انتشارا كبيرا، وجمعت سيرة ابن إسحاق فكانت أنموذجا طيبا في السيرة وشرحها، وإن كانت مليئة بالضعيف والمنقطع والمرسل، وقد اختصرها محمد الغزالي في فقه السيرة، فكان كتابه من أنفع الكتب رغم ما عليه من ملاحظات في منهجه، وفي ما خلفه من طامات رحمه الله. فنرجوا الله أن يغفر له وأن يتجاوز عنه. وأجمع كتاب علمته في هذا الباب هو كتاب 'سبيل الهدى والرشاد' لمؤلفه الصالحي، إلا أنه هو أيضا فيه الضعيف والصحيح.

وشاع في الآونة الأخيرة الاهتمام بصحيح السيرة، وكانت التجربة في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، فوزعت كل الغزوات على طلبة الدراسات العليا شعبة السنة، فخدموا الغزوات وخرجوا أحاديثها، وذلك بإشراف أكرم ضياء العمري، ثم لخصها في كتابه الذي أخرجه 'صحيح السيرة' وهناك كتب أخرى سارت على هذا المنوال. وهذه خطة طيبة في أن لا يتعلم الناشئة إلا ما صح سنده، وما صح سنده ولله الحمد كثير، وكتاب 'زاد

المعاد' أعظم سيرة عملية برزت في تاريخ تأليف السيرة النبوية، فلم يسبق بهذه الطريقة، فقد أبرز الجانب العملي في سيرة رسول الله ﷺ في كل أبواب العلم؛ من عبادات ومعاملات وذكر وجهاد، وقد ضمنه الصالحي كتابه 'سبيل الهدى والرشاد'. ووفقني الله تبارك وتعالى فجمعت كتابا نفيسا سميته 'المواقف العقدية، والأساليب الدعوية، في مواجهة تحديات الجاهلية، من خلال صحيح سيرة خير البرية ﷺ' حاولت أن تكون سيرة رسول الله ﷺ دعوة عملية إلى تصحيح العقيدة بالأساليب الشرعية النبوية، ومحاولة إبراز العقائد الباطلة ودعاتها، ومدى ما وصلوا إليه من كيد ومكر وحقد وخبث، ومحاولة الفتك بالدعوة والدعاة بكل ما أوتوا من عدة وعدد، ولكن الله نصر نبيه ودينه وجعل كيدهم في نحرهم؛ كما فعل تبارك وتعالى بمن قبلهم من أمم سابقة ذكر لنا خبرهم في كتابه، ومن أشهرهم فرعون الجبار وهامان عونه ووزيره وجنود فرعون أجمعون، فكلهم هلكوا في ثانية واحدة، وصاروا مثلا يذكر لكل جبار عنيد يحارب الله ورسوله، ويحارب الدعاة إلى الله ويقتلهم ويبيدهم ويسجنهم ويعذبهم، كما قال الله عن الخبيث فرعون: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ﴾ وهذا مآل كل من رفع ألوية الكفر والزندقة، وعسكرهم وجنودهم ووزرائهم وعملائهم ومن كان على شاكلتهم. قال عز وجل: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

وهناك مادة مهمة أساسية لكل مفسر ومحدث وفقيه في الكتاب والسنة، لا ينبغي أن تغفل في باب العلم، وهي مادة أصول الفقه، ويجب كذلك أن يراعى فيها المرحلية في التدريس، وقد اخترنا لأبناء هذه الدعوة في بداية الأمر 'الورقات' للجويني وكتاب 'تسهيل الوصول إلى فهم علم الأصول' من مطبوعات الجامعة بالمدينة النبوية، وهو توضيح للورقات وتسهيل لها. وينبغي أن يفتتح الطالب دراسته الأصولية بهذين الكتابين حتى يتأصل في ذهنه أمهات أصول الفقه، ثم ارتأينا في المرحلتين الثانية والثالثة جمع الأمثلة العلمية والعملية من 'أضواء البيان' إذ هذه الأمثلة من أضواء البيان تجعل الطالب يقرأ أصول الفقه من الأمثلة العملية من كتاب الله، فيتمرن الطالب على التطبيق العملي لأصول الفقه، وهذا هو الذي يؤكد له الفهم، ويجعل العلم راسخا في ذهنه، وأما المرحلة التخصصية في هذا الباب فمن أعظم ما يمكن أن يتناوله الطالب كتاب 'الإحكام في أصول الأحكام' لابن حزم فإنه لا يعلى عليه في هذا الباب؛ لأنه درس الأصول من منظور أثري وسلفي، وهو بعيد عن التعقيدات الكلامية والفلسفية التي انتشرت في كثير من كتب أصول الفقه. و'أعلام الموقعين' لابن القيم في هذا الباب لباس جديد يعطي الطالب نورا ويقينا، ودعوة إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالأمثلة الكثيرة العملية، ولا يفوت الطالب دراسة 'الموافقات' للإمام الشاطبي فإنها جمعت الحسن، وانفردت بالتركيز على مقاصد الشريعة، وأن الشريعة لها غايات وأهداف يجب أن تعلم وأن تراعى في كل الأحكام، وفيها بحوث نفيسة في أصول التشريع، ولا سيما في أصل السنة وفهم سلف

الأمة، والله الموفق.

المنهج في اللغة العربية:

إن العناية باللغة العربية لدليل على حب الكتاب والسنة وحب النبوة والرسالة، والتقصير في دراستها تقصير في ذلك.

واللغة العربية إذا أطلقت يراد بها محاولة الإحاطة بكلام العرب نظما ونثرا، وإن كانت هذه الأمنية بعيدة المنال، وما لا يدرك كله لا يترك جله، فعلى الأقل يحاط بما يحتاج إليه في فهم الكتاب والسنة، ولا شك أن القرآن نزل بأفصح اللغات وأوضحها، وهو ستة آلاف ومائتان وبضع آية على خلاف في العد، وكل آية تتضمن كلمات. واللغة العربية كلام وكتابة وتعبير، فلا بد من إتقان الكلام والكتابة والتعبير السليم، ولإتقان هذه الأمور لا بد من ضبط للقواعد النحوية والصرفية، ومتابعة لمعاني الكلمات في المعاجم اللغوية، فينبغي للطالب أن يجمع بين فصاحة النطق وصحة التعبير وعدم الوقوع في اللحن، فالعربي القح هو الذي يفصح إذا خطب، ولا يلحن إذا تكلم، ويوصل المعاني في أقل الجمل والكلمات، ويضع الخطاب في موضعه، ويجعل لكل مقام مقالا، ويراعي في خطابه كل شروط الخطاب قصرا وطولا وإعادة وتكرارا، فيسير بميزان ذهبي بلا ثرثرة ولا حشو، ولا استعمال لألفاظ وحشية يستغربها المخاطبون ويستغلقونها؛ إذ فاعل هذا متنطع ومتكلف ومتمشدق. وكذلك إذا قرأ في كتاب فلا يلحن ولا يتلعثم، ولا يقف ما حقه الوصل، ولا يصل ما حقه الوقف، وهذا هو الفصيح حقا

والبليغ صدقا، وقد كان النبي ﷺ أفصح الناطقين بالضاد وأبلغهم وأوجزهم في عبارته وأوضحهم، وهو الأنموذج الأعلى لكل من يأتي بعده.

وأما المحاربون للغة العربية فهم سلالة الشعوبيين من فرس وترك وبرابرة وأشكالهم وأمثالهم؛ ممن يحنون للرجوع إلى أصولهم التي ينظرون إليها بالتعظيم والتقدير، مع أن الإسلام أزالها، ولا وسيلة لهم لإحياء تلك الشعوبية والنعرات الجاهلية؛ إلا بهذه الدعوة الفاسدة الكاسدة، التي يعرف بوارها وبطلانها، فأصول هؤلاء الملاحدة وراءها الحقد الدفين على النبوات والرسالات، وهي امتداد لفرعون وهامان وقارون وقوم لوط وشعيب وعاد الذين حاربوا الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾.

فعلى دعاة الحق أن ينتبهوا لهذه الدعوات الفاسدة الزائغة؛ بقايا الشعوبيين وسلالة اليهود والصهاينة الحاقدين. اللهم عليك بهم اللهم فرق جمعهم وشتت شملهم، اللهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم وأذهم كما يذاب الزرنيخ، إنك على كل شيء قدير.

وقد اعتمدت دعوة دور القرآن في الوصول إلى هذه الغاية دراسات مرحلية يتدرج فيها الطالب من مرحلة إلى أخرى، وراعت الجمع بين جميع

الوسائل التي تمكن الطالب من الخطابة والقراءة والكتابة، فاختارت في علم النحو والصرف متن الأجرومية، وهو متن صغير سهل يسير يبدأ به الطالب في المرحلة الأولى مع شرحه 'التحفة السنية' لمحي الدين عبدالحميد، وهو كتاب نافع في بابه يسير فهمه، فإن أتقنت هذه المرحلة وجرب الطلبة بالاختبارات؛ انتقل بهم إلى 'لامية الأفعال' لابن مالك و'القطر' لابن هشام، وهو من أنفع الكتب في هذا الباب، جمع فأوعى مع شرحه للمؤلف نفسه، والاستعانة ببقية الشروح. فإن أتم الطالب هذه المرحلة واختبر شفويا وكتابيا وتبين إتقانه؛ انتقل به إلى مرحلة ثالثة حيث تدرس ألفية ابن مالك مع شرحها للعلامة ابن هشام أوضح المسالك، وتم الاعتناء أيضا بدراسة نظم الزواوي والمغني لابن هشام وغيرهما. وفي هذه المرحلة يحاول المعلم أن يربط الطلاب بالنحو القرآني، حتى يربط الطالب بقواعد اللغة العربية في كتاب الله.

وأما القراءة والتدريب عليها فقد اختير لطلبة دعوة دور القرآن كتاب سميناه 'بلوغ الآمال بذكر غريب وفوائد الأحاديث الطوال' في كل مرحلة عشرون حديثا يتدرب فيها الطالب على القراءة والإعراب للجمل حتى يستقيم لسانه على القراءة.

أما الأدب العربي فاعتمدنا في ذلك 'زهر الأدب' للحصري، وعلى المعلم أن يستعين بـ'البيان والتبيين' و'معجم الأدباء' و'أدب الكاتب' و'الإمتاع والمؤانسة' و'الجمهرة' و'المقامات' لبديع الزمان الهمداني والحريري.

وأما البلاغة فاعتمد فيها ثلاث مراحل: الأولى والثانية اعتمد فيهما

'البلاغة الواضحة' وفي الثالثة 'نقض المجاز' من كتاب الصواعق لابن القيم.

وأما العروض فاعتمد في ذلك 'ميزان الذهب' في مرحلتين يتقنهما الطالب، ويتبين إتقانه بالاختبارات الشفوية والكتابية.

وفي الأخير يتدرب طلبة دور القرآن -بعد تمكنهم واستيعابهم للمعلومات بكل أصنافها وشعبها- على كتابة البحوث والرسائل ليكونوا من المؤلفين البارزين الذين يدافعون عن هذا الدين، ويوضحونه بألسنتهم وخطبهم وأقلامهم وندواتهم ومحاضراتهم وتعليمهم وتنقلهم من مكان إلى آخر؛ لينشر هذا الدين على علم وبصيرة.

هذا ما أردت تسجيله على سبيل الاختصار، وإلا -كما سبق- فباب العلم بحر لا ساحل له، والمعلم مهمته التقريب والتوجيه والأخذ بيد الطالب إلى طريق النجاة، وأما تكميل المسيرة العلمية والدعوية فهذه موكولة إلى الطالب حسب همته وقناعته، وطلبه الأجر عند الله، إذ لا يدعو إلى أحد ولا مقابل عطاء، بل دعوته إلى الله كلها احتساب وطمع في الجنة يتمثل قول ربه الحق: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

الآثار الحميدة لدعوة دور القرآن

الإنسان إذا غرس غرسا وهيأ له كل أسباب النجاح؛ فإنه يرجو من الله تبارك وتعالى ظهور ثمرة ذلك العمل، والله تبارك وتعالى لا يضيع عباده الذين أخذوا بأسباب النجاح وتوكلوا عليه حق توكله، فهو العمدة والمعتمد، وكل نعمة نالت الإنسان فمن فضله، وكل ثمرة نتجت عن عمل فمن توفيقه، ولا حول ولا قوة إلا به، ومن وكله إلى نفسه أقل من طرفة عين هلك وضاع. فنبدأ بإذن الله بذكر آثار هذا المنهاج المبارك الذي كان طريق نشره دور القرآن المباركة فنقول:

بعد مجيء المدارس النظامية التي استغرقت المناهج الدنيوية، وأقبل الناس عليها من كل فج عميق، وتخلى معظمهم عن حفظ كتاب الله الذي كان منتشرا في المدن والقرى، حتى إنك لا تكاد تجد مكانا في البوادي والقرى والمدن لا يوجد فيه مكان لتحفيظ القرآن وتدريسه، ومعظم الآباء والأمهات يرسلون أبناءهم إلى هذه "المحاضر" ليتعلموا مبادئ القراءة والكتابة ويشرعوا بعدها في حفظ القرآن، وقد حفظ عن طريق هذه المدارس القرآنية عدد هائل من أبناء المغرب حتى قيل في بعض الجهات: (إذا وجدت اثنين فلا بد أن يكون أحدهما حافظا للقرآن)، وانكب الناس على حفظ كتاب الله حتى جاءت المدارس؛ فتناسى معظمهم القرآن، لأن التخصصات الدنيوية نتج عنها وظائف ومناصب ارتبطت بالمال والرواتب، وأصبح معلم القرآن يشار إليه بالنقص والحرمان، وأنه لا مجال له في الحياة إلا القراءة على الموتى

والمقابر، وكتابة الحروز والكتابة في الأواني، والشعوذة والسحر، وكل منكر وما إلى ذلك من أوصاف النقص التي ألحقت بحامل القرآن مع الأسف، مع أن الله عز وجل حذر من هذه الأوصاف، وجعلها النبي ﷺ من أوصاف الخوارج فقال: «سيخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة»[1]، وقد بوب الإمام البخاري عليه: "باب إثم من راءى بقراءة القرآن، أو تأكل به أو فجر به".

فجاءت دور القرآن المباركة على إثر هذا الواقع المؤلم الذي نتج عنه تناسي القرآن بين الأمة وانقراض حفّاظه، وبذلك يعم الجهل ولا يميّز بين قرآن وغيره، وكان الأمر كذلك، فكم من عجائب في المدارس والكليات من استشهادٍ بكلام غير القرآن ويقال فيه: قال الله كذا!! من أساتذة متخصّصين بزعمهم في اللغة العربية، وقراءةٍ لأسماء بعض السور بظاهر اللفظ مثل: ﴿الم﴾ ﴿الر﴾ ﴿المر﴾ ﴿المص﴾ ﴿يس﴾، فقرأها الجهال بخط الكتابة: (أَلَمْصَ، يَسْ، أَلَمْرَ...) وهكذا كثر الخلط واللحن في كتاب الله، وفي أوراق التلامذة في الامتحان من العجائب ما ينبئك عن انقطاع الأجيال عن كتاب الله طالبا ومعلّما، فجاءت دور القرآن لتفتح أبوابها لكل شرائح المجتمع بداية من سن التمييز إلى آخر الأعمار، ولم تفرق بين ذكر وأنثى، فالجنسان على حد

1 أخرجه: البخاري (6930/350/12) ومسلم (1066/747-746/2[154]).

سواء، لأن بتعليمهما تتكامل الأمة، ولا يفرِّق بينهما إلا من عميت بصيرته، فكما أن الرجل أب فالمرأة أم، وكما أن الرجل عبدٌ لله فالمرأة أمةٌ لله، فعبودية الذكر والأنثى لا تكتمل إلا بالعلم النافع المتمثل في الوحيين: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فرتّبت الحلقات القرآنية وخصص لكل حلقة معلم مقتدر متكامل في أوصاف معلم القرآن علما وعملا، فنتج عن ذلك أفواج أقبلت على دور القرآن، وأصبحت هذه الحلقات في كل دار كخلايا النحل تنطف عسلا، وتفوح منها رائحة الزهر، وكان -ولله الحمد- من ذلك أفواج من حملة القرآن من الذكور والإناث كلٌّ بحسبه، فمنهم من حفظه كله، ومنهم من تخصص في رواياته فأتقنها، ومنهم من حفظ بعضه، وبذلك عاد للقرآن روّاده وتسابق الناس في مسابقاته، وأقبل الآباء والأمهات بأبنائهم على دور القرآن في الصيف وفي الشتاء، وأمنيتهم أن يكون أبناؤهم حافظين لكتاب الله حتى تمتد حسنتهم، وتنوّر قبورهم بعد مماتهم، ويحبرون في الجنة بسبب أبنائهم وبناتهم، قال النبي ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، يقول لصاحبه: هل تعرفني؟ أنا الذي كنت أسهر ليلك، وأظمِئ هواجرك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر. فيعطي الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب! أنى لنا هذا؟ فيقال: بتعليم ولدكما القرآن. وإن صاحب القرآن يقال له يوم القيامة: اقرأ وارْق في الدرجات، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية

معك»[1].

آثار دور القرآن:

❑ إحياء ترتيل القرآن بالتجويد:

إن قراءة القرآن بالطرق الشرعية الصحيحة التي توارثها الخلف عن السلف، والتي دونها أئمة القراءة والتجويد في مصنفاتهم، وتواتر سندها إلى النبي ﷺ وصحبه؛ هي الطريقة المثلى في تلقّي كتاب الله، وهي التي اعتمدتها دور القرآن في حلقاتها، فلا تسمح لمعلم أو متعلم إلا باتباع طريقة السلف في تلقي كتاب الله، وهذه الطريقة -ولله الحمد- مفخرة من مفاخر دور القرآن، فقد جذبت الناس من كل مكان: من أوروبا والشرق، ومن إفريقيا ومن كل مكان، وأقبل عليها الحفّاظ الذين حفظوا القرآن في العهد السابق بدون تجويد، فكانت دور القرآن إنقاذاً لهم، فصحّحوا محصولهم من الحفظ، فكانت محل استشفاء لهم بمنزلة المصحة للمريض، فأصبحوا من الحفاظ المجوّدين المتقنين، وأئمة يأتم بهم المصلّون، ويتمنّى إمامتهم كل صادق محبٍّ لكتاب الله، وتسابق أهل المساجد الجديدة لتنصيبهم أئمة؛ لأنهم تميّزوا بإتقان الحفظ وجودة الترتيل، وهكذا انطلق أبناء دور القرآن في كل جهة ينشرون كتاب الله علما وعملاً، وشهد بذلك المؤالف والمخالف، وتمنى كل محب أن تكون دور القرآن في حيّه وطالب الجمعية بذلك؛ حتى يحظى بهذه المنقبة

---

1 رواه الطبراني في الأوسط بسند حسن. انظر الصحيحة (2829).

العظيمة، وهي تلاوة القرآن وترتيله وتخريج الأفواج من الذكور والإناث في حيّه.

❑ الاعتناء بالقراءات الصحيحة:

إن العناية بروايات القرآن حسب نزولها وصحة إسنادها وتداولها بين أئمة الإسلام جيلاً بعد جيل؛ لهو من المناقب الشريفة التي ينبغي أن يتسابق إليها المتسابقون، ويجتهد فيها المجتهدون، لأن في حفظها حفظا لكتاب الله بكل رواياته مشهورها ونادرها، وفي حفظ ذلك علوم جمّة كثيرة يحتاجها المتخصّصون في شتى العلوم الشرعية. ولقد كان النصيب الأوفر لدار القرآن في توجيه حفظتها إلى هذا التخصص، فكان من بينهم فحول تخصصوا في هذا العلم فأصبحوا مناراً يُقصد، وهاهم -ولله الحمد- تتزايد أعدادهم زمانا بعد زمان. وذلك من حفظ الله تعالى لهذا الدين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾.

❑ الاهتمام بتفسير القرآن الكريم:

إن الفهم الصحيح لكتاب الله هو الواجب على كل من اشتغل بتفسير القرآن، لأن تفسير القرآن هو البيان عن مراد الله تبارك وتعالى من إنزال كتابه على عبده ونبيه محمد ﷺ، والخطأ فيه ليس كالخطأ في غيره، ومن قال بغير علم تبوّأ مقعده من النار، وتقوّل على الله ما لم يقله، وكان هذا من

أعظم الكبائر والموبقات.

فاتّجه أبناء دور القرآن إلى أصول تعينهم على الوصول إلى الفهم الصحيح لكتاب الله، فعنوا بطلب السنة والحديث، وتتبّع الآثار السلفية والاجتهاد في ربط القرآن بعضه ببعض، والعكوف على اللغة العربية ليؤخذ منها ما يحتاج إليه في تفسير كتاب الله، وقصدوا المصادر التي اعتنت بأصول التفسير السلفي، وأعظمها تفسير الحافظ ابن كثير والإمام ابن جرير وغيرهما من التفاسير التي اعتنت بتدوين المنهاج السلفي في تفسير كتاب الله، فلذا تجد أبناء دور القرآن لا يلحدون في آيات الصفات، ولا يجحدون آيات القدر ولا يحرفون آيات الألوهية، ولا يعبثون بآيات الحشر والنشر، ولا يتعصبون لمذهب في آيات الأحكام، وتجدهم دائما يتحرون الحق في كل آية بحسبها؛ سواء كانت من آيات العقيدة، أو من آيات الأحكام، أو من غيرهما. فأبناء دور القرآن نشروا الفهم السلفي الصحيح لكتاب الله، وكانوا قدوة صالحة في ذلك؛ عقيدة ومنهاجا وعلما وسلوكا، والحمد لله على هذه النعمة؛ إذ هيئ جيل يعنى بحمل هذا الأصل العظيم الذي نسي في كثير من الأجيال، وفي كثير من المؤلفات التي ألفت في تفسير كتاب الله، فقلبته إلى فلسفة كلامية مقيتة، وإلى صوفية حلولية خبيثة، وإلى رافضية باطنية، وإلى عقلانية جافة مشاغبة باهتة، حتى أصبح كتاب الله لعبة بين يدي جماعة من السفهاء، زعموا تفسير كتاب الله وهم لعمر الله متلاعبون بكتاب الله، ينفثون سمومهم ويبثون أهواءهم واختلافاتهم، فانحرفوا وحرفوا مراد الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ؛ فضلوا وأضلوا.

❑ الاجتهاد في تطبيق مقتضيات الآيات:

إن الهدف والثمرة من الخطاب القرآني لأمة محمد ﷺ؛ هو العمل بمقتضى أوامره واجتناب نواهيه والتصديق بأخباره، وهذا يدرك بتدبره وتفهمه، وهذا القرآن رغم سعة آياته وكثرتها فهو كتاب الأمة إلى يوم القيامة، لا تبتغى الهداية في غيره، فمن ابتغى الهداية في غيره أضله الله، ومن ابتغى الحكم في غيره قصمه الله، فهو كتاب الهداية من أوله إلى آخره. فترى أبناء دور القرآن يمتثلون أوامره في توحيد ربهم وإفراده بالعبودية، ووصفه بما وصف به نفسه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والأمر بالعدل والصدق والأمانة والخلق الحسن، وكل فضيلة أنزلها الله في كتابه يجتنبون نواهيه في البعد عن الشرك والزنا والخمر والسرقة، وأكل أموال الناس بالباطل والزور والكذب والبهتان والظلم والخروج على ولاة الأمور.

❑ نشر المصحف المرتل:

لا شك أن دور القرآن أدركت ما للمصحف المسموع من الأهمية في وسط الأمة الإسلامية، فخصصت من مجهوداتها لتسجيل ونشر المصحف المسموع، واختارت أئمة القراء المعاصرين الذين عرفوا بإمامتهم في تلاوة القرآن وحسن ترتيله، والذين يراعون قواعد التجويد ومخارج الحروف وصفاتها، والمدود والوقوف وغير ذلك مما هو معروف في هذا الفن؛ كالشيخ الحصري والشيخ المنشاوي وبقية الشيوخ، بكل الروايات المنتشرة من حفص وورش وقالون وغيرها، فكان لهذا العمل أثره على البيوت والمعامل والمتاجر

والعيادات والجلسات والسيارات، فما كان فيها من غناء وموسيقى انقلب إلى قراءة كتاب الله فانقلبت اللعنة رحمة، وحضرت الملائكة وطرد الشياطين. وقد نشرت دار القرآن عشرات الآلاف من المصاحف في هذه الحقبة الزمانية، والحمد لله الذي جعلنا من خدمة كتابه، والمتعاونين على نشره، وممن يدخل -إن شاء الله- تحت قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1].

❑ نشر المصحف المقروء:

لا شك أن المصحف المقروء يحتاج إليه كل مسلم ومسلمة، لأن القرآن وِرد الليل والنهار والذَّكر والأنثى والحائض والنفساء والمريض والصحيح، والكل يطلب الاستشفاء بكتاب الله ظاهرا وباطنا، والحرف منه بعشر حسنات، والملائكة تحضر لقراءته، وكان دأبه ﷺ تلاوته بالليل والنهار، وكان جبريل يعارضه إياه، وفي السنة التي توفي فيها ﷺ عارضه مرتين وبقراءته تتنزل الرحمات، والبيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان، وهو المختص في الاستفتاح بالاستعاذة من الشيطان الرجيم بنص آية القرآن، فالمصحف ملازم للمسلم ملازمة حياته وروحه، ولهذا نقل عن الإمام مالك: أنه كان لا يفارق المصحف، وقد صح عن النبي ﷺ قوله: «من سره أن يحب

---

1 أخرجه: أحمد (57/1و58) والبخاري (5027/91/9-5028) وأبو داود (1452/147/2) والترمذي (2907/160-159/5-2908) وابن ماجه (211/77-76/1-212) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

الله ورسوله فليقرأ في المصحف»[1] ولهذه الأهمية جمعه عثمان، واجتمع عليه الصحابة، وأصبح يعرف بالمصحف الإمام. وفضائل المصحف لا حد لها، فهي مقرونة بكتاب الله، ودَأَب المسلمون قديما وحديثا على تحبيره وكتابته بأحسن الأقلام، وأفضل المداد، وأجود الأوراق، وهو محفوظ بحفظ الله من بداية نزوله إلى أن يرجع إلى من تكلّم به ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[2] وقد اختلف نسخ بعض المصاحف، وظهرت الأخطاء في بعض الطبعات، فكان لدور القرآن دَور كبير في تصحيح بعض تلك النسخ، وتبنّت نشر أجود المصاحف برواية ورش وحفص وقالون، فكان لذلك -ولله الحمد- الأثر الكبير في البيوت والفنادق والمتاجر وفي الدوائر الحكومية والمعامل، وفي كل مكان يصلح لوضع المصحف فيه فكانت هذه نعمة كبرى في نشر كتاب الله. فنرجوا الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا العمل شافعا لمن كان سببا في وجوده، ولمن اجتهد في نشره من غير أن ينقص من أجورهم شيئا.

❑ الإمامة في المساجد:

الإمامة من أعظم المناصب التي ينبغي أن يهتم بها لأنها محل قدوة وصاحبها أسوة. وقد كان النبي ﷺ هو الإمام طيلة نبوته ورسالته، إلا في

---

1 أخرجه الحافظ أبو حفص ابن شاهين في الترغيب (190/212/1) والبيهقي في الشعب (2219/208/2) وأبو نعيم في الحلية (209/7) وابن عدي في الكامل (449/2) وحسنه الألباني في الصحيحة (452/5-2342/453).

2 الحجر الآية (9).

تخلفه في غزوة تبوك حينما خرج لقضاء حاجته في صلاة الصبح فتأخر، وخيف من طلوع الشمس، فأم الناس ابن عوف، وصلى وراءه ﷺ. ويوم أن كان مريضا صلى بهم الصديق، وما سوى ذلك فهو الإمام الثابت منذ بداية هذه العبادة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، وهكذا كان الخلفاء من بعده، فمنصب الإمامة لا يتولاه إلا العلماء الأكفاء، الذين جمعوا بين إتقان الحفظ وحسن التلاوة وفقه الكتاب والسنة، وهذه المواصفات -ولله الحمد- توفرت في كثير من طلبة دور القرآن، فتسابق الناس في طلب إمامتهم -وهم أفضل من وجد- وأعجب الناس بتلاوتهم وقراءتهم، وكان لهم الأثر الكبير في توجيه الناس في صلاتهم واستواء الصفوف وحسن أداء الصلاة، والتوجيه العام لأهل المسجد الذين وجدوا فيهم خير مثال في تولي الإمامة؛ زيادة على الأثر الكبير الذي يتركه الإمام في ذلك الحي، وفي تلك المجموعة التي تصلي بصلاته، فينشرون فيهم السنن والمعتقد الصحيح، ويحذرونهم ورطة البدع والمبتدعة الذين دأبوا على الارتزاق بالبدعة. وأما صلاة التراويح في شهر رمضان؛ فإمامة أبناء دور القرآن متميزة في كل أنحاء المغرب؛ في المساجد التي يتولون الإمامة فيها، فتميزوا بحسن القراءة، والترتيل وحسن الصوت، والابتعاد عن البدع، والالتزام بالسنن.

❑ المشاركة في المسابقات والمسيرات القرآنية:

فمع تطور الزمان وانتشار الوسائل الحديثة التي سخرت للنشر والأخبار كالإذاعة والتلفزيون فقد تبوأ أبناء دور القرآن -ولله الحمد- في الإذاعة

والتلفزيون، والمسابقات التي تذاع المكانة المرموقة، فكان منهم المشـــاركون صغارا وكبارا. وأما المسيرة القرآنية الرمضانية فلم يفت أبنـــاء دور القـــرآن نصيبهم منها.

❑ تميز المدرسين والطلاب وتفوقهم:

تميز أبناء دور القرآن الذين انتسبوا إلى التعليم في كل مراحلـــه بحســـن تعاملهم مع النصوص القرآنية في الأداء والترتيل والشرح والتوجيه، وأصبـــح القرآن يأخذ الشكل اللائق به، أما غيرهم فلا تسأل عن التحريفات للآيـــات وقلبها رأسا على عقب، وهذا حال أكثرهم، وأما التلامذة فما عرف بحســـن قراءته وتلاوته إلا أبناء دور القرآن، يشهد بذلك كل المدرسين للغة العربيـــة والمواد الإسلامية وغيرهم، وكثير منهم يطلب من هؤلاء الأبناء أن يُسمعه مـــن تلاوة القرآن ما يُشنف به أسماع إخوانه من التلامذة والحاضرين، فـــنرجوا الله أن يديم هذه النعمة ويبارك في هذه الأجيال، ويوفق القائمين عليها، وأن يزيـــل كل العقبات التي تعترض هذا العمل المبارك، وأن يخذل كل من أراد الوقـــوف في وجهه، وأن يسلط عليه ذلا لا يفارقه إلى يوم يلقاه، إنه سميع مجيب.

❑ ربط الناس بالسنة:

أدركت دور القرآن أهمية العناية بسنة رسول الله ﷺ، فكما ســـبق في شرح هدفها ومنهاجها العلمي في دراسة سنة رسول الله ﷺ، فإن أثر ذلـــك ظهر عمليا في جيل دور القرآن.

❑ توثيق النصوص النبوية:

إن توثيق النصوص ونسبتها إلى مصنفاتها التي أسندتها إلى النبي ﷺ أو مَن بعده، والنظر في درجة أسانيدها وعللها؛ صحة وضعفا؛ من أهم ما يمكن أن تخدم به سنة رسول الله ﷺ، فنسبة المكذوب والموضوع والضعيف إلى النبي ﷺ موبقة من الموبقات، وكبيرة من الكبائر، قال ﷺ: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[1] ولهذا عرف أبناء دار القرآن أهمية هذا الأمر فجنّدوا أنفسهم لنشر هذه القضية المهمة، وشرحها للناس في كل المحافل، وأصبحت من أكبر الأمانات الملقاة على عاتقهم، فلم يألوا جهدا في هذا الموضوع، وسبّب لهم ذلك مصادمات كبيرة مع فئات كثيرة من الذين يظنون أنفسهم مثقّفين، وهم بعيدون كل البعد عن سنة رسول الله ﷺ، فكان اصطدامهم بينا مع المدرسين في المدارس والكليات، ومع الخطباء والمحاضرين في الندوات ومع الكتاب ومع المفسرين لكتاب الله، ومع أئمة المساجد والمؤذنين، فهذه القضية راهن عليها أبناء دور القرآن، وأعطوها كل العناية، حتى إن بعض المعاصرين شبّههم بأنهم رجال أمن الحديث، وهم كذلك، فهم حرّاس سنة رسول الله ﷺ، ونعمت الحراسة. وقد ورد عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: (الملائكة حراس السماء، وأهل الحديث حراس الأرض). فأثّر ذلك في معظم المجتمع حتّى صار الذين لا ينتسبون إلى دور القرآن يتحفّظون في نسبة القول إلى رسول الله ﷺ، فظهر ذلك على

---

1 أخرجه: أحمد (14/5) ومسلم في مقدمة صحيحه (9/1) وابن ماجه (39/15/1) من حديث سمرة بن جندب، وصححه ابن حبان (29/213-212/1).

كثير من الخطباء والوعّاظ والكتاب والمذيعين في الإذاعة والتلفزيون، فـأصبح هذا المنهاج -ولله الحمد- يحمل لواءه أبناء دور القرآن، والسلفيون في بقيـة العالم الإسلامي، فأصبحت الكتب والكتاب والخطباء والوعاظ يوزنون بهـذا الميزان ويقاسون بهذا المقياس، فمتى كان الرجل لا يفرّق بين صحيح وضعيف يلقى كلامه في سلة المهملات، وإذا كان المفتي لا يقرن فتواه بالدليل الموثـق الصحيح، اعتبر كلامه لغوا، واتهم بالجهل من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

❑ تصحيح السلوك والمعاملات مع الفرد والجماعة:

إن المسلم العاقل منذ سن تمييزه وإلى خروج روحه يجب أن يعرف مـا له وما عليه؛ ذكرا كان أو أنثى، وعليه أن يعرف عدوه من صديقـه، وأن يسعى دائما في نفع نفسه، ويحذر أن يهلكها، وإن درس منـهاج القـرآن والسنة وتبعهما في توجيهاتهما وامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما؛ حفظـه الله في حله وترحاله، كما حفظ كل ولي له وكل عبد صالح، فرفع له ذكـره في الدنيا وتغمده برحمته في الآخرة، وجعله في أعلى عليـين. فـالأب رب الأسرة عليه أن يعتبر نفسه رئيس دولة بوزرائها وأمرائها وعمالهـا وكـل لوازمها، ويحفظها بالحلال والحرام، ويأمرها بالمعروف وينهاها عن المنكـر، ويقيم فيها العدل والتوحيد وينشر فيها السماحة والعفو، ويكون هو أحـد أفراد الأسرة، وإن كان هو أب الأسرة. فهذا عمر رضي الله عنه لا ينام حتى يطمئن على رعيته، ويسأل عن كل شاذة وفاذة، حتى لا يتـأثم بالجـائع، ويهلك بالظالم، فالظالم في الأسرة يجب أن يؤخذ على يديـه، والمطيـع لله

ينبغي أن يزاد في تشجيعه وتوجيهه، وكل واحد في الأسرة فهو عضـــو في جسمها، وجارحة من جوارحها، وأحد نبضات قلبها، فإن فسد تأثر الجسم بذلك كما في قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله...»[1] فالأسرة قلب واحد، وهي عبارة عن لحم وعروق تتكامل الحياة بصحتها، وتؤدى الأعمال خير أداء بسلامتها، وهكذا ترتبط الأسرة، وتتفرع بالزواج الحسن والأبناء والأحفاد، ويكون ذلك كله امتدادا للأسرة الصالحة، وينتقل الأمر إلى الأصهار والأعمام والأخوال والخالات والعمات، وتصبح الأسرة عشائر وقبائل، وتكبر حتى تصير مجتمعا ودولا، وكما تكونوا يولّ عليكم، فرئيس القوم من أبنائهم، وإمام المسلمين من اختيارهم، فصلاحه وفساده مرتبط بهم، وهو ابن جلدتهم وواحد من مواليدهم، ولا يتعدى عمره قرنا من الزمان، فأعمار الناس بين الستين والسبعين، وبعدها خرف وضعف لا يستطيع صاحبها قيادة الأمة، لذا يجب التركيز على صلاح الأسر، لأنه طريق الرقي والأمن والاطمئنان.

وهذا أمن الأمة لا يتحقق إلا بصلاحها وارتباطها بخالقها وإلهها، ومتابعتها لنبيها محمد ﷺ.

والأمن لا يمثله رجل السلطة أو العدة والعدد العسكرية ولكن ينبغي أن تعيش الأمة أمنا عقديا، ويكون ذلك منها تدينا ومراقبة لله؛ لا خوفا من

1أحمد (270/4) والبخاري (52/168/1) ومسلم (1599/1220-1219/3) وأبو داود (624/3-3330/625) والترمذي (1205/511/3) والنسائي (4465/241/7) وابن ماجه (1318/2-3984/1319).

سلطة السلطان، ولا من رصاص أمير العسكر وقائد رجال الأمن، ويكون شعارها كلام الله وكلام رسوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[1]، وقال في خطبته ﷺ: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم؛ كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»[2].

وأبناء دار القرآن -ولله الحمد- خير من مثّل هذه الأصول وقدّرها حق قدْرها، وعلم أن الأمن نعمة من النعم، بل هو من أعظم النعم بعد التوحيد، والتوحيد سبب الأمن، والشرك سبب القلق والاضطراب قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ وقال أيضا: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا ۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾[3] وامتن سبحانه على قريش بنعمة الأمن فقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١﴾ السورة. وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ٦٧﴾ وصح عنه ﷺ قوله: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده

---

1 تقدم تخريجه.

2 أخرجه: أحمد (313/3) ومسلم (1218/892-886/2) وأبو داود (1905/464-455/2).

3 آل عمران الآية (151).

قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[1].

فاستقرار الأمن له أسباب كلها مرتبطة بطاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ. وذهاب الأمن واضطرابه مرتبط كذلك بأسباب من شركٍ وكفرٍ ومعصية؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ وقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ وكما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ وقال: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ

1 أخرجه: البخاري في الأدب المفرد (300) والترمذي (2346/496/4) وابن ماجه (4141/1387/2) ولـه شواهد يتقوى بها، انظرها في الصحيحة (2318/410-408/5).

ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٧﴾ وقال: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴿١٠٠﴾ وهكذا لو تتبعنا نصوص القرآن والسنة في أسباب إقامة الأمن؛ فأبناء دور القرآن أعظم من يعرف نعمة الأمن، وهم -ولله الحمد- تراهم مناهضين ومحاربين لكل من أراد أن يمس بأمن شخص أو جماعة، ولا يشتركون في مظهر من المظاهر التي قد تكون سببا في إخلال بالأمن، ولا يحرضون على فتنة، ولا يساعدون ثائرا ولا حاقدا، ويقطعون صِلاتهم وعلاقاتهم بكل صاحب فتنة، فها هي المحاكم -ولله الحمد- أبناء دور القرآن برآء من المثول أمام قضاتها، سواء في القضايا الخلقية أو المالية، وإن كان لا عصمة للجميع، فإن كل أحد معرض للزلة، ولكن نتكلم عن الأكثرية وعلى المنهاج العام لدور القرآن، فهي دعوة سلام وأمن، وترى الحرب على كل من أراد المس أو الإخلال بأي جزئية من الأمن في الفرد أو الجماعة، وهي ضد كل تخريب وفتنة، وترى ذلك من الطيش والحمق، والأساليب الهوجاء العوجاء البعيدة عن الكتاب والسنة، والله تعالى أرسل نبيه محمدا ﷺ رحمة للعالمين، ولو علموا منه ما يسوؤهم في دمائهم وأموالهم ما تبعوه، بل قال له: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[1].

1 آل عمران الآية (159).

❑ تصحيح العقيدة:

إن العقيدة كما أكرر دائما هي العمود الفقري للشريعة الإسلامية، فمتى صحت عقيدة المسلم صح عمله، ومتى فسدت عقيدة المسلم فسد عمله، ولذا كان لأبناء دور القرآن في التصحيح العقدي للأمة دور كبير على مستوى القول والفعل، فإنه قد شاع في الناس الاستغاثة والاستعانة والقسم بغير الله، وشاع التوسل بالذوات، والشعوذة بكل صورها، وشاع السحر، والطواف بالقبور والذبح لها، وشد الرحال إليها والبناء عليها ورصد حرم لها واتخاذ موسم لها، إلى غير ذلك من مظاهر الشرك التي وضحها القرآن وصحيح السنة، وأجمع على إنكارها أهل السنة والجماعة الذين يقتدى بهم في الصدر الأول. فأبناء دور القرآن يحرصون على توجيه الناس لدراسة التوحيد وأصوله، والابتعاد عن الشرك قولا وفعلا، فكان لهذا العمل -ولله الحمد- أثره الطيب على كثير من أفراد الأمة، حتى على أبناء من بنيت الأضرحة على آبائهم وأجدادهم، فأنكروا ذلك وتنكروا له، كل ذلك بحكمة وموعظة حسنة، وأماتوا الشرك والشركيات في كثير من قلوب الأمة، وأقلع الناس عن الحلف بالآباء والأمهات والأجداد، والشرف والطعام والثدي والنبي والكعبة والصالحين ومقبوري البلد، وغير ذلك مما هو شائع على ألسنة العامة والخاصة، بل وحتى بعض المثقفين الذين زعموا أنهم بلغوا في العلم شأوا، وهم لعمر الله أجهل من حمر أهلهم، لأنهم يجهلون المعلوم من الدين بالضرورة. وهكذا حوربت الشعوذة والسحر والسحرة وعبادة القبور، وظهر لذلك -ولله الحمد- الأثر الحميد في أوساط النساء اللواتي يكثر فيهن

ذلك، فأقلع الكثير منهن عن الشعوذة والذهاب إلى الكهنة والسحرة والدجالين والكذابين، الذين يبيعون دينهم بدنياهم. فنرجوا الله أن يكثر أهل التوحيد؛ لأن الأمة في حاجة إلى تعلم التوحيد أكثر من حاجتها إلى الماء والنفس والطعام والشراب.

❑ التحذير من البدع وأهلها ودفع مظاهر التغريب:

لا يشك مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يعرف للنبوة حرمتها؛ أن ما حدث في كثير من بلاد الإسلام؛ من بدع كثيرة عملية في كثير من العبادات والأمكنة والمناسبات؛ يفوق عدد السنن في كل عبادة ومناسبة. وقد انتبه لهذا الخطر علماء الإسلام في وقت مبكر، فألفوا الكتب وحذروا الناس من تلك البدع، ومن أعظم من أصّل هذا المنهاج المبارك أبو إسحاق الشاطبي -رحمه الله- في كتابه النفيس 'الاعتصام' فكان مفزعاً لكل سلفي من أبناء دور القرآن، بالإضافة إلى ما كتبه الطرطوشي وابن وضّاح وابن الحاجّ وأبو شامة، وأكثرهم من علماء المالكية الذين واجهوا البدع والمبتدعة وحاربوها بنَفَس طويل. فلا تسأل عن كثرة البدع التي شوهت رونق الدين وجماله؛ من أدعية واستغاثات وشركيات على منارات المساجد، وفي المقابر وفي حفلات الأعراس والعقائق والموالد، وفي العيدين وفي ربيع الأول ورجب ورمضان وفي المحرم.

ولا تسأل عن كثرتها كذلك في الألبسة والشعور والأظافر والوشام، وفي النساء والصبيان وفي التمائم وفي الأقراط، وفي الأيدي والأرجل وفي

الخلائل وفي الحيوانات من بقر ومعز وإبل، وفي الطيور والأشجار والمغارات والجبال والسهول والأودية، وفي المجالس والمجامع وفي الخطب المنبرية والدروس الوعظية، وغير ذلك مما لا يحصى لكثرته، وما خفي أعظم، فالمصبية عظمى والخطب جلل، والداء قد استفحل والحراس لهذا الباطل هم أهل القوة والمنعة، والمدافعون عنه هم المرتزقة عبّاد الدرهم والدينار، الذين باعوا دينهم بثمن بخس فكانوا تُكأة لكل باطل.

فأبناء دور القرآن على قلة عددهم وضعف نفوذهم؛ كان لهم الأثر الكبير في مواجهة هذا الباطل وإن كان جبالا متسلسلة، وأطوادا شامخة، وكما قيل: لأن توقد شمعة خير من أن تلعن الظلام. فعرف كثير من الناس بطلان هذا المنهاج الذي افتعله المحاربون لسنة رسول الله ﷺ المبغضون لها، عاملهم الله في أخراهم بما يستحقون، وأخزى أحياءهم وجعل عليهم الذلة والصغار، هم وأعوانهم وأنصارهم، والله المستعان.

❑ حرب المذاهب الهدامة:

انتشر في القرون المتأخرة بداية من السادس عشر الميلادي الفكر الإلحادي، الذي برز في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأصبحت له دول كبرى تنشره بكل وسائلها العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية، فكان أثر ذلك سيئا على العالم أجمع، فانتشر الإلحاد والملاحدة، وجندوا أنفسهم لحرب الإسلام والمسلمين، وقتلوا ودمروا المساجد والمعالم الإسلامية في البلاد التي استولوا عليها، وحاولوا أن يجتثوا الإسلام من أصله، ويجففوه

من منابعه، ولكن الله قطع دابرهم وأتاهم من حيث لم يحتسبوا، فأصبحت بضاعتهم التي قدموها للعالم -باسم الرقي والحرية والعدالة، والمساواة بين كل الطبقات، وأنه لا إله والحياة مادة، والدين أفيون الشعوب- خرافة لا حقيقة لها. ورغم إفلاس هذا المنهاج الإلحادي وظهور عواره وفساد طريقته وكذبه على الأمم؛ فما يزال بعض المستغلين لعنوانه يرتقون المناصب في كثير من ديار الإسلام، وهذا لعمر الله سذاجة وضعف وخوار، فأمثال هؤلاء يجب أن يُبعدوا، ويستحيوا من أنفسهم، ويغيروا أسماءهم ومواليدهم. فكان لدار القرآن في مواجهة هذه التيارات الكاسدة أثرٌ كبير في كل المجالات؛ عن طريق الكتابة والشريط، وتحذير الناس من هذا الوباء والسرطان الذي أفسد أمما لا يحصي عددها إلا الله. فنرجوا الله أن يمكّن للمسلمين حتى يعرفوا هذا العدو الغاشم بكل طرائقه فيَحْذروه ويُحذّروا منه.

❑ مواجهة الفرق الضالة:

إن دور القرآن لما لها من عناية في التخصص العقدي؛ فإنها أخذت على نفسها عهدا في مواجهة الفرق الضالة التي شوهت جمال الإسلام، وأثقلت كاهل الناس بمعتقدات وعبادات لا أصل لها، كانت وصمة عار على الإسلام والمسلمين، فالجهمية اشتهر انحرافها في باب الأسماء والصفات، وتفرعت عنها فرق كثيرة وانتشرت أصولها في كثير من المصادر العلمية؛ كالتفسير وشروح الحديث ومصطلح الحديث وأصول الفقه وغيرها من المصادر، وتفرعت عنها فرق كالأشعرية والماتريدية والمعتزلة، وتصدى السلف للرد

على هذه الفرق الضالة وما تفرع عنها، وكتب السلف في ذلك مؤلفات كثيرة كان لها الأثر البليغ في حفظ المعتقد السلفي وصيانته من عبث العابثين، وأبناء دور القرآن -ولله الحمد- مع الامتداد للمنهاج السلفي المبارك الذي وقف سدّا منيعا، وشوكة في حلق كل جهمي وأشعري، أو ماتريدي أو معتزلي أو خارجي؛ كان أئمة السلف قدوتهم؛ كالإمام مالك والأوزاعي وأحمد وابنه والدارمي والبخاري وابن تيمية وابن القيم والذهبي وغيرهم في مواقفهم وكتاباتهم، ووفقني الله فجمعت مجلّدة متوسطة سميتها: 'المصادر العلمية في الدفاع عن العقيدة السلفية' فكانت سجلا مباركاً لكل أبناء دور القرآن، يقررون ما قرره السلف في باب الأسماء والصفات، ويبتعدون عن كل تحريف وتعطيل باسم التأويل وانتشر -ولله الحمد- هذا المنهج العظيم في أوساط الناس، وأحرجوا المبتدعة الذين لا يزالون يعيشون على هذه الأوهام؛ للارتزاق من بقايا مروّجي الضلال من الأغنياء والوجهاء، هداهم الله جميعا إلى الصراط المستقيم، ونشروا كتب ورسائل أئمة السلف وأصولهم في كل ميدان ومنتدى وتجمع، وحصل بذلك الخير الكثير.

❑ محاربة الرافضة المجوس:

منذ بداية الإسلام فكر أعداؤه في مواجهته، فاخترعوا مذهبا ظاهره الرحمة وادّعاء حب آل البيت! وباطنه من قبله العذاب والتخريب، وضرب أصول التوحيد والنبوة والرسالة. وقد نشأ هذا المذهب الخبيث وترعرع في أوساط الأعاجم الشعوبيين الحاقدين، وورثة ملك الفرس وأغنيائه والمحبين له،

وانتشر مخططه في مشرق الأرض ومغربها، حتى أصبح دولا تحكم البلاد والعباد، واشتهر غيظه وحقده وكيده للمسلمين، وقتل علماء السنة أينما كانوا شرقا وغربا، وأميتت كتب الحديث والآثار، وأحييت الزندقة وأصولها، وإن كذبت فاقرأ تاريخ الفاطميين بمصر، والعبيديين بالمغرب، والبويهيين بالمشرق، وبقاياهم في كل مكان، واقرأ ما كتبه الدباغ في 'معالم الإيمان' والمقريزي في 'الخطط' وابن كثير في 'البداية والنهاية' وإن شئت أن تعرف ديانتهم فاقرأ ما كتبه الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله في 'منهاج السنة' الذي فضحهم وعرّاهم، واقرأ ما كتبه الشيخ إحسان إلهي ظهير، وما كتبه الآلوسي ومحب الدين الخطيب، وغيرهم كثير ممن فضح الرافضة وكشف عن مخططاتهم؛ وقد ذكرت مواقف السلف منهم في كتابي 'موسوعة مواقف السلف الصالح في العقيدة والمنهج والتربية'، وبينت أصولهم وأحوالهم في كتابي 'أهل الأهواء والبدع والفتن والاختلاف' وأفردت الرد عليهم في كتابي 'من سب الصحابة ومعاوية فأمه هاوية'. فكان طلبة دور القرآن من خيرة من تصدى لهذا التيار الفاسد الكاسد بفضحه وبيان عواره، وما يزال -ولله الحمد- نشاطهم قائماً في التحذير من هذه النحلة الخبيثة؛ بالكتب والأشرطة والمحاضرات والخطب والنشرات.

❑ التصدي للفكر الصوفي:

وأما نحلة التصوف فإنها انبثقت عن الرافضة ومثلتهم في كل طقوسهم، ومن أعظم ذلك الغلو في الأموات، وافتراء الكرامات والمناقب لكل أفاك

دجال. وأما الشرك بالله فهم دعاته ومنظروه في كل مكان، كما هي عادة أهل الرفض الذين هم أصول هذه النحلة، فقام طلبة دور القرآن بدحض هذه النحلة الخبيثة التي هي سرطان الأمة الإسلامية، والتي تولت نشر البدع العلمية والعملية، وأخرجت الناس عن حقائق التوحيد، وأدخلتهم في متاهات الخرافات والأساطير، وكانت وما تزال سببا في كل هزيمة لأهل الإسلام، وأخذت على عاتقها إطفاء كل شعلة تحفظ للإسلام مجده وعزه. وقد حذرت من هذه النحلة في وقت مبكّر، وألفتُ سلسلة 'الإحسان في اتباع السنة والقرآن لا في تقليد أخطاء الرجال' فأدخلت فيها شبهات المتصوّفة والرد عليها، وما ساقه عبدالسلام ياسين، ووقفات مع الكتاب المسمى 'دلائل الخيرات' وهو من شر الكتب التي ابتليت بها الأمة كسابقه 'الإحياء' الذي أفردته بتأليف سميته 'الأسباب الحقيقية لإحراق إحياء علوم الدين من قِبل أمير المؤمنين ابن تاشفين'، وكل كتاب على منواله، وقد فصلت القول في أصول هذه النحلة الخبيثة في كتابي 'أهل الأهواء والبدع والفتن والاختلاف'.

❑ *نقض أسس العقلانيين أفراخ مدرسة الاعتزال.*

ظهر في الوقت الحاضر أناس زعموا التحرر من ربقة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وظنوه مذهبا جديدا يساير ركب الحضارة المعاصرة، وهو في الحقيقة مذهب قديم يرجع تاريخه إلى إبليس اللعين، الذي استعمل

عقله وقياسه الفاسد فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ١٢﴾ فكفر بالله فطرده من دار كرامته، وجعل لعنته مسبلة عليه هو وأتباعه وقرناؤه ومن كان من جنوده من الفلاسفة والمتكلمين والعقلانيين، الذين وصف مذهبهم بأنه كالوباء للأمم، إذا ظهر بأمة فتك بشعوبها. فالعقلانية طرحت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وزعمت أنه إذا تعارضت النصوص الشرعية والقضايا العقلية؛ فإن العاقل يقدم ما قرره العقل، لأن قضاياه قطعية ودلالة النصوص ظنية!! إلى غير ذلك من الهذيان الذي تبناه المعتزلة، وأخذه عنهم الأشاعرة والماتريدية، وأحياه الأفراخ المعاصرون مثل الغزالي والترابي والقرضاوي وأضرابهم من قرناء السوء. وقد تولّى شيخ الإسلام ابن تيمية في 'درء تعارض العقل والنقل' رد هذا الأصل، وبيّن تهافته وتناقضه، وأن الشرع لا يعارض العقل، وما العقل إلا وسيلة لفهم الشرع، فكان كتابه نافعا سد هذه الثغرة التي نفذ منها كل شيطان، ودخل منها كل من في قلبه مرض، وتذرع بها كل من أراد رد نصوص الوحيين، فطلبة دور القرآن هم جنود السنة والقرآن، يقفون في وجه كل من كان، إن بالندوات والمحاضرات، وإن بنشر الكتب والرسائل. وقد أفردت لهم كتابا سميته 'المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات' وبينت تفاهة هذا الأصل الباطل بالأمثلة العملية والتوجيه العلمي، والحمد لله الذي أنار لنا الطريق وبصّرنا بالعلم النافع، واقتفاء أثر السلف الصالح.

❑ دعوة الجماعات وتوجيهها إلى المنهج الصحيح:

لقد ظهر في الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي جماعات تنسب نفسها إلى الإصلاح، وتدعوا الناس إلى الرجوع إلى الله، وهذا العمل في حد ذاته عمل مبارك يباركه كل من سمع به، لكن بكل أسف، فجميع هذه الجماعات هي امتداد للفرق الضالة بكل أصولها؛ من صوفية خرافية وعقلانية باهتة، وخارجية مكفرة ومرجئية معتذرة لكل زنديق مارق مفتونة بكل باطل، تحمل راية التزلف والموافقة لكل المبطلين الذين ما تأخروا لحظة واحدة في حرب أهل الإسلام بالمال، وبالمهاترات السياسية الكاذبة التي أهلكت الحرث والنسل. فكان لطلبة دور القرآن دور كبير في مواجهة هذه الجماعات بالكتاب والشريط، والمناظرات والمقالات وبشتى الوسائل المشروعة، وقد رجع كثير منهم والحمد لله.

❑ ربط الناس بأئمة السلف:

إن الله بعث نبيه محمدا ﷺ وجعله الأسوة الوحيدة المتبعة التي نصت الآيات والأحاديث على الاقتصار عليها، والذين أخذوا عنه ما زادوا ولا نقصوا، فأدوا الأمانة وبلغوا الرسالة وجاهدوا في الله حق جهاده، فرضي الله عنهم وأرضاهم. فحقوق هؤلاء على الأمة كثيرة في الترضي عليهم كلما ذكروا جميعا أو ذكر واحد منهم، ومن حقوقهم عليها معرفة سِيَرهم العقدية والمنهجية والعلمية والعملية، فهم مفخرة الأمة وشرفها وقدوتها في نصرة هذا الدين، ومنهاجهم هو المنهاج، وطريقهم هو الطريق الصحيح، ويكفيهم

شرفاً وفخراً أن الله مدحهم وزكاهم وأثنى عليهم في آيات كثيرة، وهم حرمة رسول الله ﷺ وحِماه، فمن وقع فيهم وقع في الحمى، والخلف مهما بَعُد تاريخهم الزمني لا يكتمل فهمهم وعلمهم وعملهم إلا بالاتصال بسير هؤلاء وفهمهم وجهادهم ودعوتهم.

فكان لدعوة دور القرآن الأثر الكبير في استنهاض همم الشباب إلى قراءة سير هؤلاء وحفظها، والائتساء بها ودعوة الناس إليها، والتقرب إلى الله تبارك وتعالى بذلك. ودعوةُ دور القرآن تَرى أنّ من أهمّ أصول دعوتها فهم السلف الصالح؛ بداية من الصحابة رضي الله عنهم، وتثنية بالتابعين والتلبعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. فنرجوا الله أن يرزقنا حبّهم، ويوفقنا لتعلم مناقبهم وتعليمها، وأن يعصم ألسنتنا وجوارحنا من الوقوع في أعراضهم، وتدنيس عقيدتنا بالكلام فيهم، وأن يجنبنا طريقةَ ورثة المجوس واليهود والنصارى من رافضة وملاحدة، والوقوعَ في صغار أئمة السلف فضلا عن كبارهم. إنه سميع مجيب. وقد وفقني الله لتأليف مصنف جامع لمشهوري أئمة السلف بلغ أكثر من ألف إمام على مدى خمسة عشر قرنا من الزمن سميته 'موسوعة مواقف السلف الصالح في العقيدة والمنهج والتربية'.

❑ توجيه الناس في وقت الأزمات والفتن والمحن:

سنة الله في عباده كلهم أن يبتليهم بالأمراض في ذواتهم وفي أقاربهم ومحبيهم، وفي مالهم وأهليهم وأولادهم، وأعظم المصائب أن يبتلى الإنسان في دينه، وقد علمنا ﷺ أن نسأل الله العافية من ذلك فقال: «ولا تجعل مصيبتنا

في ديننا»[1] وجاء في البخاري عن ابن أبي مليكة أنه كان يقول: «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا»[2]، وكان في ورده ﷺ في تشهده -وتَرَكه سُنة لأمته- التعوذ من أربع: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[3]، وكان من هديه ﷺ التحذير من الفتن، وتنبه لهذا علماء السنة فأدرجوا كتاب الفتن في مصنفاتهم، كما فعل أصحاب الصحاح والسنن، وأفرد بعض العلماء كتباً خاصة لهذا الموضوع نظرا لأهميته، والفتنة تعظم وتصغر، وما من زمان إلا وفيه فتنة، وكلما بعد العهد بالنبوة كلما كثرت الفتن، ومن تتبع تاريخ الإسلام من بداية الهجرة النبوية إلى يومنا هذا؛ يرى معظم عهوده مليئة بالفتن، وأعظمها تسلط أعداء الإسلام على الأمة الإسلامية، وتسلط أعداء السنة على أهل السنة، وهذا مَن تتبّعه وجد فيه تاريخاً حافلا كبيراً، والناجي والناجح في زمن الفتن قليل، ووجود علماء الحق وعلماء السنة سفينة نجاة لمن ينشد الحق من هذه الأمة؛ إن اعتصموا بتوجيهاتهم في وقت الفتن.

ودعوة دور القرآن توجّه أبناءها وتحذرهم من الوقوع في الفتن، وتبين لهم المخرج الواضح عند حدوثها، وكان من هذه التوجيهات الآتي:

---

1 أخرجه: الترمذي (5/493-494/3502) وقال: "حسن غريب"، والنسائي في عمل اليوم والليلة (310/401) وصححه الحاكم (1/528).

2 أخرجه: البخاري (13/3-4/7048) ومسلم (4/1794/2293).

3 أخرجه: أحمد (2/237) ومسلم (1/412/588[131]) وأبو داود (1/601/983) والنسائي (3/58/1309).

1- الاعتصام بالكتاب والسنة، فإن فيهما النجاة بكل ما في الكلمة من معنى، والازدياد من العلم النافع، والاهتمام به في كل قضية ونازلة.

2- الرجوع إلى علماء الكتاب والسنة والالتفاف حولهم، والاعتصام بتوجيهاتهم الصادقة.

3- لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وعدم الخروج عليهم ورفع السلاح في وجوههم، فإن في ذلك مفاسد لا تحصى قد تفوق ذر الرمال وقطرات البحر وحصى الجبال، فإن رفع السلاح وإشهاره في وجه الأمة قاصمة للظهر، وانفلات للحبل، وفتح لباب الفتنة على مصراعيه.

4- عدم التسرع في الأحكام، والوقوف مع كل قضية بحسبها حتى تتضح معالمها وضوح الشمس في وسط رابعة النهار.

5- التوبة والرجوع إلى الله، وعدم الاغترار بما قد يكون عند الإنسان من عُدة وعَدد، فإن ذلك لا يجدي شيئا.

6- الدعوة إلى حفظ أمن البلد، وعدم الإخلال به مهما كان الحاكم في سلوكه وأحواله، فإن في الإخلال بالأمن شرا كبيرا.

7- تثبيت الأمة وتحذيرها من الطيش والحمق، والوقوع في المزالق والزلات، والانضمام إلى كل أحمق طائش يفرق صفوف الأمة ويشتتها.

8- الصبر وربط الجأش والثبات على المبدأ الذي كان عليه الإنسان في تاريخه الأول؛ على عقيدة ثابتة راسخة مستقاة من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

9- الإكثار من قراءة كتب الفتن، حتى يتشبع أبناء دور القرآن

بالنصوص التي فيها التحذير من الوقوع في الفتن.

10- المحافظة على الصلوات والدعاء في السجود والقنوت والخلوات والجلوات؛ بأن يفرّج الله الكربة ويزيل الغمة، والله تعالى من سنته أنه لا يديم على أحد شدة، فهو الغفور الرحيم.

11- انتقاء أدعية الكرب، وقد علمنا رسول الله ﷺ الكثير منها في هذا الباب كما لم يتركنا هملا في كل الأبواب من الدلالة على الخير، والتحذير من الشر.

❑ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو بمنزلة المطر في الأرض، يحييها ويبعث فيها الحياة فتزدهر بنباتاتها اليانعة، ووُرودها وأزهارها وثمارها وسنابلها، وإذا فقد هذا الأصل في الأمة صارت أرضاً جرداء يابسة مليئة بالأشواك والحفر، وأصبح المشي فيها إذاية وبلاء ووبالا. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يستغنى عنه في أي زمان وفي أي مكان إلى أن تقوم الساعة، وكل أمة اعتنت بهذا الأصل أصلح الله شأنها وأقام أعلامها، وكتب لها البقاء والتمكن، كما قال الذي خلق السماوات والأرض وخلق المخلوقات: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[1]

1 الحج الآية (41).

وكل أمة انخرم فيها هذا الأصل وانمحى؛ فإن كل الأمراض الحسية والمعنوية تنزل بها، فالآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر حرّاس هذه الأمة وجُنودها وأمنها والدافعون لكل شر يتسرب إليها، والداعون لكل خير ينفعها. وهذا الأمر لا يحتاج إلى كبير جدال وبرهان؛ فإن القرآن والسنة أفاضت نصوصهما وتواترت في هذا الأصل، ويكفينا حديث واحد أخرجه البخلوي وغيره: «مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها؛ كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم. فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا. فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم؛ نجوا ونجوا جميعا»[1].

فكان لدعاة دور القرآن بفضل الله نصيب من هذا الأصل، فانتشروا في المدن والقرى والمساجد والمناسبات، ودور القرآن المخصصة لهذه الدعوة، فاتصلوا بعموم الناس الذكور مع الذكور والإناث مع الإناث، فكان لهم الأثر الطيب في توجيه الناس إلى التوحيد، وتحذيرهم من الشرك الأكبر والأصغر، وحثهم على السنة، وتحذيرهم من البدع، وإرشادهم إلى الطاعات، وتنفيرهم من الموبقات والمعاصي وكل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، فشكر الناس لهم ذلك الصنيع. فنسأل الله أن يوفقهم للاستقامة على الحق، والاهتداء

1 أخرجه: أحمد والبخاري والترمذي عن النعمان بن بشير.

بهدي النبي ﷺ في طريقته المثلى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعدم الوقوع في الشطط والتنطع.

❑ تصحيح العبادات:

كان الناس وإلى عهد قريب يتّبعون في عباداتهم متون المذاهب من نظم ونثر، هذا في حق من ينتسب إلى العلم، أما عامّة الناس فليس لهم نصيب إلا التقليد الأعمى. ولما جاءت دور القرآن حاولت أن تربط الناس في عباداتهم بالدليل الثابت عن رسول الله ﷺ، فتوجّه أبناؤها وبناتها ورجالها ونساؤها لحفظ متون الحديث وجوامعه، كالعمدة والبلوغ ومنتقى الأخبار، ومن ترقى اتصل بأصول السنة كموطّأ مالك والكتب، الستة ومسند أحمد، وأقبل شباب دور القرآن على شروح هذه المتون والكتب واستفادوا من استنباطات العلماء وذكرهم لأقوال أئمة السلف، وهذا الذي دفعني إلى ترتيب تمهيد الإمام ابن عبدالبر على الأبواب الفقهية، وإلحاق زوائد الاستذكار به، فكانت موسوعة كبيرة تجمع علوم الأوائل والأواخر، أضف إلى ذلك الشرح الماتع للإمام الحافظ أبي الفضل ابن حجر المسمى 'فتح الباري' وبقية شروح الكتب الستة، وشروح البلوغ والعمدة والمنتقى، فأصبح توجه شباب دور القرآن مرتبطا بالسنة وشروحها، وما أُثر عن السلف الصالح في كل قضايا الأحكام، واتصلوا بمصنفي عبدالرزاق وابن أبي شيبة، وما ألفه الطحاوي والبيهقي في هذا الباب، فأصبح همهم الوحيد تتبّع الدليل والبحث عنه في مظانه ومصادره، وصاروا لا يهتدون دينهم من عقيدة وحلال وحرام؛ إلا

بدليل ثابت، فكانت أحكام الطهارة والغسل والحيض والنفاس عندهم مرتبطة بالثابت عن النبي ﷺ، وهكذا في المياه والنجاسات ومقادير الوضوء وما يتوضأ منه وما لا يتوضأ منه. وأما صفة الصلاة فإلى وقت قريب والخصومات جارية في وضع اليد اليمنى على اليسرى، في البلاد التي انتشر فيها مذهب مالك ومذهب زيد بن علي أو الإباضية الخوارج والشيعة الروافض، فكل هؤلاء يرسلون أيديهم في الصلوات، وألفت في ذلك كتب كثيرة ما بين مبطل لهذه الصفة ومدافع عنها، وجاءت دور القرآن -ولله الحمد- فأنهت هذه الفتنة وبيّنت للناس الحجة والدليل، وليست هذه السنة وحدها في صفات الصلاة هي التي فرّط فيها المصلون، بل قد فرّطوا في سنن كثيرة كالرفع في المواضع الأربعة، وإقامة الصلاة بخشوع وخضوع وقراءة سويّة، وطمأنينة في الركوع والسجود، ومجافاة لليدين عن الجنب، ورفع الصوت بالتأمين، وجلسة الاستراحة، وغيرها كثير. وتجد عند صغار السن منهم 'صفة صلاة النبي ﷺ' للشيخ الألباني رحمه الله، وأما طلبتهم فيرجعون كل صفة إلى أصولها من البخاري ومسلم والموطأ والسنن الأربعة وغيرها، وهكذا أصبحت السنة ظاهرة في عموم المصلين، وفي خصوص أبناء دور القرآن، وتُنوسيَ التعصّب المذهبي الذي كان سبب الفرقة، وأصبح الأئمة يحرصون على تسوية الصفوف وتعديلها، وغدا المسلم يسأل عن الدليل في كل صفات الصلاة من التكبير إلى التسليم، لا يرتبط بمذهب ولا حزب ولا طريقة، كما كان الأمر في السابق مما أدركنا عليه آباءنا وأئمة مساجدنا، فلا نجد الواحد منهم يقيم معشار ما هو عليه الآن أئمة المساجد، وذلك بفضل

الله، ثم ببركة دعاة السنة جزاهم الله خيرا، وأبرزهم أبناء دور القرآن والحمد لله. وأصبح الأئمة والمصلون يتحرجون في صلاتهم إلى غير السترة، فلا يصلون إلا إليها، وهذا ببركة الدعوة إلى سنة رسول الله ﷺ، وأما اللباس فأبناء دور القرآن يتحرجون من الصلاة خلف المتسرولين بالسراويل الضيقة الحازقة التي تحجم عورة الإمام أو المصلي، فهذا لا شك أن صلاته باطلة، لأن ستر العورة شرط في الصلاة، وكذلك النساء أصبحن يصلين بستر كامل، وكن في السابق لا يسترن أقدامهن، بل وجزءا من سوقهن، وبهذه الدعوة المباركة أقلعن عن ذلك ورجعن إلى سنة رسول الله ﷺ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

❑ عمارة المساجد:

كان أحدهم قبل زمان إذا دخل المسجد لا يجد إلا الإمام والمؤذن واثنين أو ثلاثة أو عددا قليلا، أما الآن فأصبحت معظم المساجد على كبر مساحتها تكتظ بالمصلين في كل أوقات الصلاة، وأصبحت الإدارات والمعامل تفتح فيها المساجد إلا القليل النادر، وأما معظم المسلمين في الإدارات والمعامل والمدارس والكليات؛ فيجتهدون في تأسيس مسجد يصلي فيه العمال والطلبة والمدرسون، وهذا من بركة الدعوة إلى السنة، ومن بركة وجود دور القرآن وأبنائها الذين ظهر أثر دعوتهم في عمارة المساجد، والكثير من عمار المساجد من الشباب والصغار هم من أبناء دور القرآن. وهكذا -ولله الحمد- أثرت دعوة دور القرآن في امتلاء المساجد بالمصلين، فأصبح

الجار ينصح جاره، والرفيق ينصح رفيقه، والأستاذ ينصح طلابه، والأب والأم ينصحان أبناءهما، والمدير يوجه المدرسين. ونرجوا الله تبارك وتعالى أن يديم هذه النعمة على المسلمين، ولا يتأثروا بهذه الحملة المفتعلة من لدن الصليبيين؛ بل يكون ذلك سببا في ثباتهم وتمسكهم بدينهم، وازدياد عددهم وعدتهم.

❑ الحث على الحج والعمرة:

كان الحجاج والمعتمرون -إلى عهد قريب- قليلي العدد، لكن بعد اتساع رقعة الدعوة الإسلامية وانتشارها، وتأسيس دور القرآن في بلاد المغرب كله؛ ازداد عددهم، وأصبحت السفارة السعودية في كل مكان تزدحم بالحجاج والمعتمرين لأخذ التأشيرة والدخول إلى تلك البلاد. أما أبناء الخليج الذين لا تأشيرة عليهم فيكثرون في رمضان وفي غيره، ويتميز شهر رمضان بمظهر عجيب يلفت النظر ويثلج الصدر، ويتمنى المحب للإسلام والمسلمين أن يجتمع في هذا العدد، لأن هؤلاء كلهم جنود الإسلام، وأغاظ هذا المظهر الملاحدة والكفرة، وحقدوا وفكروا في تدبير المؤامرات، وهاهم يطلقون الدعايات، وينسبون لأهل الإسلام كل كيد ومكر افتعلوه هُم وأذنابهم وعملاؤهم، أخزاهم الله وضرب عليهم الذلة وباءوا بغضب منه.

وأما كيفية حج واعتمار النبي ﷺ فأصبحت -ولله الحمد- أمرا متداولا بين تلامذة دور القرآن، فقرؤوا صفة حجه ﷺ من أصولها كالموطأ والبخاري ومسلم وأحمد وغيرها، وممن خصصوا ذلك بتأليف كابن حزم، ومن المعاصرين

الألباني وابن باز رحمهم الله جميعا، ومن موسوعة ابن القيم 'زاد المعاد'.

وأصبح الشباب الذين يرافقون الحملات التي تنظمها الشركات وغيرهم، يبينون للناس صفة الحج والعمرة وفقا لهدي النبي ﷺ القائل: «خذوا عني مناسكم»[1] فظهر أثر ذلك على الحجاج والمعتمرين، فترى حسن السمت منهم يزداد سنة بعد أخرى؛ من لباس وتوفير لحية ونبذ للبدع والشركيات، يتلقونه من توجيهات في التحذير من الشرك والبدع. وقد أغضب ذلك ذيول الصوفية فحاولت الترميم والترقيع على عادة المنافقين وضربت عليهم الذلة والمسكنة فهاهي السنة ترفع رأسها والبدعة تلفظ أنفاسها.

❑ إحياء السنة في الجنائز:

من عاش العهود الأولى في بلاد المغرب رأى العجب العجاب في بدع الجنائز؛ من الاحتضار إلى الدفن وتسوية التراب، وقد ذكرنا بدع ذلك في القسم الذي خصصناه للبدع العملية الموسوم بـ'موسوعة البدع' وكان لأبناء دور القرآن دور كبير في مسيرة الجنائز وتنقيتها من البدع والمخالفات، وإقامتها على السنة في كل مراحلها، فما يفعله المرتزقة بائعو القرآن عند الغسل وعند الدفن وبعده في الأربعينيات، وفي غيرها مما أحدثه المحدثون تقربا وتعبدا؛ ليس من السنة في شيء، بل السنة في الجنائز واضحة لا خفاء فيها ولا غموض. ومن السنن التي أحياها أبناء دور القرآن في الجنائز تغميض عيني

---

1 أخرجه: أحمد (318/3) ومسلم (1297/943/2).

الميت وتسجيته، والإسراع بغسله والصلاة عليه كما صح عن النبي ﷺ في التكبيرات والإسراع بالجنازة في حملها، وإرجاع تراب القبر عليها دون زيادة، والدعاء للميت عند القبر، والموعظة للحاضرين، والانصراف وعدم الوقوف عند باب المقبرة للتعزية، وهذا هو الثابت...

يجتهد الإخوة لإحضار الطعام لأهل الميت تبعا لوصية النبي ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاما فإنهم جاءهم ما يشغلهم»[1] وقد انتشرت هذه السنة -ولله الحمد- في المغرب كله مدنه وقراه، أما المرتزقة بائعو القرآن فيشوشون على أهل السنة والجماعة، ويحاولون طمس الحقائق، وإرجاع الناس إلى عهد البدع لا ردها الله، ومؤيدوهم من الذين باعوا دينهم بثمن بخس يعضدونهم في هذا الباطل ويشجعونهم عليه، وقد ألفوا في ذلك الكتب ولكنهم -ولله الحمد- (لن يفلحوا)، فقد أسفر الصبح لذي عينين، وأصبحت سنن الجنائز واضحة لعموم الناس، ولم يبق على خلاف ذلك إلا حثالة المبتدعة.

❑ إحياء السنة في الأفراح:

وأما المناسبات العائلية من أعراس وغيرها فمليئة بالمخالفات والمنكرات، ودخلت عليها أوروبا بمفاسدها الخلقية، وأصبحت بعض الأعراس مفسقة يؤمها كل مريض القلب، فلا تسل عن الاختلاط وعن

---

1 أخرجه: أحمد (205/1) وأبو داود (3132/497/3) والترمذي (998/323/3) وقال: "حديث حسن صحيح"، وابن ماجه (1610/514/1) وصححه الحاكم (372/1) ووافقه الذهبي.

الخمور التي تراق، وعن الأعراض التي تنتهك، وكثيرا ما انقلبت إلى منادب وأحزان أو مرافعات ومحاكمات، أو جثث هامدة وأموات صرعى، كل ذلك بسبب المخالفات الشرعية. فجاء أبناء دور القرآن وأرجعوا الناس في واقع أعراسهم إلى الكتاب والسنة، فأزالوا كل العوائد والمفاسد فأصبحت ولله الحمد والمنة تقام على الكتاب والسنة، خفيفة المحمل والمؤنة، تعم فيها السكينة والطمأنينة، وصار الناس يتسابقون إلى الإخوة والأخوات؛ ليقيموا أعراسهم على الوجه المشروع الذي يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، فانتشر هذا الخير انتشارا كبيرا، وحمده الأولون والآخرون، وأصبح كل عروس يتمنى أن تكون مناسبته على ما شاهد؛ من إقامة للكتاب والسنة، وقلّة الكلفة، وزوال المعصية، والحمد لله على هذه النعمة.

✓ ***أثرها في الزواج:***

الزواج فطرة فطر الله عليها الذكر والأنثى، والكثير من الناس لا يعرفون منه إلا الكلفة والمشقة، حتى إنه أصبح عندهم من الأمور المستحيلة، فجاءت السنة -ولله الحمد- فيسّرت هذا الأمر، وأصبح النساء لا يشترطن في الزواج إلا ما تقوم به الحاجة من نفقة وكسوة. ومن قارن بين الزواج السني السلفي وغيره وجد البون شاسعا كما بين السماء والأرض، فثوب واحد للمرأة عند المتكلفين يكفي تلميذة من بنات دور القرآن مهرا لها، وكسوة إقامة عرسها، وأما المناسبات التي يقيمها الذين لا يلتفتون للسنة فيمكن أن يعيش بها السني عشرات السنين.

وأما غلاء المهور وما يقدم فيها من الذهب؛ فهذا لا يمكن معه بحال أن

يطمع واحد من الضعفاء في الزواج، لذا فدور القرآن حرضت على تيسير الزواج حتى صار كثير من الآباء يدفعون مهور بناتهم، وقد حضرت عدة مناسبات كان الآباء يتفضلون فيها بتقديمها، وكثير منهم يسّروا السكن، وبذلك كثر الزواج وتعفّف كثير من الرجال والنساء، وما يزال الأمر ماضيا والحمد لله، وقلما يحدث خلاف بين الزوجين بالمقارنة مع غيرهم، وهذا يدل على عظمة هذا المنهاج، وأنه منهاج تربوي عظيم، قد شمل خيره كثيرا من الطبقات الاجتماعية المحرومة من الكتاب والسنة الذين فيهما خير الدنيا والآخرة. نسأل الله أن يجعلنا من أنصار كتابه وسنة نبيه ﷺ، وأن يوفّقنا لفهمهما على طريقة السلف الصالح.

✓ ***أثرها في العقائق:***

وأما العقائق فكانت في كثير من البلدان مرتبطة بالأضرحة، وجملة من العادات التي ورثها الآباء عن الأجداد، وأغلبها من المخالفات، كحلق رأس المولود داخل الضريح، وقول أبويه إننا متوكلون على صاحب الضريح لينجي مولودنا من كل الآفات. فجاءت هذه الدعوة المباركة فأحيت السنن في العقيقة للذكر شاتان وللأنثى واحدة، ويحلق رأس المولود، ويوزن شعره بالفضة ويتصدق بثمنه، ويدعى لها الإخوة والأخوات، وتلقى الدروس والكلمات، فيحث فيها على التربية والتنشئة الإسلامية، ويستفيد الحاضرون من التوجيهات النبوية التي تُبلّغ بهذه المناسبة. على هذا النمط تمر كل مناسبة شرعية، وتكون كل اللقاءات عبارة عن توجيهات ومواعظ وذكرى، وهكذا كان حال الصحابة رضي الله عنهم إذا اجتمعوا تذاكروا القرآن والسنة،

نسأل الله أن يوفقنا لسلوك سبيلهم.

❑ البحث العلمي:

لا شك أن البحث العلمي والاهتمام به عند دعاة الكتاب والسنة أمر مهم غاية الأهمية، والدعوة إذا لم ترتبط بهذا البحث بجميع تخصصاته التي تهمها في مسيرتها الدعوية تكون دعوة سطحية، ويكون أثرها على الأمة أثراً ضعيفا لا تستطيع مواجهة أعدائها في الداخل والخارج، ولا تثبت أمام الشدائد والعواصف؛ لذا كان لدعوة دور القرآن النصيب الأوفر من هذه الفكرة من بداية نشوئها، فهيأت لهذا الأمر ما تستطيعه من جمع للمصادر العلمية في مختلف الشُّعب؛ من تفسير وحديث ولغة وفقه وعقيدة وغير ذلك، فكان في كل دار خزانة تجمع أمهات المصادر العلمية، ثم تطور ذلك بفضل الله إلى تكوين مركز للبحث العلمي يتدرب فيه طلبة هذه الدعوة المباركة، الغاية منه:

1- تكوين باحثين مقتدرين، لهم خبرة واسعة بالمصادر العلمية على اختلاف تخصصاتها.

2- تقريب كتب السنة وإخراجها في أحسن حلة تناسب القراء.

3- الرد على أهل الأهواء والبدع على اختلاف أنواعهم.

4- التصنيف الذي يحمل الجديد من العلم النافع وإنشاء مجلة تعبر عن الدعوة السلفية وأهدافها.

5- تحقيق المخطوطات التي تخدم أهداف المنهج السلفي في جميع أبواب

العلم.

6- الاستفادة من كل مراكز البحث العالمية مع تعددها واختلاف أماكن وجودها.

7- الاستفادة من كل الباحثين الذين تصب أعمالهم في خدمة المنهج السلفي.

8- التصدي لكل أعداء الإسلام من ملاحدة ويهود ونصارى ومجوس وغيرهم.

9- التعريف بشمولية الإسلام وأنه المنهاج الوحيد الذي لا يستقيم أمر الأمم على وجه الأرض إلا به، وأنه لا يقبل التعددية ولا الجمع بينه وبين بقية الأديان المنسوخة المشوهة، كما يزعمه المنحرفون من أهل الباطل الذين يحملون هذا الفكر الماسوني اليهودي، الذي يتبناه كثير من المتربصين بهذا الدين من فجر الإسلام وإلى يومنا هذا.

10- إصدار جريدة يومية تدعو الناس إلى الله وإلى التوبة والرجوع إلى الإسلام والرد على كل الزنادقة والملاحدة الذين يشوهون الإسلام بمقالاتهم ونشراتهم المشبوهة المأجورة.

❑ تكوين المعاهد العلمية المتخصصة:

كان رسول الله ﷺ يراعي في تبليغ دعوته -وهذا من تمام حكمته- نوعية المخاطبين بالدعوة، فكانت دعوته ﷺ تسبقها التوعية والتبشير بها، وبيان مكانتها ومحاسنها، وهذا هو المنهاج الذي تسلكه دور القرآن، فهي تذكر محاسن التوحيد ومساوئ الشرك، وما أعده الله للمتقين والمحسنين، وما

جاء من الوعيد في العصاة والمشركين والضالين، وهذه دعوة عامة لكل الأمة.

فالأمة لا يعذر أحد منها بجهل ما هو واجب في حقه من توحيد وعبادة ومعاملة وسلوك، فالمسلمون في هذا سواء ذكورهم وإناثهم وأحرارهم وعبيدهم؛ لأن العبودية حق الله وعهد بينه وبين عبده، وهي ربقة في عنقه مقلد بها أحبّ أم أبَى. وأما التخصص واتباع فروع العلم ودقائقه فهذه لفئة خاصة من الأمة حسب مواهبها ومتطلعاتها وتوجهات الأمة لها، فكان لهذا النوع نصيب من أصحاب رسول الله ﷺ، فمنهم متخصصون في السنة كأبي هريرة وأنس وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم، ومنهم متخصصون في التفسير كابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم، ومنهم المتخصصون في الفتيا كعلي ومعاذ وابن مسعود وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم، ومنهم المتخصصون في الفرائض كزيد بن ثابت وعلي وعمر رضي الله عنهم، ومنهم من اتسع علمه في الحلال والحرام كمعاذ رضي الله عنه، ومنهم المتخصصون في التواريخ ومعرفة القبائل فروعها وأصولها كأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومنهم المتخصصون في اللهجات بل وفي معرفة لغة غير العرب كزيد بن ثلبت رضي الله عنه.

فكان لدعوة دور القرآن فهم واسع لهذا الموضوع، فأسست المعاهد ورسمت لها برنامجا علميا متخصصا بتكوين الطالب في قراءته وفهمه وحفظه؛ تكوينا يؤهله لأن يكون في ركب العلماء والدعاة إلى الله، وأنشأت معهدا

نموذجيا في مدينة مراكش، وتنوي توسيع ذلك في بقية مدن المغرب -إن شاء الله- إن أتيحت لها الفرصة.

ويهدف المعهد إلى تكوين طلبة علم مقتدرين، دعاة في المستقبل تكون لهم الريادة والسيادة العلمية بما نهلوه من معين المعهد العلمي، حتى ينهضوا بأمتنا الإسلامية ويعودوا بها إلى سالف عزها ومجدها المتمثل في عودتها إلى الكتاب والسنة بفهم صالحي سلف الأمة. هذا عن أهداف المعهد إجمالا أما تفصيلا فتتجلى فيما يلي:

1- إيجاد مؤسسة علمية تحتوي على منهج متكامل في الشريعة واللغة والعلوم الحديثة.

2- تكوين الدعاة الصادقين الذين يحملون المنهاج السلفي بجدارة واستحقاق.

3- تكوين الخطباء الذين يحررون العبارة، ولا يحملون للأمة ما يضرها من أحاديث موضوعة ومكذوبة على رسول الله ﷺ.

4- تكوين الدعاة الذين يعرفون الحلال والحرام ولا يقولون على الله بغير علم.

5- تكوين المدرسين الذين يراقبون الله في تلامذتهم ولا يعلمونهم إلا ما علمهم الله.

6- تكوين العلماء المؤهلين للفتوى والتوجيه للأمة بالحجة والدليل لا بالرأي الكاسد والقياس الفاسد.

7- تكوين الداعية الذي يحتفظ بشخصيته وسمته الموروث عن السلف الصالح.

8- محاربة الميوعة بكل صورها من تساهل في الاختلاط واللباس الغربي الوافد من بلاد اليهود والنصارى.

9- محاربة البدع والضلالات التي ملأت أكثر بلاد الإسلام.

10- غرس القرآن والسنة وتقريبهما للأمة بأسلوب سهل وميسر.

11- إعداد الداعية المخلص الصادق الذي لا يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.

❑ تكوين الدعاة:

إن دور القرآن منذ تأسيسها قامت على أيدي مجموعة من الدعاة الذين ورثوا دعوتهم عن أسلافهم من المشرق والمغرب، فعلموا أن هذه الدعوة لا بد لها من وارث حالا ومستقبلا، فاهتموا بتكوين الدعاة في مختلف الأعمار من الذكور والإناث، فتخرج -ولله الحمد- الكثير منهم، وانتشروا في مختلف مناطق المغرب، بل وفي خارجه في كثير من بلاد العالم في الشرق والغرب، فكان لهم -ولله الحمد- الأثر الطيب في توجيه الأمة، وكانت دعوتهم دعوة مباركة اتسمت بالحكمة والعلم والحلم، لأن هذه الخصال هي أصول دعوة السلف الصالح، بل دعوة الرسول ﷺ، وصفات الدعاة الصادقين كلهم مستمدة منه، وهو الداعية الكبير إمام المتقين وسيد المرسلين ﷺ، الذي كثرت شمائله واكتملت صفاته في الدعوة إلى الله. فدعاة دور القرآن يحاولون تلمس

صفاته ﷺ، والاقتداء به قدر ما يستطيعون، فإن التمثل به ﷺ في كل شيء أمر لا يدعيه إلا من يعرف سيرته العطرة وشمائله المتكاملة، فإن ذلك بحر يغرف الصادقون منه بقدر طاقتهم وإمكاناتهم، ولكن لا يجوز أن يخرج الداعية عن سبيله، فإن سبيله هو الصراط المستقيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

❑ تعليم الوفود الأعاجم ممن دخلوا الإسلام:

دعوة الرسول ﷺ تنوعت أساليبها وتعددت، فقد أرسل ﷺ الدعلة إلى خارج مكة والمدينة كبعثه مصعب بن عمير إلى المدينة ومعاذ إلى اليمن وأبي موسى وأبي بكر وعثمان وعلي وغيرهم إلى جهات مختلفة، وبعده الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم.

وبالمقابل كانت تأتيه ﷺ الوفود من خارج المدينة للإقامة معه ﷺ، والاستفادة من علمه وسيرته المباركة، ولا سيما في أواخر حياته، ويأمرهم بالدعوة إلى الله والتعريف بالإسلام الصحيح، وكثر ذلك في السنة التاسعة حتى سميت سنة الوفود، فكان بفضل الله لدعوة دور القرآن نصيب من ذلك، ففي الآونة الأخيرة وفدت أعداد طيبة من أوروبا وأمريكا وغيرهما من دول

---

1 الأنعام الآية (153).

العالم تريد أن تتعلم الإسلام واللغة العربية، فأعدّت الجمعية لهم منهاجا علميا تربويا يناسب مستوياتهم، فنظمت لهم حلقات ودروسا يقوم بها جماعة من المدرسين الأكفاء، حتى يرجعوا إلى بلادهم وقد أخذوا زاداً من العلم والعقيدة السلفية يبلغونها إلى أممهم، وهذا هدي رسول الله ﷺ في الوفود التي كانت تأتيه ﷺ كما سبق. فنرجوا الله تعالى أن ينفعهم، وأن يوفق الجمعية للقيام بحقوقهم، فهم ضيوف السنة والقرآن والعلم النافع، «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[1].

❑ تعليم مبادئ القراءة والكتابة للقاصرين عنها:

كان لدعوة دور القرآن نظرة شاملة في التعامل مع كل الشرائح الاجتماعية المتعلمين وغير المتعلمين، فنظرت في روادها فوجدت فئة لا تعرف القراءة والكتابة، فارتأت أن تخصص أوقاتا لهذه الفئة لتعلمها القراءة والكتابة، حتى تلتحق بركب المتعلمين الذين يقرؤون ويكتبون ويحسبون، فرسمت لها منهاجا يليق بمستواها، فأقبل الناس على التعليم فنالوا بفضل الله حظهم، ووصلوا إلى غاية كانوا لا يحلمون بها، فأصبحوا من حفاظ القرآن، بل ومن المعلمين له، ومن حفاظ المتون العقدية والحديثية، وصاروا يجارون غيرهم من المتعلمين.

---

1 أخرجه: أحمد (267/2و433و463) والبخاري (6018/546/10) ومسلم (47/68/1) وأبو داود (5154/358/5) والترمذي (2500/569/4).

❑ المشاركة في وسائل الإعلام والمؤتمرات الدولية:

إن دعوة دور القرآن -ولله الحمد- كانت لها مشاركات في كثير من المؤتمرات العالمية في بلاد أوروبا وأمريكا وإفريقيا ودول الخليج، وقد كان لهذه اللقاءات أثر محمود في الاستفادة من خبرة الآخرين، وتجربتهم الدعوية التي عادت إيجابياتها على المنهاج الدعوي والعلمي لدعوة دور القرآن -ولله الحمد والمنة-، كما كان لدعوة دور القرآن بمشاركتها في بعض المجلات وإذاعة القرآن الكريم بالرياض وإذاعة أبي ظبي بالإمارات الصدى الطيب في التعريف بها، فكثير من العلماء فرحوا بهذه الدعوة المباركة التي أشرق نورها وتجدد عهدها من بلاد المغرب، الذي عاش دهراً طويلا تحت وطأة الاستعمار، الذي حاول دك معالم الإسلام ومسخها قدر ما استطاع إلى ذلك سبيلا؛ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[1] ولكن وعد الله بالتمكين لهذا الدين لا يتخلف، فقد نشأت -ولله الحمد- ناشئة تحمل راية الإسلام من جديد، وتفديه بنفسها ومالها، ولا ترى الصلاحية الكاملة في غيره، فإنه الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده كلهم شرقا وغربا، كما قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2] وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد

---

1 الصف الآية (2).

2 آل عمران الآية (85).

من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت بـــه؛ إلا كان من أصحاب النار»[1] فهاهي كل ديار العالم يصل إليها الإســـــلام عـــبر الإذاعات والقنوات والكتب وكل وسائل الإعلام، والدعاة الذين يتنقلون مـــن مكان لآخر، ويتقنون لغات ليخاطبوا كل أمة بلغتها، وشاعت -ولله الحمـــد- ترجمة كتب التوحيد والعقيدة؛ بل كثير من أمهات كتب الســـــنة والتفســـير ترجمت إلى لغات كثيرة، فقامت الحجة وزال العذر، وقامت النهضة الدعويـــة والقرآنية والحديثية في بلاد المغرب، وانتشرت بفضل الله ثم بفضل الدعـــاة إلى هذا المنهج المبارك من أبناء دور القرآن وغيرهم ممن وفقـــه الله لخدمـــة ديـــن الإسلام.

❑ جمع شمل الدعاة السلفيين ببلاد المغرب:

لقد كان لدعوة دور القرآن أثر حميد في توحيد الجهود بـــين الدعـــاة السلفيين وتقريب وجهات النظر، وفي هذا الإطار اعتمدت الجمعية اللقـاءات الدعوية، فعملت على تنظيمها واحتضانها مستدعية لها جميع الدعاة الفـــاعلين المنتشرين عبر التراب المغربي، فيجتمعون جميعهم في مكان واحد على أرضيـــة دار القرآن الكريم الأم بمراكش في لقاء ودي سلفي. وتتوخى من مثل هـــذه اللقاءات تحقيق ما يلي:

1- التعارف والألفة وإشاعة المحبة.

---

1 أخرجه مسلم (153/134/1).

2- توحيد المراجع والمصادر العلمية والدعوية في دور القرآن والمعـــاهد التابعة لها، حتى إذا كنت في دار أو مدينة أو قرية أو مجلس فكأنك في باقيها.

3- توحيد المواقف الدعوية من الأشخاص والجماعات المخالفة للدعوة السلفية.

4- التعرف على السلفيين في أي مكان من بلاد المغـــرب ومحاولـــة التنسيق معهم إن كان لهم عمل.

5- محاولة التغطية الدعوية بالدروس والمحاضرات واللقاءات، وتســخير الإمكانيات لنشر المنهج السلفي.

6- تنسيق الجهود في استقبال الشيوخ المحاضرين القادمين من الخـــارج حتى لا يستقبل المشبوهون، ومن ليسوا بسلفيين أو عليهم ملاحظات.

7- إصدار مجلة مشتركة للإخوة السلفيين بالمغرب، تكـــون النـــاطق الرسمي باسمهم.

8- نشر الشريط السلفي والاقتصار عليه دون غيره.

9- نشر الكتاب الإسلامي بتأسيس المكتبات ودور النشر.

10- إقامة مراكز البحث العلمي.

11- إقامة المعارض للكتاب والشريط السلفي.

12- إبداء الملاحظات والاقتراحات النافعة التي تسير بالدعوة قدما.

13- إقامة الدورات العلمية والدعوية من حين لآخر قصـــد تقويـــة الدعاة وتكوينهم التكوين العلمي والمنهجي.

❑ نشر الكتاب والشريط:

كان رسول الله ﷺ يكتب إلى الملوك ورؤساء الدول في وقته يدعوهم إلى الله ويشرح لهم دعوته وما بعثه الله به من كتاب وسنة، وروي عنه ذلك بالأسانيد الصحيحة، وتنوعت كتاباته في الأسلوب والخطاب بما أوتيه ﷺ من كمال الحكمة البشرية.

فللكتاب والشريط آثارهما العظيمة في توجيه الأمة، فكم من كافر أسلم بسبب قراءته للكتاب في القديم والحديث، وكم من المستشرقين الذين ندبوا أنفسهم لحرب الإسلام فسخروا لذلك دراسة التراث الإسلامي واللغة العربية والقرآن والحديث النبوي؛ فانجذب بعضهم وشرح الله صدره وأسلم بسبب دراسته الواسعة للإسلام، وكم من ملحد تاب من إلحاده، وكم من اشتراكي شيوعي تاب من شيوعيته، وكم من زنديق تاب من زندقته بسبب قراءته للكتاب؛ فمنافع الكتب لا نهاية لها، فهي من العلم النافع الموروث الداخل في قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1].

فعرض الكتاب النافع الذي ألف لهدف سامٍ هو من أعظم وأهم أساليب الدعوة إلى الله، لذا كان لدعوة دور القرآن الاهتمام بنشر الكتاب منذ تأسست دعوتها، وبعدما حصل لها بعض التمكن عقدت العزم على إقامة معارض مختلفة في مَقَرّاتها، وفي المدارس والكليات وفي المعارض الدولية،

---

1 أخرجه: أحمد (372/2) ومسلم (1631/1255/3) وأبو داود (2880/300/3) والترمذي (1376/660/3) والنسائي (3653/251/6).

وتوخت في هذه المعارض:

1- تحفيز الناس ودعوتهم إلى الإقبال على الكتاب والشريط، وكان من الأهداف السامية في إقامة هذه المعارض حشد ما أمكن من الكتب والأشرطة النافعة، وتقريبها للناس بثمن مناسب لا يثقل كاهل القراء والرواد وطلبة العلم النشيطين في هذا الباب.

2- تعميم النفع بين عموم المسلمين من الذكور والإناث، وتوسيع طريقة النشر.

3- دعوة الناس إلى العلم النافع، وهي دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ودعوة الدعاة الصادقين المحبين للخير العميم لعموم الناس.

4- مراعاة إحضار الجديد في كل معرض في كل شُعب العلم، من تفسير وحديث وعقيدة ولغة وفقه وغير ذلك.

فلوحظ أن هذا العمل نال إعجاب كثير من الدعاة والمثقفين، وكان بفضل الله نموذجا عمليا علميا لكل من أراد الاحتذاء به والعمل على نهجه.

❑ العناية بدعوة النساء:

لا شك أن النساء شقائق الرجال، وأن المرأة يهمها ما يهم الرجل، فهي أمة الله التي تسعى في تحقيق عبوديته كما يسعى الرجل في تحقيقها، وقد قرنها الله تعالى في القرآن الكريم في كثير من الآيات بالرجل؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ

وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ والمرأة إما أمٌّ أو بنت أو زوجة أو أخت، فإن صلح أمرها صلح أمر الرجل، فلا يوجد أحد أكثر ارتباطا من الأم بأبنائها، ولا يوجد في الحب والحنان والعطف مثل الأم على أبنائها، فإن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق، وكل المخططات الماسونية والصهيونية انصبت جاهدة على إفساد المرأة وتحريفها، حتى أصبحت عملة بها يباع ويشترى، وأصبحت كل البضائع التجارية عنوانها -مع الأسف-؛ جسم المرأة، وذلك لما في فسادها من إفساد الأمم والشعوب، وقد كان ذلك كذلك مع الأسف. فنرجوا الله أن يرفع هذا البلاء عن الأمة الإسلامية، وأن يرجعها إلى رشدها وسالف عزها، إنه سميع مجيب.

من أجل هذا كله سعت دار القرآن إلى التركيز على دعوة وتعليم النساء؛ فخصصت لهن من مجهوداتها ما يناسب الطلب، فهيأت لهن دورا مستقلة لحفظ القرآن وترتيله وتجويده، وحفظ متون العقيدة والفقه والحديث

وعلوم الآلة وغيرها، فكان من ثمرات ذلك -ولله الحمد- تخرج الأفواج من طالبات العلم اللائي انتشرن في أحياء مدينة مراكش وفي خارجها من مدن المغرب واللائي كان لهن الأثر البالغ في الدعوة إلى التوحيد الخالص، والتحذير من الشرك بكل صوره، والترغيب في السنة ولزوم التمسك بها، والترهيب من البدع وبيان شناعتها. وكانت لهن اليد الطولى في إصلاح أحوال كثير من النساء، وتوبتهن مما اعتقدنه من الذهاب إلى الكهان والسحرة، ومن الوقوع في المعاصي بأنواعها، والتي جرت على الأسر المصائب والويلات، والفرقة والخصومات، وتشريد الأبناء وتعريضهم للفساد والوقوع في الرذائل.

الشبه الردية التي قذفت بها الدعوة السلفية

أول من فتح باب الشبه هو إبليس اللعين، فأصبح أستاذا لكل من بعده؛ إذ أمره الله تعالى بالسجود لآدم فامتنع، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾ وقال: ﴿لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾﴾ فكان إبليس اللعين أول من فتح هذا الباب، فجاء من بعده فتبعه على أصله، فتنوعت الشبه وعارضوا بها النبوات والرسالات، وأوامر الله ونواهيه وأمر رسله ونواهيهم، وتوسعوا في هذا الباب كل بحسبه؛ فمرة يذهبون إلى ذات النبي فيعيبونها بعيوب وهمية، وتارة يذهبون إلى أصحابه، وتارة إلى كتابه، وتارة إلى دعوته، وهم يهيمون في كل واد. وباب الشبه هو الباب الواسع الذي دخل منه كل عدو لله ومفسد لدينه، وتتفق أصول الكفر والشرك -أحيانا- على شبهة واحدة تتردد على ألسنتهم جميعا، كما اتفقوا كلهم على دفع نبوة الأنبياء لكونهم بشرا، كما اتفقوا جميعا على شبهة أن الأنبياء جاؤوا بمخالفة آبائهم، وأن العادات التي هم عليها والتي ورثوها من الآباء والأجداد هي مقومات شرفهم، وأنه

بذهابها تذهب سطوتهم ويذهب ملكهم، ولهذا دافعوا باستماتة وبإجماع على عبادة الأصنام. وذكر الله إجماع أهل الكفر كلهم على هذا الأصل الخبيث، وقال آخرهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ۝٨﴾ و﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ۝٧٨﴾ وكذلك قوم إبراهيم لما سألهم إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا تَعْبُدُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ۝٧٤ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾[1]،

1 الشعراء الآيات (70-80).

وهكذا انتشر الشرك والكفر والزندقة، وقامت البدع في كل زمان على الشبه، بل كل من يرتكب المعاصي والموبقات إنما يرتكبها بالشبه، فلهذا كان السلف رضوان الله عليهم يمنعون الجدال مع المبتدعة؛ لما يرونهم عليه من الابتلاء بالشبه، فيخافون أن تنتقل إليهم العدوى، والشبه من أخطر الأمراض التي يبتلى بها المرء، فإن هو خاض في أمواجها لم يستطع الخروج منها مهما كان يتقن السباحة؛ لأن أصلها من إبليس.

فإذا كان الأنبياء وصحابتهم والسلف الصالح ما من أحد منهم إلا ووضعت حوله شبهة أو شبه فما بالك بوقتنا الحاضر، الذي كثر فيه الخلاف! وبعد الناس عن عهد النبوة، وقل علماء السنة ومات أكثرهم، وسيطر المستعمر الكافر على أكثر بلاد الإسلام، وأرغمها على اتباع منهجه وفكره تحت سطوة الحديد والنار، والتهديدات الاقتصادية والسياسية، وجعل جامعاته وأساتذته مصدرا للتلقي، وما تخرج من جامعاته من أبناء تلقوا فكره ومنهاجه أكبر مما تخرج من الجامعات الإسلامية، أضف إلى ذلك الجيوش الجرارة من المستشرقين والمفكرين الغربيين والشرقيين، الذين أبوا على أنفسهم إلا حرب الإسلام وأهله، فنقبوا على التراث الإسلامي وسرقوه وأخذوه إلى بلادهم، وحجروه تحت حراستهم وبتروا ما بتروا وأبقوا ما أبقوا، وما تركوا وسيلة من وسائل الحرب إلا وفعلوها، وما تركوا شيئا من الشبه على الدين والقرآن والصحابة وأهل العلم والفقه إلا وسجلوها، بل منهم متخصصون لهذا الأمر ككولد زهير وغيره، زيادة على جيوش التنصير التي غزت العالم أجمع بإذاعاتها وقنواتها وأشرطتها، ومراكزها ومستشفياتها وكنائسها وأعمالها الخيرية -زعموا-

وعياداتها المركزية، ولغاتها التي ترى فيها التقدم وتسميها لغة العصر. أضف إلى ذلك المرتزقة من المنتسبين إلى الإسلام، والذين يأكلون أموال الناس بالباطل باسم الولاية والزوايا، والمشيخة والإذن والبركة والمعتقدات الفاسدة، حتى في الشيطان وجنوده والسحرة والكهنة وأدعياء كل موبقة ورذيلة.

أما الملاحدة والزنادقة الشيوعيون ومن انسلخوا من دين الله وتبنوا الفكر الإلحادي بكل وسائله، وبأسماء مختلفة كالبعثية والاشتراكية والعلمانية؛ فلا تسأل عن مخططاتهم التخريبية وأعدادها وأنواعها.

وأما الرافضة فما تركوا عالما خيرا بداية من أبي بكر الصديق وإلى أصغر عالم من أهل السنة؛ إلا ووضعوا حوله الجبال من الشبه.

فجنود إبليس كثيرون -لا كثرهم الله- مجندون لحرب الإسلام وأهله، والسنة ودعاتها، كل واحد يريد أن يبرز لواء باطله ويلمعه ويجعله هو المثل الأعلى للأمة، والكثير من الناس يمشي مع كل ناعق لا يفرق بين حق وباطل. وأما أصحاب المصالح والأغراض والمتأكلون بدين الله كما سبق؛ فلا تسأل عن اجتماعهم على جيف الدنيا كاجتماع الذباب على الأقذار والنجاسات، والكلاب على الجيف، فهم يتساقطون على تلك الجيف تساقط الفراش في شدة الحر.

فإذا تصورت ما سبق وتتبعت الواقع أوله وآخره؛ لم تستغرب أن تقذف الدعوة السلفية بالشبه الردية، لأن المذبوح دائما يتخبط في دمه ويخبط بأرجله ويقلب رأسه على دمه، فهكذا أصحاب الأهواء يحاولون إرسال الشبه علها ترد الحق وتدفعه.

والشبه كثيرة لا تكاد تنقضي من أهل الأهواء والمغرضين، وإنما أذكر

نماذج فقط لعل القارئ يفهم واقعه، وأن هؤلاء يكذبون ويفترون، وأن الله تعالى موقفهم بين يديه وسائلهم عما افتروه، فينظرون فلا يجدون إلا ما افتروه على دعوة الحق التي أنار الله بها الطريق، وفتح الله بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا. وأقاموه وأزالوا الشرك، وأقاموا السنة وحاربوا البدعة، وأقاموا الفضيلة وأزالوا الرذيلة.

✓ ***الشبهة الأولى: تكفير المسلمين:***

هؤلاء الجهلة يهرفون بما لا يعرفون، ويقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لم يؤمروا به، فيتهمون السلفيين بتكفير المسلمين، وهم في هذه الفرية أوقع وأكثر الناس اجترارا لها، ولو فتشت كتبهم واختليت بهم وحضرت محاضراتهم لوجدت بعضهم يكفر بعضا، أما تكفيرهم للسلفيين فليس محل نزاع عند بعضهم. والباعث لهم على ذلك هو الحقد والبغض، فهم لا يريدون بالأمة خيرا، ويحبون أن تبقى على جهلها وسكرها تتخبط في نظريات الإلحاد، وتتمذهب بمذاهب المحاربين لله ولرسوله بكل أصناف الحرب، وتتقلب في أروقة الأضرحة، وتقبل الأعتاب والجدران وقطع الحديد والنحاس التي ركبها أحيانا اليهود والنصارى وتاركو الصلاة، وتتبرك بالتوابيت التي صنعها النجارون، ولعله من اليهود والنصارى، وتستر بغطاء لعل ثوبه نسج في إنجلترا أو أمريكا أو أي بلاد من البلدان الأخرى، وتنام على الزليج والرخام الذي خرج من صنعة من خارج بلاد الإسلام، ولعل المقبور كلب أو حمار أو رجل لا يصلي ولا يدين أو امرأة كانت كاهنة، وعلى فرض أن المقبرة كانت لنبي أو رسول فهذا الأمر حرام في شريعة

الرسول ﷺ ودعا النبي ﷺ فقال: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد»[1] وهكذا لو تتبعنا أفعال المشركين في القبور والمعابد والأضرحة لألفنا في ذلك المجلدات.

وأما الرافضة فيضيفون إلى هذه الشركيات القبيحة بغض أصحاب الرسول ﷺ ولعنهم بالليل والنهار، بل ويكفرون أكثرهم ويخرجونهم من ملة الإسلام، ويصفونهم بأوصاف لا يصفون بها أبا جهل وأبا لهب اللذين ذكر الله عداوتهما للنبي ﷺ وأهل الإسلام.

أما إباحة الفروج والأدبار فهذا يشترك فيه أكثر أهل الشرك والخرافات، وقد حاز الرافضة في هذا القدح المعلى، فجعلوا المتعة التي هي الزنا الصريح من أصول مذهبهم. وأما الصوفية فمن قرأ طبقات الشعراني وما كتب عن النقشبندية والإباحيين من صوفية أفريقيا وقف على حقيقة الأمر.

وأما التكفير فبعضهم لا يعرف معناه ولا ضوابطه ولا شروطه ولا موانعه، فالتكفير هو مفارقة الإسلام ورده بالقول أو بالفعل أو بالقلب. فمن فارق الإسلام بقوله أو فعله أو قلبه مختارا لذلك فقد خرج منه، والتكفير أمر اختياري، كما أن الإسلام أمر اختياري، يدخل فيه الإنسان بقوله وفعله وقلبه، فمن كره الإسلام بقلبه وسبه أو استهزأ به أو نال منه أو تنقصه أو جحده أو كذب به، أو قاتل أهله أو ساعد من يقاتلهم بنفسه أو ماله، أو حارب القرآن والسنة بفعله وماله وجاهه، وكل هذا هو فيه مختار غير مكره

---

1 أخرجه: أحمد (246/2) والحميدي (1025) وأبو يعلى (6681/34-33/12) وابن سعد في الطبقات (242-241/2) وأبو نعيم في الحلية (283/6) و(317/7) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الهيثمي في المجمع (302/4): "رواه أبو يعلى وفيه إسحاق بن إسرائيل وفيه كلام لوقفه في القرآن وبقية رجاله ثقات".

عالم بحقيقة فعله؛ فهو كافر لا محالة، ومن لم يكفره فهو الكافر، وهذا هو الذي قامت عليه دعوة الإسلام، فالنبي عليه الصلاة والسلام دعا كفار قريش وبين لهم دعوته وفهموها لفظا ومعنى، وحاربوه بقلوبهم وألسنتهم وجاهدهم وأموالهم وأعوانهم؛ فكانوا كفرة مشركين، وأنزل الله فيهم القرآن يصفهم بالكفر والشرك، فمن كان حاله حال هؤلاء، ومن كان وصفه وصف هؤلاء، ورد على الله وعلى رسوله دينه من قول أو فعل؛ مختارا عالما محاربا له بقلمه أو بلسانه أو بمعاونته أو بكل ما يملك؛ فلا شك في كفره، فهذا حقيقة التكفير.

أما عصاة المسلمين حاكمهم ومحكومهم فهم عند السلفيين ليسوا بكفار، بل مسلمين، يصلى خلفهم، ويصلى على موتاهم، ويحضر في مناسباتهم، ويعاملون بكل أنواع التعامل التي جاء بها الإسلام، فالزاني والسارق والقاتل والسكير الغير المبيح لذلك، والذي يعترف بأن هذه ذنوب ومعاصي؛ فهو ليس بكافر بإجماع أهل السنة.

✓ ***الشبهة الثانية: إنكار الجهاد:***

ومن الشبه التي قذفت بها الدعوة السلفية أن أهلها ينكرون الجهاد، وهذا محض بهتان. أما الجهاد فوردت نصوصه في كتاب الله وعلى لسان رسوله ﷺ، وأدرجه علماء الحديث قاطبة في كتبهم، وفقهاء المذهب وفقهاء الفقه المقارن، وهو معلوم من الدين بالضرورة عند أهل الإسلام، ومن أنكر معلوما من الدين بالضرورة فحكمه الكفر والردة. لكن الجهاد له شروط معتبرة:

الشرط الأول: أن يكون بقيادة إمام من أئمة الإسلام كما قال تعالى: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ وقد أكدت السنة هذا المعنى والواقع العملي لتاريخ الإسلام.

الشرط الثاني: أن تكون العدة متوفرة لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾.

الشرط الثالث: أن يكون العدد كافيا للمواجهة.

الشرط الرابع: ألا يكون الجهاد في المسلمين ولا بينهم، فالجهاد في الكفر وأهله.

الشرط الخامس: أن تبلغ الدعوة إلى القوم المراد جهادهم وأن تقوم

عليهم الحجة. هذا في جهاد الابتداء، وأما جهاد الدفع فمن نـــزل العــدو بساحته فعليه أن يدافع عن نفسه قدر ما يستطيع، ولا يحتاج في ذلك إلى أمر إمام ولا عدة ولا عدد.

هذا هو الجهاد الشرعي الذي أمر الله به وجاءت النصوص في فضيلته، أما ما يحصل على الساحة اليوم فيسميه السلفيون إفسادا، فما وقع في الآونة الأخيرة من أنواع التفجيرات الآثمة والاغتيالات الظالمة في بلاد الإسلام وغيرها؛ فـــهذا ليس من دين الله في شيء، وهو إفساد لا شك فيه، وفاعله مســـيء للإســـلام وأهله، وهو آثم لا شك في إثمه، ولو كان خيرا لاجتمع عليه علماء الإســـلام، وأفتوا به ودافعوا عنه وناصروه، كيف وهو معصية لرب العالمين، ومخالفة لـــولاة أمر المسلمين، وتمرد على القيادات العلمية المعتبرة، ويكفيك أن أصحاب هـــذه الطامات حدثاء أسنان سفهاء أحلام. وديار الإسلام ولله الحمد لا تخلـــو مـــن علماء مدافعين عن دين الله محبين لله ولرسوله ولدينه، فالحجة في اجتماعـــهم. وأما الشذاذ والذين لهم أغراض سيئة وأحقاد دفينة وانتقامات مخفية؛ فـــهؤلاء لا عبرة بهم، فالسلفيون يبرؤون إلى الله من كل هذه الأفعال الشنيعة، سواء كـــانت في بلاد الإسلام أو في غيرها من البلدان، فالدعوة إلى الله في هذا الوقـــت مـــن أعظم الجهاد وأنفعه، وقد أوقفها هؤلاء وعطلوا سيرها بهذه الأفعال المشينة الـــتي كانت سببا في هجوم الكفرة على أهل الإسلام في أقوالهم وأفعالهم، وتوقيـــف كثير من الدعاة، وإغلاق الكثير من الجمعيات الخيرية التي كان أهل الإســـلام يستفيدون منها؛ من يتامى ودعاة وحفاظ للقرآن، فكل هذه الآثام ترجع علـــى من كان سببا في هذه الفتن، فعقلاء المسلمين يتبرؤون مـــن هـــذه الأفعـــال،

ويكتبون ضدها ويقيمون المحاضرات في بيـــان فســادها وتفاهتــها، فينبغــي للمسلمين أن يفرقوا بين الجهاد والإفساد، فالجهاد كما قال الرســول ﷺ ذروة سنام الإسلام، وأما الإفساد فقال الله تعــالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ وفي الحديث: «نهى النبي ﷺ عن قيــل وقــال، وكــثرة السؤال، وإضاعة المال»[1]، فإضاعة المال أمر منهي عنه عموما، فلا يجوز تحطيــم البنايات، ولا يجوز تفجير السفن ولا القطارات ولا السيارات، هذا العمل ليــس من الإسلام في شيء، والله المستعان.

ونستعرض ههنا بعض الحوادث في العصر الحديث، التي كان لها الأثــر السيء والنتيجة المدمرة، والتي تنبئ عن جهل أصحابها البالغ، وعدم تحققــهم بالعلم واسترشادهم بكلام الربانيين من العلماء.

المثال الأول حادثة الحرم، التي ابتدأت في الأول من المحرم عــام ألــف وأربعمائة للهجرة، والتي قادها المدعو جهيمان بن محمد بن سيف العتيــبي، وتولى كبرها، وملخص ما حدث: أن جماعة من المتحمسين الضالين اعتقــدوا في أحدهم وهو المدعو محمد بن عبدالله القحطاني؛ أنه المهدي الذي بشر بــه النبي ﷺ، وذلك اعتمادا على المنامات والأحلام! فدخلوا المســجد الحــرام،

1 أخرجه: أحمد (250/4) والبخاري (5975/496/10) ومسلم (593/1341/3).

وسفكوا الدم الحرام، في الشهر الحرام، في البلد الحرام، وأبلغوا الناس عند وقت المغرب أن الأرض ستخسف بالجيش القادم إليهم، فلما لم تخسف، قالوا: أرجئ الأمر أربعة أيام أخرى، ودامت الفتنة والقتال ما يقرب من عشرين يوما، قتل فيها العشرات وعطلت في الحرم الجمع والجماعات، فانتهى الأمر بإقامة الحد على أكثر من ستين من البغاة.

وقام العلماء يومئذ بواجبهم في بيان حكم هذا العمل، وصدر بيان من هيئة كبار العلماء وصفهم بأنهم: (فئة ضالة آثمة؛ لاعتدائها على حرم الله، وسفكها فيه الدم الحرام، وقيامها بما يسبب فرقة المسلمين، وشق عصاهم). ووصف ما دعوا إليه بأنه: (بذور فتنة وضلال، وطريق إلى الفوضى والاضطراب، والتلاعب بمصالح العباد والبلاد، وأن دعواهم قد يغتر بظاهرها السذج، وفي باطنها الشر المستطير).

والغريب أن هذه الطائفة كانت تنسب للحديث وتعزى إليه!! وليسوا كذلك، فإن من أخص خصائص أهل الحديث تعظيم العلم وأهله، واتباع الدليل والوقوف معه، والبعد عن الخرافات والدجل. قال الشيخ ابن باز رحمه الله: (أما اعتماد المنامات في إثبات كون فلان هو المهدي؛ فهو مخالف للأدلة الشرعية، ولإجماع أهل العلم والإيمان، لأن المرائي مهما كثرت لا يجوز الاعتماد عليها في خلاف ما ثبت به الشرع المطهر؛ لأن الله سبحانه أجمل لنبينا محمد ﷺ ولأمته الدين، وأتم عليهم النعمة قبل وفاته عليه الصلاة والسلام، ثم إن المهدي قد أخبر النبي ﷺ أنه يحكم بالشرع المطهر، فكيف يجوز له ولأتباعه

انتهاك حرمة المسجد الحرام، وحرمة المسلمين وحمل السلاح عليهم بغير حق).[1]

وقال عنهم الشيخ عبدالمحسن آل عبيكان: (وهؤلاء الذين خرجوا -أي مع جهيمان في حادثة الحرم- كانوا يزعمون أنهم أهل حديث، ولكنهم ضالون وليسوا كذلك، فهم يقولون قول خير البرية، ويزعمون أنهم من أهل الحديث، وأنهم يتمسكون بالسنة، وليسوا كذلك، ولم يفهموا حديث رسول الله ﷺ، وأيضا هم حدثاء أسنان، وهذا معلوم، ومن أدرك تلك الوقعة علم أن أكثرهم من صغار السن، ومن سفهاء الأحلام، وأكثرهم من الجهلة، وليسوا من كبار السن، ولا ممن يتصدر المجالس، فهذا الحديث صدق على هؤلاء القوم، حسب ما اجتهدت في تطبيقه، وعلى كل حال؛ فهم خارجون عن الطاعة، وخارجون على الإمام، وأنهم فعلوا فعلا منكرا ولا شك).[2]

هذا ما وقع في الحرم صانه الله من عبث العابثين، وفكر الخارجين، وكيد الكائدين، حرسه إلى يوم الدين.

قلت: وكذلك ما حدث في الدار البيضاء من بلاد المغرب صانه الله من كل الفتن والقلاقل؛ فإن القيام بهذا الحدث الشاذ؛ أقدم المنافقين على اتخاذه مطية لبث سمومهم وتنفيذ أحقادهم في الدعوة الصافية والدعاة الصادقين الأبرياء. رد الله كيد الحاقدين في نحورهم، وجعل دائرة السوء عليهم. وأما الذين قاموا بهذه الأعمال اللئيمة والتفجيرات المشينة؛ فهم مجهولون غير معروفين، لم يعرفوا بدعوة ولا بنشر خير، ولا بمنهاج صحيح، فهم قنبلة

---

1 جريدة عكاظ 18 من المحرم 1400هـ نقلا عن كتاب 'العراق في أحاديث الفتن' (71/1).

2 العراق في أحاديث وآثار الفتن (71/1-72).

موقوتة مشؤومة انفجرت، فطال شررها أهل الدعوة على الرغم من براءتهم من تلك الأفعال الشنيعة، وتصريحاتهم المستمرة وشجبهم ما وقع في تلك الحادثة التي نرجوا الله تبارك وتعالى أن لا تعود. وكذلك ما وقع في كل البلاد فكله من هذا الباب؛ فأصحابه لا يريدون بأهل الإسلام خيرا؛ إذ جعلوهم عرضة لكل إذاية ومسبة وشبهة تلصق بهم ظلما وعدوانا، حتى أظهر كل حاقد حقده على الإسلام وأهله، وسلط لسانه ونشر مقالته واقترح على أولي الحل والعقد كل إبادة للإسلام وأهله، وأن الحل الوحيد هو استئصال شأفته، ولا يدري هؤلاء المجرمون أن الإسلام دين الله الذي أنزله من فوق سبع سماوات، وهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فمن حارب دينه وتآمر عليه فهو الذي يبحث عن حتفه بظلفه، والله المستعان.

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: (واعلم أيها الأخ المؤمن! أن كثيرا من الناس تطيش قلوبهم عند حدوث بعض الفتن، ولا بصيرة عندهم تجاهها، بحيث إنها توضح لهم السبيل الوسط الذي يجب عليهم أن يسلكوه إبانها، فيضلون عنه ضلالا بعيدا، فمنهم -مثلا- من ادعى أنه المهدي أو عيسى، كالقاديانيين الذين اتبعوا ميرزا غلام أحمد القادياني، الذي ادعى المهدوية أولا، ثم العيسوية، ثم النبوة، ومثل جماعة جهيمان السعودي، الذي قام بفتنة الحرم المكي على رأس سنة 1400 هجرية، وزعم أن معه المهدي المنتظر، وطلب من الحاضرين في الحرم أن يبايعوه، وكان قد اتبعه بعض البسطاء والمغفلين والأشرار من أتباعه، ثم قضى الله على فتنتهم بعد أن سفكوا كثيرا

من دماء المسلمين، وأراح الله تعالى العباد من شرهم).[1]

✓ ***الشبهة الثالثة: الوهابية:***

لما كنت صغيرا في الديار التي ولدت بها بجنوب المغرب التي كانت تسمى سجلماسة قديما، والتي تسمى الآن بـ(الراشدية) ونشأت في وسط بدع وأضرحة، فلا تجد موضع شبر إلا وبني فيه ضريح، وكل ضريح له خصوصياته من الاستغاثة والعطاء والزيارة والموسم، ويجري في هذه الأضرحة أكثر مما كان يجري في اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى؛ من ذبح واستغاثة وقسم! وهذا لم يحدثني به أحد بل رأيته بأم عيني، وفي يوم من الأيام سمعت بقدوم شيخ من أهل هذا البلد ومن مواليده، وهو الشيخ محمد تقي الدين الهلالي رحمه الله، فذهبت لزيارته مع شيخي الذي كان يعلمني القرآن، وأنا صغير السن مع حفظي للقرآن وبداية تعلمي لبعض المتون الفقهية واللغوية، فسألت الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله عما بلغني عنه أنه ينكر هذه البدع وهذه المنكرات، فقلت له: ما هذا الجديد الذي جئت به؟ قال: الجديد هو الذي أنت عليه! أما أنا فعلى أمر قديم، ولهيبة الشيخ العلمية ومكانته وكبر سنه؛ لم أجرؤ على مناقشته، وكان هذا اللقاء سبب خير لي، فارتحلت إليه واستمعت لدروسه رغم صغر سني، وقرأت عليه بعض المتون وأسمعته إياها، وكنت دائما أسمع هذه الكلمة تتردد على الألسنة؛ كلمة: (الوهابية) وكنت أسمع عنها شرا من الغوغاء والعامة وأصحاب التصوف

---

1 الصحيحة (278/5).

والعقائد المنحرفة، وأنها حرب على الإسلام والمسلمين. ورافقت الشيخ مدة سنة كاملة وسكنت في بيته مدة، وتلقيت عليه بعض العلم، وبعدما أخذت الشهادة الإعدادية، وكانت آنذاك تسمى الشهادة الثانوية، وسمعت أنه انتقل إلى مدينة الرسول ﷺ للتدريس في الجامعة الإسلامية، ثم زرته في بيته بمكناس بعد رجوعه من المدينة في وقت الإجازة، وكنت علمت أن الجامعة الإسلامية كانت تقبل الطلاب المغاربة، فطلبت منه التوسط للالتحاق بالجامعة هناك، ففعل رحمه الله، وأرسل شهادتي ووثائقي إلى الجامعة مع طلبه وتزكيته لي، فقبلت -ولله الحمد- وكان ذلك في أواخر الستينات، فارتحلت إلى الجامعة الإسلامية وقبلت طالبا في الثانوي، وأكملت الدراسة الثانوية وانتقلت إلى كلية الشريعة بالجامعة نفسها، ودرست أربع سنوات على مختلف الشيوخ والمدرسين، وكانوا من السعوديين والمصريين والشاميين والعراقيين والباكستانيين والهنود والموريتانيين، وقبلت طالبا في الدراسات العليا، ودرست المرحلتين الماجستير والدكتوراه، وناقشت رسالة الماجستير والدكتوراه وما زلت أنتظر دراسة مادة الوهابية، فسألت كل المشايخ: أين مادة الوهابية؟ فقالوا كلهم بلسان واحد: يا بني لم نعرف هذه الكلمة، وليس لنا علم بها، وليس لها مادة في السعودية كلها بمعاهدها وكلياتها، وتعجّبت كل التعجّب لفقدان هذه المادة وجهل الناس بهذه الكلمة، واسترجعت تاريخ قدومي إلى الجامعة، وكل المواد التي درستها في الثانوي والجامعة والدراسات العليا، فوجدتها كلها مواد شرعية؛ فيها فقه مقارن وأصول الحديث من الكتب الستة بأسانيدها، والتفسير للقرطبي وفتح القدير للشوكاني والجلالين

للسيوطي والمحلي، وبداية المجتهد لابن رشد وبلوغ المرام للحافظ ابن حجر وروضة الناظر لابن قدامة في أصول الفقه، وألفية ابن مالك وقطر الندى لابن هشام، وغيرها من المتون التي توجد في الجامعات الإسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة، وكل المدارس الشرعية والمعاهد في الباكستان والهند وغيرها، فعلمت أن هذه فرية لا شك في افترائها واختلاقها، فرجعت إلى كتب التاريخ والتراجم أتصفحها لعلّي أظفر بتعريف لهذه الكلمة، فوجدت أنها أطلقت في قرون قديمة على فرقة خارجية في الجزائر، وأما في المملكة العربية السعودية فعند ظهور دعوة التوحيد التي جعل الله نشرها على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان العالم آنذاك يغرق في أوحال الشركيات والشعوذة والخرافات، والبدع وطرق الصوفية وطوائفها والسابّين للصحابة المبغضين لهم من الروافض في كثير من العالم الإسلامي، وكل هؤلاء جنّدوا علماء السوء المرتزقة الذين يبيعون دينهم بدنياهم ويشترون بآيات الله ثمنا قليلا، وفي مقدمة هؤلاء كثير من علماء الدولة العثمانية؛ لأنها في ذلك الوقت تبنت الأضرحة والصوفية وعلماء السوء الذين سخّرهم لضرب السنة والتوحيد، فأطلقوا هذه الكلمة وكذبوا هذه الكذبة وافتروا هذه الفرية، وراجت على كثير من العوامّ في العالم الإسلامي، وأصبح معناها عندهم -أي المفترون لها- أن كل من التزم بالتوحيد وتجريده، والتحرر من عبادة القبور والموتى والأضرحة والطواف بها وتقبيلها وتعفير الخدود عندها والصلاة عندها والذبح لها، وشد الرحال إليها وصرف الأموال الطائلة فيها وتشييدها وتنويرها بأغلى المصابيح، وإقامة صناديق النذور حولها وعقد المواسم لها،

والاستغاثة بمقبورها وطلب الشفاء منها وحمل المرضى والمعوقين، وإقامة السدنة والكذبة حولها والتصوف بكل مَكره وكذبه وغلوّه وشعوذته واحتياله بما يسمى بالكرامات؛ وهي لعمر الله شيطانيات ما أنزل الله بها من سلطان، فمن لم يكن منهاجه هكذا وارتمى في أحضان هذه الشركيات وهذه الخرافات؛ فهو وهّابي!! في نظر هؤلاء المرتزقة عبدة الدينار والدرهم، وعبدة الجاه والمنصب، قاتلهم الله أنى يوفكون. فكل من حارب هذه المظاهر كلها وكان دأبه تعظيم السنة والدعوة إلى إقامتها في كل كلية وجزئية ونشرها والدعوة إليها، والتحذير من البدع كلها صغيرها وكبيرها؛ فهو وهّابي!! ويكفي صدقا لما قلتُ أن هذه الدعوة المباركة تبنّى التحذير منها رئيس الصّليبيين في وقته وأتباعه من الصهاينة والعملاء، فتبنّى هذه الفكرة وروّج لها في كل مكان؛ خوفا على صليبه وعلى دينه المبدل الذي يدعو إلى نشره في كل مكان مع أعوانه من الماسونيين الصهاينة، فيرى الخبيث الأقلف أن دعوة الحق خطر على دولته، وعلى منهاجه الكافر الذي يروج له في كل مكان، ومع الأسف نفث هؤلاء الخبثاء هذه الفرية وهذه الأكذوبة المختلقة في كثير من أهل الإسلام فصادف هوى في نفوسهم، فجنّدوا أقلامهم وجرائدهم وفتحوا إذاعاتهم وقنواتهم لكل مرتزق يحذّرون من دعوة التوحيد والسنة باسم الوهّابية.

وكما يقولون: من عرف السبب زال عنه العجب، فزال عجبي مما كنت أسمعه في صغر سني من كلمة الوهّابية، وقبل اطّلاعي على حقيقة الأمر تبيّن لي بما لا يدع مجالا للشك أن كثيرا من المأجورين مرتزقة، يخفون دعوة التوحيد

ويصدّون عنها بهذه الشبهة الحقيرة، ولكن والحمد لله أسفر الصبح لذي عينين، وطبعت كتب الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب وارث دعوة النبوة وانتشرت في كل مكان على شكل موسوعات علمية تصل إلى مكتبة كل طالب علم في العالم أجمع، وأصبحت كتبه تشرح على مستوى القنوات، وملئت الشبكات العنكبوتية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي حازت السبق الآن، وأقبل عليها الشباب في كل مكان، وعلموا خيانة المرتزقة وعلماء السوء في العالم الإسلامي، وهاهي القبورية تودّع أصحابها وتلفظ أنفاسها، وتتبين مخاطرها لكل الشباب والشابات، وأصبحت الأضرحة معالم سوء لا يحنّ إليها إلا من يحنّ إلى اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، وكل من يحن إليها في هذا العصر فهو إما جاهل وإما مغرض وإما مرتزق متأكل من قبل جهات مشبوهة، مسخر من رئيس الصليبيين، فقد كشفت التقريرات عن المخططات التي يرسمها رئيس الصهاينة والصليبية للعالم أجمع في تدميره بكل أنواع التدمير؛ بالموبقات الشركية والبدعية والدعارة، وكل ما حرمه الله ورسوله. ولا أريد أن أطيل في هذا الموضوع؛ فقد قتل بحثا وكتب فيه القدامى والمعاصرون، وأصبح كما قال القائل:

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وأصبحت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من باب: السماء فوقنا والأرض تحتنا، فرسالة الأصول الثلاثة يحفظه الأطفال الصغار، وأصبح كتاب التوحيد في جيب كل شاب موحّد، فلا تجد شابا من أهل الإسلام في الهند والباكستان وفي المغرب والجزائر، وفي جميع المغرب العربي فضلا عن الخليج

والسعودية؛ إلا وله علم كامل بهذا الكتاب، بل الكثير منهم يحفظه عن ظهر قلب، وكل معهد شرعي في العالم الإسلامي إذا لم تتسلط عليه أيادي القمع والإرهاب؛ فقد جعل من أهم مقرّراته كتاب التوحيد. وباقي العالم الإسلامي أصبحت عندهم عقائد الماتريدي وعلم الكلام الذي تبرّأ منه الأشعري وأصحابه الصادقون الذي يعتبر زبالة أذهان فكر منحطّ، من درسه أو درّسه يهرف بما لا يعرف، كما قال أحد كبار الأشاعرة: لقد استسمنت ذا ورم، ونفخت في غير ضرم، فالحمد لله الذي نجّانا من هذه العقائد الباطلة التي حذّر منها سلفنا الصالح.

وأنصح كل مسلم وطالب علم متعطش للحق وباحث عن الحقيقة؛ أن يتحرر من تلك القيود والأوهام، وأن يقف على الحق بنفسه، فيقرأ كتب الشيخ بكل صدق وتجرد وإنصاف وعدل، وأن يعرضها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كـ'كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد' وكتاب 'الأصول الثلاثة' و'كشف الشبهات' و'مختصر سيرة الرسول' وبقية كتبه وموسوعاته العلمية؛ فلن يجد إلا ما يسره من آية محكمة أو سنة قائمة أو أثر متبع للصحابة والسلف الصالح.

كيف لا وهو على مذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة، وقد اختصر كتاب الشرح الكبير في فقه الإمام أحمد. وإن أحب هذا الباحث المنصف أن يعرضه على عالم من أهل الصلاح والصدق والاستقامة والتجرد والإنصاف، شريطة أن يترع الغلاف أو يخفي اسم المؤلف حتى يفرغ من قراءته عليه وسماع رأيه في الكتاب، حتى لا يتأثر هذا العالم الذي عرض عليه الكتاب بتلك الشائعات القديمة، والدعايات المغرضة

اللئيمة، ومن ثم يخبره بالاسم ويطلعه على الخبر، وقد فعل هذه الطريقة بعض الفضلاء الأذكياء، فتحقق المراد وبانت الحقيقة، والحق ما شهدت به الأعداء، وأسأل الله لنا ولجميع المسلمين التوفيق والسداد، وسلوك طريق الرشاد.

✓ ***الشبهة الرابعة: الطعن على أئمة المذاهب:***

كثير من المغرضين الحاقدين على السنة يرمون السلفيين بأنهم يكرهون الأئمة الأربعة، وهذه فرية عظمى! فالسلفيون أول المعظمين للأئمة الأربعة، ويعتبرونهم من خيرة أئمة السلف الصالح، ويعظمون كتبهم وفتاواهم، ويعتبرون موطأ مالك من أهم المصادر العلمية، بل إذا ذكروا أصح الكتب في حديث رسول الله ﷺ وأوْلاها بالعناية؛ ذكروا موطأ مالك. ولما طبع كتاب التمهيد شرح الموطأ للحافظ الإمام أبي عمر بن عبدالبر؛ فأول من استقبله بكل فرح واعتزاز هم السلفيون، وقد كانوا يسألون عنه جزءا جزءا، لأنه كان يطبع على أجزاء متفرقة، ولما انتهى آخر جزء منه فالذي اعتنى بشرحه وتخريج أحاديثه هم السلفيون، وهكذا تعاملهم مع مسند الإمام أحمد، والرسالة للشافعي، وتخريج الزيلعي، والمجموع للنووي، والتلخيص الحبير للحافظ ابن حجر، وغيرها من الكتب التي اعتنت بالدليل. ويذكرون مناقبهم في مجالسهم، ويذكرون تراجمهم في تحقيقاتهم ورسائلهم، ويفتون بآرائهم ويختارونها. وكتاب بداية المجتهد الذي هو عبارة عن فقه الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأبي حنيفة؛ هو من محفوظات أكثر السلفيين، ومن الكتب التي يعتزون بها، وهو عندهم من أكبر المصادر العلمية، وذلك لما حواه من آراء لهؤلاء وتوجيهات ابن رشد لها ومقارنتها بالدليل. فأين هذا الزعم في واقع

العمل، فأعمال السلفيين في تصورهم ودروسهم وكتاباتهم ومناهجهم خلاف هذا الزعم الكاذب، فكتب شيخ الإسلام رحمه الله -الذي يعتبر من كبار أئمة السلفيين المتأخرين- كلها مليئة بأقوالهم وآرائهم، حتى إنه يذكر أحيانا معظم آرائهم في المسألة، وهكذا الإمام ابن القيم في كثير من كتبه، والشيخ ناصر الدين الألباني في كتبه، وكل السلفيين دون استثناء، القدامى والمعاصرون، ومعظم الذين يتصدرون للفتوى من السلفيين يعظمون آراء الأئمة ويفتون بها ويذكرونها للناس، ولكنّ السلفيين يمقتون التعصّب المذهبي ويرونه بدعة مناقضة لتوحيد المتابعة التي أمر الله بها ورسوله ﷺ، فإن متابعة الرسول ﷺ فرض على كل مسلم ومسلمة بغير اختيار. وأما غيره ﷺ فيؤخذ من قوله ويرد كما نصّ على ذلك علماء الإسلام من الأئمة وغيرهم، فالتعصب المذهبي هو منهاج يدل على جهل وقصور، وعلى غباء وتحجّر، والله تبارك وتعالى خلق عباده على الفطرة، وأرسل في هذه الأمة رسولا واحدا، وأنزل إليهم كتابا واحدا، فالمتبوع محمد ﷺ، والمصدر والمرجع القرآن الكريم، والأئمة الأربعة وغيرهم من جملة العلماء يؤخذ ما عندهم من صواب ويرد ما عندهم من خطأ، وقد أحصى ابن القيم في كتابه 'أعلام الموقعين' ما وردت به السنة، وردّهُ الأئمةُ نتيجة التعصب المذهبي، فبلغت بضعا وتسعين نصّا، وألّف محمد بن نصر المروزي كتابا في ذلك، وصنّف غيره فيما خالف الأئمة فيه النصوص. والعجب ممن يتمسك بهذه الأفكار البائدة! ويدعو إلى التقليد المقيت في عصر انتشرت فيه الأشرطة المسموعة والمرئية، وظهرت فيه الأقراص التي تضم آلاف الكتب مع صغر حجمها،

وفتحت فيه القنوات وأصبحت الشبكات العنكبوتية تصل بالمعلومات إلى كل مكان. فالمذهبية بكل صفحاتها انتهى وقتها، وأصبح المنادي بها ضحكة عند العقلاء وعند كل طالب علم مجدّ، ويا ليت هؤلاء المنادين بهذه الفكرة -المتهمين للسلفية بهذه التهمة- يدفعون مذاهب الإلحاد التي هي خطر مهدّد بحق لكل الإنسانية، فإنها شبح شرّ يفتك بالأعراض والأموال والأنفس والمروءات، ولا يترك من بقايا الخير والشيم الحسنة والخصال الحميدة خصلة واحدة، فإنها براثن نار تأتي على الأخضر واليابس، ومع ذلك يترك هؤلاء الزنادقة الكفرة يزمّرون ويطبّلون، ويلتفتون إلى علماء السنة ويصفونهم بكل وصمة عار ويتهمونهم بكل التهم، والسلوة في ذلك قول رسول ﷺ: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ»[1].

1 رواه مسلم (146/131/1).

✓ ***الشبهة الخامسة: التجني على الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة:***

بعض الجهال الذين لا علم عندهم يتهمون السلفيين ببغض الأشاعرة والمعتزلة والماتريدية، والحقيقة خلاف ذلك. فالسلفيون يبغضون علم الكلام الذي حذر منه السلف الصالح. وقال فيه الإمام الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال. وقال فيه أيضا الإمام مالك -كما في جامع بيان العلم وفضله-: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب. وجاء في جامع بيان العلم وفضله أيضا بالسند إلى أحد كبار أئمة المالكية، وهو محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويزمنداد البصري، قال في كتاب الإجارات من كتابه في الخلاف: قال مالك: لا تجوز الإجارة في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع والتنجيم. وذكر كتبا ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك، قال: وكذلك كتب القضاء والنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك. أما الإمام أحمد فتداوله ثلاثة من خلفاء بني العباس بسبب موقفه العظيم من علم الكلام وقد جمعت في كتابي: 'موسوعة مواقف السلف الصالح في العقيدة والمنهج والتربية' وأنقل قولة واحدة فقط، جاء في طبقات الحنابلة قال أحمد بن سعد الجوهري: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أحد أضر على أهل الإسلام من

الجهمية، ما يريدون إلا إبطال القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ. وأما أبو حنيفة فقال الهروي في ذم الكلام بالسند إلى نوح الجامع قال: قلت لأبي حنيفة: ما تقول في ما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: دع مقالة الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

قال المعلق -وفقه الله وحفظه من كل مكروه وجعل الجنة مثواه-: هذا النص من أعظم النصوص وضوحا في تحريم الكلام والفلسفة عن إمام عظيم، مذهبه أكثر المذاهب انتشارا في العالم الإسلامي، ومع ذلك تجد أكثر أتباعه -إن لم يكونوا كلهم- ماتريدية في عقائدهم، وصوفية في سلوكهم، ومقلدة في عباداتهم؛ لا للرسول اتبعوا، ولا لسلفهم سمعوا، ولكنّ الإلف والتقليد يبعد الإنسان عن الحق، والله المستعان.

فمن تتبع مواقف الأئمة الأربعة ومئات السلف من عصر الصحابة إلى يومنا هذا يجدهم مجمعين على ذم الكلام وأهله، فماذا يريد هؤلاء الأغبياء؟ أيريدون أن يتبع السلفيون شرذمة قليلة انحرفت عن المنهج السلفي، وردت القرآن وصحيح السنن، وزعمت أنها اعتمدت قواطع عقلية، وهي في الحقيقة قضايا وهمية لا حقيقة لها، والدليل على ذلك أن أكثر أصحابها تراجعوا وتبرّؤوا منها، وفي مقدمتهم إمام المتكلمين والفلاسفة الفخر الرازي والجويني والغزالي وغيرهم؛ كما ذكره شيخ الإسلام في كتابه الكبير 'درء تعارض العقل والنقل' وغيره من الكتب التي هي جواهر ودرر من فاتته فاته الخير الكثير. وللشيخ عبدالرحمن الوكيل كتيب صغير في حجمه كبير في معناه،

ذكر فيه تراجع كثير من علماء الأشاعرة عن علم الكلام. وأما إمامهم أبو الحسن فقد ذكر ابن كثير في طبقات الشافعية أن أبا الحسن مرّ من ثلاث مراحل: الجهمية الخالصة، وشيخه فيها زوج أمه الجبائي، وصعد على منبر البصرة وخلع ثوبه وقال: أخلع الاعتزال كما أخلع ثوبي هذا، وانتقل إلى المرحلة الثانية وهي متابعة ابن كلاّب على مذهبه المختلط بين علم الكلام والسنة. وأما المرحلة الثالثة فرجوعه إلى مذهب السلف، وتأليفه كتاب الإبانة، وذكره لمذهب أهل الحديث في كتابه 'مقالات الإسلاميين' وترجيحه له وتبنيه له بقلمه وكتابته، فهل نصدّق كلام الأشعري ومن ترجم له كالحافظ ابن كثير وغيره أم نصدّق البوطي وأشكاله من دعاة الباطل؟

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فالسلفيون في كل زمان ومكان متابعون لأئمتهم، وهم -ولله الحمد- عددهم كثير جمعت في كتابي: 'موسوعة مواقف السلف الصالح في العقيدة والمنهج والتربية' ألفا ومائة وبضعة وستين إماما، ما منهم إلا محدث وفقيه وإمام في كل العلوم، وفي مقدمتهم الأئمة الأربعة، فهل يتابع السلفيون هؤلاء الأئمة ويقولون كما يقول السهيلي رحمه الله كما في درء تعارض العقل والنقل: أعوذ بالله من قياس فلسفي، وخيال صوفي؟ أم يتابعون المنشقين عن جماعة المسلمين من المنحرفين في عقائدهم المستمدة من كتب الفلسفة اليونانية، التي احتفظ بها النصارى حتى ابتلي بها المسلمون في زمن بني العباس للأسف، فالسلفيون رحم الله منهم الأموات ووفق منهم الأحياء عقيدتهم مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وأما الكلام وأهله فهم معرضون

عنه سواء كانوا معتزلة أو ماتريدية أو رافضة أو غيرهم، فإن كانت المتابعة فلكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وللسلف الصالح، فهذه هي مصادر التلقي عند السلفيين العقلاء، وأما من أخذ دينه عمن هب ودب فمصيره إلى الله، ولينظر الحجج التي يدلي بها إلى الله فهل ينفعه قول النظّام وأبي هاشم والباقلاّني والتفتزاني وصاحب الجوهرة والرازي وغيرهم؟ فلعلّه كما قال الله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾[1] وغيرها من الآيات التي تذم التقليد وأهله، وأن العقيدة والعبادة ينبغي أن تستند أحكامها إلى كتاب الله وصحيح السنة فهما الحجة بين المسلم وبين الله، إذا وقف غدا بين يديه. فنسأل الله أن يوفق إخواننا السلفيين في كل مكان إلى العض بالنواجذ على هذا المنهاج المبارك المستند إلى الكتاب والسنة، وأما مناهج الكلام والفلسفة فنحذر منها ونذمها تبعا لسلفنا الصالح رضي الله عنهم.

---

1 البقرة الآيتان (166و167).

✓ ***الشبهة السادسة: العناية بالعقيدة:***

يرمي الكثيرون السلفيين بمنقبة عظيمة يرونها هم مذمة وتخلفا ومضيعة للوقت، وهي لعمر الله من أعظم المناقب التي تحلى بها السلفيون، وهي العناية بدراسة المعتقد وتفصيله، والعكوف عليه والذب عنه والمنافحة عنه، وبذل كل ما في الوسع في نشره، ومن قرأ كتاب الله ما بين دفتيه وما ضمه من سور وآيات؛ علم أن القرآن هو بحق الكتاب الأول في العقيدة، وأن تفاصيل المعتقد بكل صوره وشعبه لا يوجد تفصيلها في كتاب غير كتاب الله، بأسلوب واضح بيّن يفهمه أوسط الناس علما ومعرفة باللغة العربية، وبأسلوب الشريعة، وقراءة العقيدة في كتاب الله تغني عن الشرح والتوضيح، ولا سيما من تأصلت لغته وقوي لسانه وكان من البارزين في هذا الباب، ويكفي أن سور القرآن أكثرها مكية والسور المدنية أقل عددا، والسور المكية ما فيها إلا العقائد؛ إما تقريرا وإما ردًّا على المخالفين من المشركين واليهود والنصارى، والسور المدنية وفي مقدمتها سورة البقرة تضم كل أصول المعتقد، وأما آل عمران فصدرها مناظرة عقدية مع النصارى، وهكذا النساء والمائدة والأنفال والتوبة والنور والأحزاب وباقي السور المدنية. وأما أحاديث المعتقد فقد جمعها المحدثون وبلغت أسفارا، وكل الغزوات والفتوحات الإسلامية كان هدفها الأساسي هو تصحيح المعتقد، فما قاتل الرسول ﷺ

ولا الصحابة على مال ولا غنيمة، وإنما قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليـــا، وأما السلف الصالح فمواقفهم العقدية تبلغ الآلاف، وقد ذكرت نماذج منـها في كتابي 'موسوعة مواقف السلف الصالح في العقيدة والمنهج والتربية'.

وفساد الأمم في كل عباداتها ومعاملاتها وحكامها ومحكوميـها كلـه راجع إلى الفساد العقدي لا أقل ولا أكثر، وصلاح المعتقد صلاح الأمـم، وفساد المعتقد فساد الأمم، وما سلط الله الأمم الكافرة على الأمم المسلمة إلا بعد فساد معتقدهم، ومن تتبع تاريخ الإسلام علم صدق ما أقول، وما نبعت ونبغت هذه الفرق الضالة إلا من سوء المعتقد، وكادت أن تملأ الأرض كلـها بضلالها. فكيف ظهر الرفض وهو يحمل كل السيئات والموبقـات العقديـة والخلقية؛ من قتل وسفك دماء أهل السنة في كل مكـان، وكيـف ظـهر التصوف الذي هو امتداد للرفض في كل أصوله وفروعه، فكل الغلو الموجود في التصوف هو عينه الموجود في الرفض، وكل الشركيات التي عليها الرافضة هي التي عليها المتصوفة، فأولئك سموا مساجد ضرارهم بالحسينيات، وهـؤلاء سموا مساجد ضرارهم بالزوايا، والرافضة عصموا الأئمـة وأعطوهـم مـن الصلاحية ومن الصفات ما هو خاص برب العالمين، وكذلك الصوفية غلـوا في مشايخهم ووصفوهم بأوصاف خاصة برب العالمين وهم متفقون في كـل جزئية وكلية، وينفرد الرافضة عنهم بسبّ الصحابة ولعنـهم وتكفـيرهم!! وهكذا لو تتبعنا بقية الفرق والطوائف وذكرنا فضائحهم وطاماتهم لطال بنـا المقام. وقد ذكرت أصولهم وفرقهم في كتابي المسمى: 'أهل الأهواء والبـدع والفتن والاختلاف' والحمد لله رب العالمين، فكيف يلام السـلفيون علـى

اهتمامهم بالمعتقد وأنه مضيعة للوقت، وحاجة الأمة إلى بيان المعتقد أكثر من حاجتها إلى الطعام والشراب والنفس، أضف إلى ذلك ظـــهور الملحديـــن والشيوعيين والزنادقة المنحلّين ونفثهم سمومهم، فمن يفضح هؤلاء ويحـــاربهم ويرد عليهم ويبين ما هم عليه من كفر وزندقة إذا لم يقم السلفيون بذلـــك، فالعقيدة هي السلاح الذي يجب أن يتسلح به السلفيون في كل مكان، وهـذا من تفضل الله ونعمته عليهم أن جعلهم يرفعون راية النبوات، ويقفـــون في وجه كل منحرف مبطل في معتقده، والله المستعان. فهذه شبهة باردة يعـرف بطلانها من له مسكة عقل وفطرة، وقليل من سير الرسل عليهم السلام.

✓ **الشبهة السابعة: العمالة للحكام:**

كثير من المخالفين يتهمون السلفيين بالعمالة للحكام، وهؤلاء ما درسوا النصوص الشرعية من الكتاب ديانة ومنهاجا، والسنة التي تبين للمسلم موقفه من الحاكم المسلم.

فالسلفيون يتعاملون مع الحاكم المسلم وفق نصوص الكتاب والسنة، فيرون طاعته وعدم الخروج عليه؛ لما في الخروج عليه من مفاسد كثيرة تترتب على ذلك من إخلال بالأمن العام، وإراقة للدماء البريئة، وإضاعة للأموال وإحداث للفتن، ويرون أن أمر الحاكم يقضي فيه أولو الحل والعقد من العلماء الكبار، وعقلاء البلد الذين شاع صيتهم بأنهم يحبون الخير للأمة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإن السلفيين تتبعوا تاريخ الإسلام القديم والمعاصر، ووجدوا أن الذين خرجوا على الحكام في جميع حلقات التاريخ؛ ابتداء من قتل عمر رضي الله عنه، ومروراً بمقتل ذي النورين عثمان رضي الله عنه، وما حدث من فتن في زمن بني أمية وبني العباس وبعدهم؛ كل ذلك كان شَرُّه أعظم من خيره.

فالسلفيون دائما يدعون إلى جمع الشمل وعدم الفرقة، لأن الدعوة إلى الفرقة وشق العصا هو منهاج الخوارج الذين خرجوا على الأمة بالسيف،

وقتلوا خيرة أصحابها وعلمائها.

فالخروج على الحاكم لا يجوز إلا إذا ظهر منه الكفر البواح، ومحاربة الإسلام والدعوة إلى ذلك، فهذا لا كرامة له ولا حرمة له، ومع ذلك يراعى في الخروج على مثل هذا المصالح والمفاسد، فإن كان الخروج ينتج عنه مفاسد كثيرة، فالواجب هو الصبر عليه حتى يفتح الله تبارك وتعالى ويهيئ الأسباب التي تُمكّن للمسلمين في خلعه وإزالته.

فلهذا السلفيون يتعاملون مع الحكام حسب النصوص الشرعية التي تأمرهم بالطاعة والانقياد لكتاب الله وسنة رسوله، أما الحماسات والتهييج والرجوع إلى مناهج الشيوعيين والاشتراكيين في أسلوبهم في التعامل مع الحكام الذي تقمصه بعض المتزعمين لدعوة الإسلام؛ فإن هذا المنهاج يتبرأ منه السلفيون ولا يجيزون الاشتغال به، ويرون أن أفضل الأعمال التي ينبغي أن يشتغل بها الداعية هي الدعوة إلى الله، وتعليم المسلمين ما يحتاجون إليه من كتاب وسنة، وتصحيح المعتقد والتحذير من الشرك والبدع والموبقات والمعاصي، وتوعية الأمة توعية كاملة بما يتربص بها عدوها من الداخل والخارج، وتربيتها على الانضباط بالشرع، وهكذا يشتغل الداعية طول حياته فيما ينفع الأمة ويجعلها أمة سامية راقية بعيدة عن التخلف الفكري والعقدي والمنهجي.

والحاكم إذا أمر بمعصية أو مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله فلا طاعة له ولا موافقة، وتجب معصيته في ذلك، فإن الطاعة لله وحده، والرسول ﷺ

يقول: «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف»[1].

فالسلفيون وسطٌ في هذا الباب بين المتحمسين الجهال الذين لا يربطون مناهجهم بكتاب ولا بسنة، وإنما يربطونها بأغراض ومصالح دنيوية، ونظرات سطحية للواقع، فيركبون عليها فيدفعون الشباب إلى متاهة توقعهم فيما لا تحمد عقباه، كما حصل في كثير من الوقائع المعاصرة والقديمة، لَعلّي أُفصِّلها في كتاب خاصٍّ إن شاء الله.

وبين المتساهلين الذين يرفعون الحكام فوق مستواهم، ويجعلونهم في مصافّ الخلفاء الراشدين، ويعتذرون لهم في كل مخالفة ارتكبوها، ويرون أن كل من تكلم في منكر أو أمر بمعروف قد خرج على الحكام، وغالب أصحاب هذا المنهج هم من المنافقين الذين يبطنون خلاف ما يظهرون، فالحكام أبغض الناس إليهم، ويظهرون للناس حبهم لهم وهم كاذبون، لأنك إذا ما اختليت بهم وتتبعت بعض كتبهم وأشرطتهم؛ وجدت فيها من الطامات ما يدل على كذبهم وبهتانهم، فالمسلم الصادق بين هذا وهذا، فلا يوافق على باطل ولا يعتذر له، ولا يخرج على الأئمة ولا يهيج الناس عليهم، ولا يدعو للفتن، ولا يجعل الحكام هي القضية الأساسية في الدعوة، وأنها التي ينبغي التركيز عليها في كل كلية وجزئية، وكأن المشكلة عند هؤلاء هي الحاكم، مع أن الدعوة إلى الله لا ترتبط بالحاكم وحده، بل الأمة كلها تحتاج إلى دعوة كبيرة، ولو استقامت الأمة أو أكثرها لاستقام حكّامها، والحاكم

---

1 تقدم تخريجه.

هو أحد أبنائهم، وهو من بني جلدتهم لا يتميز عليهم بشيء، فلو صلحوا صلح، وكما تكونوا يولّ عليكم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[1].

فالرسول عليه الصلاة والسلام الذي هو خير أهل الأرض اختار الله له خير أهل الأرض بعده، وهكذا كلما كان الأخيار أخياراً يسّر الله لهم الأخيار، وكلما كان الأشرار أشراراً وُلّي عليهم الأشرار، فالله تبارك وتعالى لا يظلم أحداً، فهو الحكيم الخبير، فلهذا كان التركيز على صلاح الأمة وتربيتها هو الواجب على الدعاة إلى الله، وأما الاشتغال بالحكام وجعله أساس الدعوة فمفسدة كبرى ابتليت بها الدعوة في كل تاريخها.

فالأولى أن تصرف الجهود إلى إصلاح الأمة، ومن كان أهلا لنصح الحاكم نصحه بما يناسبه، أما التشهير والشتم والسب، ووصف الحاكم بكل أوصاف القذع؛ فمآله الفتنة والحرب وإنهاك الدعوة ومحاصرتها ومصادرتها.

فالداعية ينبغي أن يكون حكيما في دعوته، فلا يوصلها إلى الهلاك، بل ينبغي أن يسير بها إلى شاطئ السلامة، فكما سبق: الوسطيةُ في كل شيء هي الحكمة بعينها، فلا إفراط ولا تفريط، فلا نشتغل بعيوب الحكام بل ندعو لهم بالخير والهداية والرجوع إلى الصراط المستقيم، فإن هداية الحاكم وصلاحه واستقامته غنيمة للأمة ومكسب كبير إن حصل لهم. وقد أثر عن بعض السلف: (لو كانت لي دعوة مستجابة لادخرتها للإمام).

---

1 الأنعام الآية (129).

فصلاح العلماء والحكام صلاح الأمة، وفسادهم فساد الأمة.

فاللهم أصلح أئمتنا وعلماءنا وولاة أمورنا، واجعلهم رحمة على هـــذه الأمة، ولا تجعلهم نقمة عليها.

اللهم ولّ على الأمة خيارها الذين يدينون لك بالوحدانية والتوحيـــد، ويتبعون نبيك في كل صغيرة وكبيرة، ويدعون إلى ذلك ويحمـــون كتـــابك وسنة نبيك، وأبعد عنها شرارها الذين يلحدون في دينك ويحاربون كتـــابك وسنة نبيك، ويحمون الكفر وأهله ويحاربون الإسلام وأهله. إنك سميع قريب مجيب، وبالإجابة جدير. وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك.

خاتمة

نرجوا الله أن يختم لنا ولإخواننا وأزواجنا وأبنائنا وتلامذتنا بالحسنى والتوحيد والسنة، وأن يرزقنا شهادة في سبيله تغسل ذنوبنا وتمحو سيئاتنا، وترفع درجاتنا، وتجعلنا مع الأولياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وفضل الله واسع، وما ذلك على الله بعزيز.

الدعوة إلى الله من أعظم أنواع الجهاد تحتاج إلى عدة واستعداد، وهي مهمة الأنبياء والرسل، وليس بعدها شرف لا مال ولا جاه.

والدعوة إلى الله تختص بهداية البشر إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، فلا يعدِلها نفع ولا يدانيها جميل، فكل نفع وجميل في الدنيا ينبغي أن يكون تابعا للدعوة إلى الله، فهي فوق كل خير يقدم للأمة، فالدعاة إلى الله بعلم وحكمة وبصيرة هم أعظم من يقدم الخير للأمة، فالمال يفنى والملك يزول ويذهب بذهاب صاحبه، والدعوة إلى الله تبقى ويبقى أثرها لا يمحوها الليل والنهار، ولا يبليها الزمان والأيام، ولله در أبي بكر بن عياش لما قيل له: إن فلانا من أهل البدع يقعد للناس في المسجد فقال: (أما أهل البدع فيموتون ويموت ذكرهم، ولهم نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

وأما أهل السنة فيموتون ويبقى ذكرهم ولهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا

لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾).

فالدعاة إلى الله يبقى ذكرهم مستمرا يدعى لهم ويترضى عليهم، وتعظم حسناتهم ما بلغ آثارها، فالتنافس في هذا الباب هو عين العقل، وهو توفيق من الله لا يناله إلا المحظوظون.

والتخلي عن الدعوة إلى الله ممن تأهل لذلك بعلم أو مال أو جاه أو وسيلة أخرى؛ خذلان لدين الله ولكتابه ولرسوله والمسلمين؛ خاصة إذا كانت الحاجة ماسة لذلك، وفي وقت الغربة، وتخلي معظم الناس عن الإسلام، والحرب قائمة على الإسلام، فليعدّ الجواب كل من تخلّى عن نصرة الإسلام وله القدرة على ذلك. قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[1] وقال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾[2]، وفي الحديث: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه»[3].

دعوة التوحيد والسنة إذا صاحبها الإخلاص والصدق يكتب الله لها القبول والبقاء، ودعوة الباطل والبدع تموت بموت أصحابها وتفنى كأن لم

---

1 الحجر الآيتان (92و93).

2 الأعراف الآية (6).

3 أخرجه: الترمذي (2417/529/4) وقال: "حسن صحيح"، وأبو يعلى (5271/178/9) والطبراني في الكبير (11177/102/11) وفي الصغير (269/1). انظر الصحيحة (946/666/2).

تكن. فكم من دعوة باطلة قامت على أكتاف رجال ودول ظنوا في وقتها أنها لا تفنى ولا تبيد، فأصبحت مع مرور الأيام كالأمس الذاهب، وإن جاء أهل الباطل بعدهم فأرادوا النفخ في تلك الجيفة؛ فتخرم أشداقهم وتتقطع شفاههم، وتلك الجثث هامدة لا تجيبهم، كما وقع لكثير من أهل تلك المناهج الباطلة، الذين يوهمون الناس أنهم إلى ارتكاسهم راجعون، وهيهات هيهات! فإن تلك الدول والطوائف أصبحت عنوانا للباطل والغدر، ولا يتغنى بها إلا من اعتاد العمل في الكُنُف والمزابل، والعمل في المجاري الخبيثة وحمل جيف الكلاب والحمير.

فإن هذا يتعوّد على هذه الروائح فينسجم معها ويزول عقله ولا يميز بين سمكة وأفعى، ولعل يده تسبق إلى الأفعى لحمقه وسفهه، فهذا مثل من يريد إحياء الباطل وتشييده. وفي وقتنا الحاضر من هذه الأمثلة الكثير.

الدعوة إلى الله لا بد أن تتعرض في تاريخها إلى كثير من الأشواك والعقبات، وأصحابها ليسوا بمعصومين مهما اتسع علمهم وقويت مداركهم، فالإنسان معدنه الخطأ ويكفي أن يكون الصواب غالبا على الخطأ، فسيئاتهم مغمورة في بحر حسناتهم، ومن أراد دعاة لا يخطئون ولا يزلون فليبحث عن العنقاء والغول، فهذه الأمثلة تذكر ولا عرف أحد وصفها ولا مكان وجودها، والأنبياء على جلالة قدرهم وعصمتهم وهم أصحاب الوحي أخطأوا وذكروا أخطاءهم، فقد نبه الله نبينا محمدا ﷺ في القرآن على أمور وقعت منه، وهذا من كمال عدله تبارك وتعالى في عباده وشرف لمحمد ﷺ،

فقال: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ وقال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

ولله در من قال:

كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه

فالداعية إلى الله يكفيه أن يبذل جهده في معرفة الصواب وأن لا يتعمد الخطأ، وإن زلّ وعصى فليستغفر الله وليتب إليه.

إن الدعوة إلى الله لها مخالفون وأعداء ومبغضون وحسدة، وهناك من يكيد لها بالليل والنهار والسر والجهار، فعلى الدعاة أن يتوجهوا إلى الله بالتضرع والدعاء فيكفيهم شر المخالفين، وعلى الداعية أن يكون عادلا مع كل المخالفين؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ بل عليه أن يتسامح ويعفو ويصفح ويتنازل عن حقوقه الشخصية شريطة عدم التنازل عن شرع الله قولا وفعلا، وما انتقم رسول الله ﷺ يوما لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله، فينتقم لله. فلا يجوز للداعية التنازل عن دينه أو التلون أو المداهنة أو ارتكاب ما حرم الله، أو الدخول في البدع أو الشرك أو الكفر بحجة أن ذلك قد يكون وسيلة من وسائل الدعوة، فإن الله تعالى سائل كل داعية عن الوسيلة والغاية، فلا يجوز له أن يرتكب محظورا يجعله ذريعة للدعوة إلى الله، فإن الدعوة إلى الله يجب

أن تكون مبرأة من الكفر والشرك والبدع والمعاصي، فهذه دعوة الأنبياء، وما سواها دعوة للأشخاص والمصالح المادية الشخصية.

الداعية والدعاة إلى الله يجب أن تكون علاقتهم بالناس علاقة صدق وأمانة؛ مبنية على التعاون على البلاغ إلى من لم تصله الدعوة، ولا تكون علاقته بالناس ظاهرها الدعوة وغايتها المصالح الشخصية، فهي المفسدة الكبرى، وقد ذكر الله آيات في شأن ذلك، وهي واقع كل المنافقين في كل زمان بداية من زمن النبوة والرسالة، فالدعاة إلى الله يجب أن يخلصوا دعوتهم وعلاقاتهم بالمدعوين، سواء كانوا من حاشية الداعية أو من البعيدين عنه، فمن اشتغل بالدعوة لغرضه ومآربه فقد أخذ حظه الوافر من الدنيا، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا؛ لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». يعني ريحها.[1]

وقوله ﷺ كما في صحيح مسلم: عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم،

---

1 أخرجه: أحمد (238/2) وأبو داود (3664/71/4) وابن ماجه (92/1-252/93) وصححه ابن حبان (78/279/1 الإحسان) والحاكم (58/1).

وقرأت القرآن، ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار».

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾.

قد تبتلى الدعوة ببعض العقوق من أبنائها فيخرجون عنها، وربما يحاربونها إما بأقلامهم أو ألسنتهم أو خطبهم، وهنا ينبغي للدعاة أن يقفوا موقف العلماء، ولا يكون الأمر منهم بالمقابل فيتسع الخلاف وتزداد الفتنة، والأولى إن أمكن المناقشة ومحاولة إزالة الشبه التي عند هؤلاء الذين تمردوا على الدعوة ورموها بكل عظيمة، وطعنوا في منهاجها ومشايخها ومصادرها وكالوا لها كل تهمة. وأما إن كان النقد بالعلم والحجج الواضحة فعلى الداعية والدعاة الرجوع إلى الحق والصواب، وإن أساء أولئك الأدب فللأب رحيم بأبنائه وبناته، والابن يرجع إلى أبيه في يوم من الأيام؛ إما في حياته أو بعد مماته، ويذكر خيره وفضله وإحسانه إليه، وتربيته له وإنقاذه له من الجهل الذي كان هو لباسه، ومن التخبط الذي كان منهاجه. ومهما انحرف المنحرفون فإنهم لا ينسون ما قدمه لهم، شيوخهم إلا إذا كانوا حقراء على

عادة اللئام المتنكرين لكل خير وفضل قدم لهم وأما إن ظهر أن الأمر مُبَيت، وأن أولئك كانوا مندسين في صفوف الدعوة، وصبرهم كان مرتبطا بمصالحهم، ولما انتهت مصالحهم وحاجاتهم انقلبوا على الدعوة رأسا على عقب، وقلبوا المدح ذما وإنكارا، والتقدير والاحترام ازدراء واحتقارا، وقلبوا تقبيلهم على الرؤوس والأكتاف إلى طعن وشتم واستخفاف، وهذا واقع بعض الدعاة الذين كان التحاقهم بالدعوة مبنيا على أغراض شخصية ومصالح مادية محضة، فلما قضوا نهمتهم وحاجتهم ظهرت لهم الدعوة بكل عوراتها وسيئاتها، وأصبحوا يتقززون من ذكرها ويستنكفون من الانتماء إليها، ويحلفون أنهم ما استفادوا منها ولا حرفا واحدا، وأن علومهم ومعارفهم اكتسبوها بذواتهم، كما قال الله عن قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾. وأنهم دخلوا الدعوة وهم من أعلم أهل الأرض، بل الدعوة قامت على أكتافهم، وأنها كانت أنشط ما تكون بجهدهم، فلما تركوها تراجعت وتدهورت. ثبت في صحيح مسلم مرفوعا «أن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قذِرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه قذَرُه، وأعطي لونا حسنا وجلدا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل (أو قال: البقر شك إسحاق) -إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخر: البقر- قال: فأعطى ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأقرع

فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذِرني الناس. قال: فمسحه فذهب عنه وأُعطي شعرا حسنا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطي بقرة حاملا، فقال: بارك الله لك فيها. قال: فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأُبصر به الناس. قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطي شاة والدا، فأنتج هذان وولَّد هذا. قال: فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال؛ بعيرا أتبلَّغ عليه في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر! فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك؛ شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنتُ أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئا أخذتَه لله. فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رُضِي

عنك وسُخِط على صاحبيك»[1]. وفي البخاري أيضا أن نفرا من عكل أسلموا فاجتووا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا، ثم ارتدوا وقتلوا الراعي، واستاقوا الإبل[2].

وأمثلة هؤلاء في تاريخ الدعوة المعاصرة كثير، ومن تتبع ذلك جمع سجلا كبيرا. فعلى الداعية والدعاة إلى الله ألا يتأثروا بأمثلة السوء كهذه فإنها كثيرة جدا لا يخلو منها زمان ولا مكان، والعاقون لآبائهم وأمهاتهم في كل زمان ومكان كثيرون، فمنهم من يضرب أباه وأمه، وأما العاقون لشيوخهم ومن أحسن إليهم فهم كثر -لا كثرهم الله- ومن تتبع كتب التراجم وقف على طائفة منهم، وهم في هذا الزمان أكثر؛ لقلة الورع واتباع الهوى والحسد واللؤم وحب الظهور، نسأل الله السلامة.

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقول الآخر:

فواعجبي لمن ربيت طفلا ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

فأهل الغدر والخيانة عددهم كثير لا يحصى، وغدراتهم متعددة ومتنوعة فلا تخلو دعوة منهم ولا زمان ولا مكان. فقد خرج رسول الله ﷺ -وهو

---

1 أخرجه: البخاري (6/620-621/3464) ومسلم (4/2275/2964).

2 أخرجه: أحمد (3/205) وأبو داود (4/533-534/4366-4367) والترمذي (1/106-107/72) والنسائي (7/96-97/4040-4043).

الـــمثل الأعلى- في غزوة أحد وخرج معـــه ألف رجل، فرجع منهم الثلث -بقيادة الغادر اللئيم عبدالله بن أبي، فهو مثال لكل غادر، وهو أســـوتهم- وبقي مع النبي ﷺ ثلثا الجيش، فكان بأبي وأمي مثالا في الصبر وطول النفـــس وعدم المبالاة بهؤلاء.

فكان يمضي في دعوته ولا يلتفت للمخلفين ولا المخذلين، وفي ســـورة التوبة مثال لهذا النوع الفاسد الذي يخذل الدعوة ويعرقلها، ويقلب لها ظـــهر المجن، ويظهر للناس أنه يريد الحق والخير والنصح والبيان وهـــو كـــاذب في دعواه؛ كما ذكر الله في خبر الذين أسسوا مســـجد الضـــرار: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ فالخاذلون للدعوة عددهم كثير مـــن أبناء هذه الدعوة ممن تعلموا في دورها، وتعلموا مبادئ العلوم فيها واتصلـــوا بالمصادر العلمية وحصل لهم عن طريقها خير كثير، ومـــع ذلـــك تنكـــروا وأنكروا وحاربوا الدعوة بأشرطتهم وكتبهم ونشراتهم، وحـــاولوا تحريـــض العلماء في الداخل وفي الخارج على هذه الدعوة، وأصبحوا يصفون مشـــايخها بأقبح الأوصاف، ويصمونهم بأقبح الزلات، فلهم موعد عند الله مـــع هـــذه الدعوة وأهلها، فليعدوا جوابا فإنهم وقفوا في وجه الكتاب والسنة ونشـــرهما بدعاوى كاذبة تخيلوها ولفقوها من عند أنفسهم، ويكفي في جفائهم أنهـــم

عاشوا مدة طويلة في هذه الدعوة وتبنوها، ووصفوا مشايخها بكل أوصاف التقدير والتعظيم بأشرطتهم ودعاياتهم المتواصلة في أرجاء البلاد وخارجها، وأن الدعوة السلفية في مدينة مراكش بشيوخها هي النموذج الوحيد الذي ينبغي أن يحتذى، والذي ينبغي أن يتبع، وهم كما قال القائل:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

ثم بعد ذلك وصفوا هذه الدعوة وأهلها بأوصاف لم تصدر من المتصوفين وأهل البدع، وسعوا في الوشاية وحرضوا السلطة والدولة بالكتابة والشريط والاتصالات، عسى أن ينالوا من هذه الدعوة وأن يوقفوها كما تمنوا، ولكن كما قال الله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ وكل من تعرض لهذه الدعوة بصد عنها بكتاب أو شريط أو غيره فإنه يبحث عن حتفه بظلفه في الدنيا قبل الآخرة، وكم شاهدنا ممن تعرضوا لهذه الدعوة المباركة دعوة الكتاب والسنة أن الله عجل لهم العقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

دعوة دور القرآن هي مطلب أساسي لكل داعية حق -تخرج من مدارسها ورضع من ثديها واستفاد العلم من مشايخها -تبقى ما بقيت الدنيا بإذن الله، وهي ليست مرتبطة بالجدران والأمكنة، بل مرتبطة بالبلاغ بكل وسائله، فإن تيسرت الأمكنة أسست لها المدارس والمعاهد والكليات العلمية التي تقوم بنشر الكتاب والسنة وعلومهما، وإن تيسر الكتاب استغل بكل أنواع الاستغلال من توضيح وتقريب وتأصيل ودفاع عن هذا المنهج، وإن تيسرت لهم القنوات والشبكة العنكبوتية فلا ينبغي الغفلة عنها، وإن تيسرت

الندوات والخطب على المنابر فتلك فرصة طيبة لنشر هذا المنهاج المبارك، وإن يسر الله مجالات أوسع فلا ينبغي للداعية أن يتأخر؛ لأن الدعوة لا تتقيد بإقليم ولا مكان، فالأرض كلها مكان للدعوة، فلا تنحصر في باب ولا أسلوب واحد، بل تطرق كل الأبواب وكل الأساليب ما لم تخالف نصا أو هديا من هدي رسول الله ﷺ.

وصيتي للدعاة في التعامل مع الحكام أن يكون ذلك بالحكمة وبالتي هي أحسن، وليس في مصلحة الدعوة أن تدخل مع الدولة في أية مواجهة، فإن المواجهة مع الحكام لا خير فيها، فإن الله يأمر بالرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

يجب على الداعية أن تكون دعوته ظاهرة ليس فيها ظاهر وباطن، فيوضح كل علاقاته وتصرفاته، وعلى الداعية أن يتجنب كل علاقة مشبوهة مع أي شخص كان داخل البلد وخارجه، وأن يكون حذرا ولا يستجر لأي عمل لا يتضح له، فقد يتورط فيه، وعليه أن يتجنب رؤوس الفتنة والمتعجلين في دعوتهم والذين لا يريدون إلا المناصب والكراسي، فتلك دعوة أهل الدنيا.

والدعوة السلفية هي دعوة الإسلام الصافي، فيجب على الدعاة أن يلتفوا حولها ولا يضيعوا الوقت في غيرها، وما سواها انحرافات وأهواء وبدع وخرافات ودعوات سياسية، وقد يكون في غيرها من الحق ما هو موجود فيها، فلا حاجة إلى غيرها، وهي دعوة مباركة، يغلب على أصحابها الثبات والهدوء وطول النفس، ودعوة أهل الباطل يغلب عليها التقلب والتلون والطيش والاستعجال، فهم يلبسون لكل حالة لبوسها، وهي مرتبطة بالمصالح

والأغراض، فمتى انتهت أغراضهم انتهت دعوتهم.

فعلى الداعية أن يكون طويل النفس، وألا توقفه العقبات والصدمات التي يتعرض لها؛ سواء من قبل المخالفين أو الحكام الذين لا ينصرونه، وربما يضايقونه أو يقمعونه، فعليه بالصبر، وأن يطرق الأمور من أبوابها، ولا يمل ولا يكل، فإن أدركه الموت وهو على ذلك مات على نية حسنة، وإن فتحت له الأبواب ودخل الناس في دين الله أفواجا بفضل الله ثم بسبب دعوته؛ فتلك نعمة عظمى توجب عليه الشكر كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

وعليه أن يكون ذكيا في كل خطواته، ولا يغتر بكثرة ولا ييأس من قلة، فمن علق دعوته بالكثرة كانت دعوته دعوة حزبية، ومن تأثر بالقلة وتراجع عن دعوته فقد خالف منهاج الأنبياء، فإنه كما صح: «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد»[1].

وعلى الداعية أن لا يفسد دعوته بالدخول في أمور الدنيا، فإن ذلك مفسدة كبرى، ولا يأخذه الشره ومتابعة الصفقات التجارية ويخلط الدعوة بالدنيا، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا دعوة وعلما.

---

1 أخرجه: أحمد (271/1) والبخاري (6541/495-494/11) ومسلم (220/200-199/1) والترمذي (2446/546-544/4).

وإن يسر الله خيرا ومالا فذاك من فضل الله، فقدوته الأنبياء والصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم تموّلوا وكان لهم مال وسخروه في نصر الدعوة والجهاد في سبيل الله. فقد جاء في البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه: يا أيوب! ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب! ولكن لا غنى لي عن بركتك»[1]. وفي البخاري أيضا عن عطاء ابن يسار أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطاء فرده عمر، فقال له رسول الله ﷺ: لم رددته؟ فقال: يا رسول الله! أليس أخبرتنا أن خيرا لأحدنا أن لا يأخذ من أحد شيئا؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك عن المسألة، فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق يرزقكه الله». فقال عمر ابن الخطاب: أما والذي نفسي بيده لا أسأل أحدا شيئا، ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلا أخذته[2].

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بعث إلي رسول الله ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني. فأتيته وهو يتوضأ، فصعَّد فيَّ النظر ثم طأطأه، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأزعب لك من المال زعبة[3] صالحة. قال: فقلت: يا رسول الله! ما

---

1 أخرجه: أحمد (304/2و314و490و511) والبخاري (279/509/1) والنسائي (219/1-413/220).

2 أخرجه: أحمد (7/1) والبخاري (1473/430/3) ومسلم (1045/723/2) والنسائي (2603/108/5).

3 أي: أدفع لك من المال دفعة.

أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله، فقال: يا عمرو نِعِمَّا[1] بالمال الصالح للرجل الصالح»[2].

والداعية إلى الله من تمام حكمته أن لا يحتقر أحدا، فالصغير قد يصبح شيخا كبيرا، وقد يعطيه الله من المواهب ما ليس في الحسبان، وهكذا البنت الصغيرة والشاب والشابة، وعلى الداعية أن يكون منهاجه التواضع يحبب نفسه للناس بكل أنواع المحاب، فإن الناس يحبون من يحسن إليهم ولو بالكلمة الطيبة، وألا يكون فظا ولا غليظا ولا كثير الكلام بما لا يخدم أهداف الدعوة، وأن لا يكثر من المزاح حتى لا تسقط هيبته في نفوس المدعوين، ويصبح موضع سخرية واستهزاء، والنبي ﷺ كان يمزح ولا يقول إلا حقا، وعليه بالاستقامة على المنهاج، ولا ينقض دعوته بقول أو فعل أو صحبة أو علاقة أو موقف أو كتاب أو شريط، وعليه أن يكثر من الاستغفار والتوبة واللهج بالدعاء إلى الله جل وعلا؛ كما كان النبي ﷺ يفعل، وأن لا يصاب بالغرور والكبر، فتلك صفة إبليس اللعين. والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله وسلم على الداعية الكبير محمد وآله وصحابته الدعاة المخلصين، وجعلنا على أثرهم متبعين، وعلى منهاجهم سائرين ومحتسبين.

---

1 أي: نعم الشيء المال الصالح، وعند الطبراني: «نعم المال الصالح للرجل الصالح».

2 أخرجه: أحمد (197/4) والبخاري في الأدب المفرد (299) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (6056/327/15) والقضاعي في مسند الشهاب (1315/259/2) وأبو يعلى في مسنده (320/13-7336/322) والطبراني في الأوسط (3213/130/4) وصححه ابن حبان (3211/7/8) والحاكم (236/2) ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في المجمع (352/9-353) وقال: "رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح".